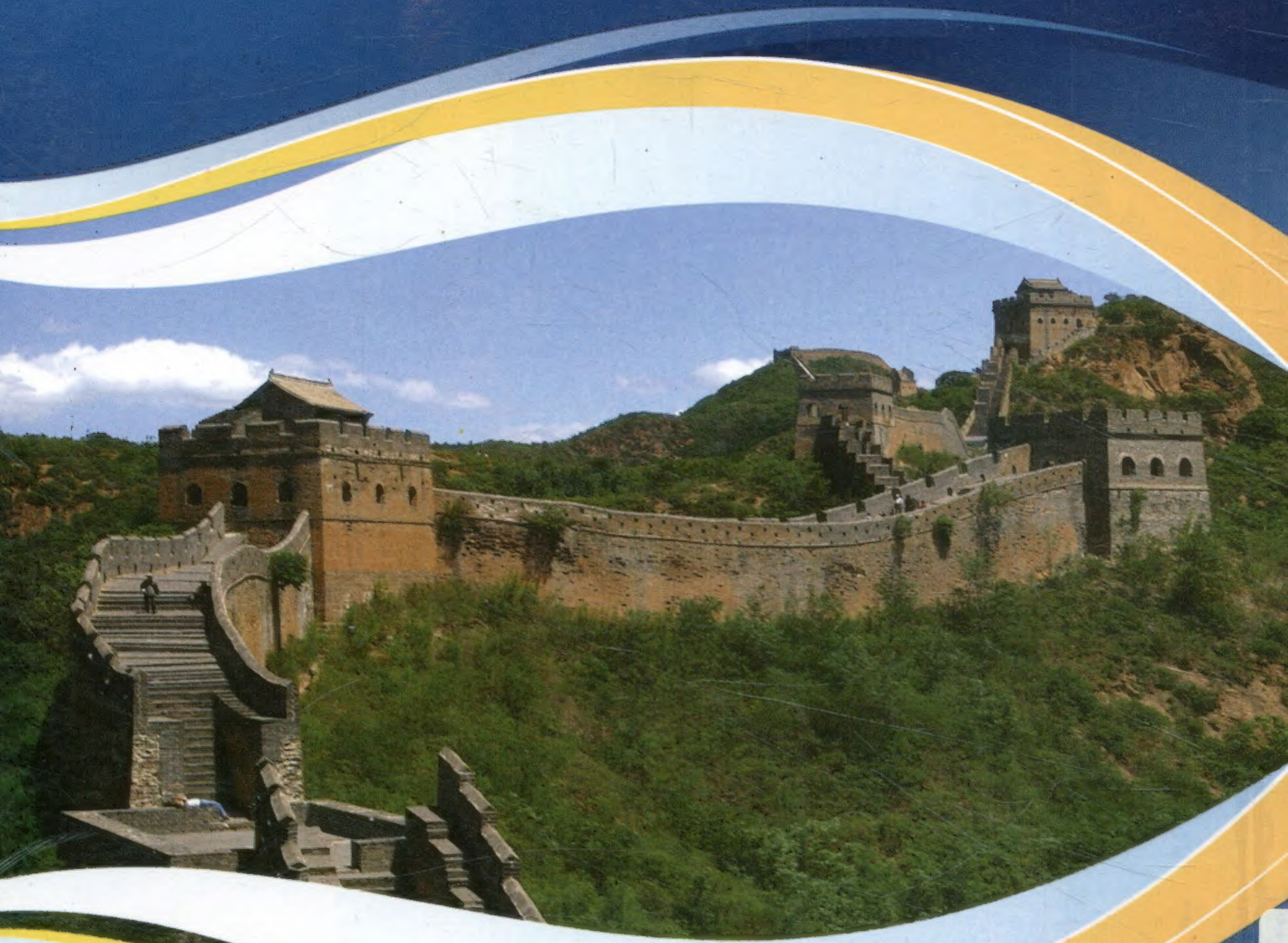


تاريخ الشرق الأقصى الحديث والمعاصر



الدكتورة

فايزة محمد حسن ملوك

مدرس التاريخ الحديث والمعاصر

كلية الآداب - جامعة دمنهور



الدكتور

أحمد عبد العزيز عيسى

أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر المساعد

كلية الآداب - جامعة دمنهور

تاريخ الشرق الأقصى الحديث والمعاصر

دكتور

فايزة محمد ملوك

مدرس التاريخ الحديث والمعاصر
كلية الآداب - جامعة دمشق

دكتور

أحمد عبد العزيز عيسى

استاذ التاريخ الحديث والمعاصر المساعد
كلية الآداب - جامعة دمشق





اسم الكتاب: تاريخ الشرق الأقصى الحديث والمعاصر
المؤلفين د احمد عبد العزيز عيسى، د. فايزة محمد ملوك

الطبعة الثانية: ٢٠١٥

رقم الايداع: ٢٠١٤ / ٦٥١٢١

الترقيم الدولي: ٩-١٧٩-٣٩٣-٩٧٧-٩٧٨

الفهرسة: : تاريخ الشرق الأقصى الحديث والمعاصر عيسى
، احمد عبد العزيز ، فايزة محمد ملوك ، بستان المعرفة
٢٠١٥

٢٧٢ ص ١٧.٥ * ٢٥

تدمك: ٩-١٧٩-٣٩٣-٩٧٧-٩٧٨

أ- العنوان

الناشر

مكتبة بستان المعرفة

ج. م. ع - كفر الدوار - الحدائق - امام أبراج الحلوانى

☎ : ٠٤٥/٢٢٠٢٦٢٩ & ٠١٢١١٥١٢٣٧

E-mail: bostan_elma3rafa@yahoo.com

جميع حقوق النشر محفوظة للناشر

ولا يجوز طبع أو نشر أو تصوير أو إنتاج هذا المصنف أو
أى جزء منه بأية صورة من الصور

بدون تصريح كتابى مسبق ومن يخالف ذلك يتعرض
للمساءلة القانونية المنصوص عليها فى القانون المصرى

المقدمة

تعتبر دراسة تاريخ الشرق الأقصى من الدراسات المهمة، وذلك لاسهامه في تشكيل خريطة العالم بدوله المهمة مثل الصين واليابان ، وتقسم هذه الدراسة بالاضافة إلى المقدمة إلى ستة فصول ، يتحدث الفصل الأول عن الصين من مطلع العصور الحديثة حتى قيام الحرب العالمية الأولى ، سابقا الحديث بذلك عن بعض الملامح الجغرافية والسكانية والحضارية ، ثم الأطماع الأوربية في الصين ممثلة في الكشوف الجغرافية ، والتي شملت أدوار البرتغال وأسبانيا وهولندا ، وغيرهم بالاضافة إلى المصالح الأوربية في القرن التاسع عشر من خلال التعرض للنفوذ التجارى البريطانى فى الصين ومحاولة بعض الدول الأوربية الأخرى منافسة إنجلترا مما دفع الأخيرة إلى تدعيم نفوذها بتوقيع معاهدات غير متكافئة مع الصين ، مما كان دافعا للدول الأخرى أن تطمح في الحصول على نفس الامتيازات لتفتح الصين أمام هذه الدول .

أما عن الفصل الثانى فيتناول الصين ما بين الحربين العالميتين وتطور علاقاتها الدولية من خلال دخولها الحرب العالمية الأولى ، ثم التعرض بعد ذلك للاضطرابات الاقتصادية التي واجهتها الصين خاصة بعد وفاة يوان تشى كاي وظهور نفوذ القادة العسكريين والثورة الشيوعية ، ثم تطرق الحديث بعد ذلك عن العلاقات الصينية السوفيتية من خلال مرحلة التحالف بين الدولتين ، ثم الصراع بينهما والأسباب التي أدت إلى ذلك ، ثم ينتقل الحديث بعد ذلك عن العلاقات الصينية الأمريكية من خلال التعرض للمسألة الكورية ، ومبدأ نيكسون ، ثم مشكلة تايوان .

ويتناول الفصل الثالث اليابان من مطلع العصور الحديثة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى سابقا الحديث عن ذلك بدراسة الملامح الجغرافية والسكانية والحضارية ، ثم الأطماع الأوربية من خلال بعثة بيري 1853 ، ومعاهدة كاناجاوا 1854 ، وسقوط الشوجنية ، ثم الأوضاع السياسية

والاقتصادية والاجتماعية فى عصر أسرة مىجى لتأثرهم بالنظم الأوربية، كما يتناول هذا الفصل التوسع اليابانى فى الصين من خلال الحرب الصينية اليابانية (1894-1895) والحرب اليابانية الروسية 1905.

والفصل الرابع يتعرض لسياسة اليابان الخارجية (1945-1970) والتي شملت الولايات المتحدة الأمريكية، وكوريا، والاتحاد السوفيتى، وأثر ذلك على اليابان دولياً. أما الفصل الخامس فقد تعرض للصين واليابان (1931-1978) من خلال حدثين مهمين الأول الحرب اليابانية الصينية الثانية (1931-1945) والثانى معاهدة السلام والصداقة بين البلدين 1978.

أما الفصل السادس والأخير فيتعرض للفلبين من مطلع العصور الحديثة حتى القرن العشرين ، سابقا الحديث عن الملامح الجغرافية والسكانية ، ثم الاستعمار الأسباني لها، ونتائجه، لتتضم إنجلترا إلى أسبانيا فى تحقيق أطماعها فى الفلبين، ثم يتطرق الحديث للعلاقات بين الولايات المتحدة والفلبين فى تلك الفترة ، وتأتى نهاية هذا الفصل عن المشكلات المعاصرة فى الفلبين.

وفى النهاية نرجو من الله عز وجل أن ترسم هذه الدراسة صورة أوضح عن تاريخ الشرق الأقصى من خلال دوله التى لعبت دوراً مهماً ليس فى تاريخ الشرق الأقصى فحسب ،بل فى تاريخ العالم،

والله الموفق

الفصل الأول

الصين من مطلع العصور الحديثة حتى قيام الحرب العالمية الأولى

أولاً - الملامح الجغرافية والسكانية والحضارية

ثانياً - الأطماع الأوروبية في الصين

1- الكشف الجغرافية

2- المصالح الأوروبية

الفصل الأول

الصين من مطلع العصور الحديثة حتى قيام الحرب العالمية الأولى

أولاً - الملامح الجغرافية والسكانية والحضارية

تقع الصين في أقصى شرق آسيا بين خط عرض 520 و 540 درجة شمالاً، وتبلغ مساحتها 9.6 مليون كيلو متر مربع، وتعتبر ثاني أكبر دولة في العالم من حيث المساحة (بعد كندا)، وعدد سكانها طبقاً لإحصاء عام 1992 - نحو 1.2 مليار نسمة يمثلون أكثر من 21.5% من سكان الأرض، فهي أول دول العالم سكاناً.

والصين ذات المساحة الضخمة تتمتع بطبوغرافية متنوعة تجمع بين الجبال والسهول وتتخللها صحارى شاسعة ومناطق خصبة وأنهار كبرى من أهمها النهر الأصفر ((هوانج هو)) Hwang - Ho واليانجتسى Yangtze وهو أكثر صلاحية للملاحة من النهر الأصفر - وكان لهذه الأنهار دوراً هاماً في ظهور حضارة مبكرة في بلاد الصين. والصين يحدها من الشرق والجنوب الشرقى المحيط الهادى (الباسفيكى). ومن الجنوب الشرقى شبه جزيرة الهند الصينية وشبه القارة الهندية الباكستانية، ومن الغرب ومن الشمال تركستان الغربية (الروسية السابقة أو دول آسيا الإسلامية الحالية) وسيبيريا الروسية (1).

ويتألف سكان الصين من عدة فروع من الجنس شبه المغولى تتخاطب بلغات ولهجات متعددة، وقد اعترفت جمهورية الصين التى قامت رسمياً فى عام 1912 بخمس مجموعات عنصرية كبرى، منها العنصر الأصفر، والعنصر المغولى، والعنصر التركى، والعنصر التبتى، وقد تم التزاوج بين هذه العناصر مكونة الشعب الصينى، وإن اختلف سكان الصين بين شمالها

وجنوبها فى طباعهم ومميزاتهم العنصرية. ويجمع الباحثون على أن الإنسان قد استوطن الصين منذ العصر الجليدى الأول حيث أثبت ذلك اكتشاف بقايا هياكل عظيمة عام 1928 لإنسان أطلق عليه اسم ((إنسان بيكين)). وقد خطى أسلاف الصينيين خطوات مطردة نحو المدنية، ورغم بعدهم عن المدنات القديمة الأخرى فى وادى النيل ووادى دجلة والفرات ، وأراضى الهند، فقد جمعوا المعلومات لطريقة استتباط الأقوات من الأشجار، كما زرعوا الحبوب، واستأنسوا بعض الحيوانات وبدأوا يستخدمون الخوف، واتخذوا الأصداف وسيلة بدائية لاستخدام النقود، ثم اخترعوا الأوانى والأدوات التى يستخدمونها فى حياتهم وأدخلوا عليها التحسينات ثم بدأوا ينشئون نظاماً سياسياً خاصاً بهم تطول على النحو التالى (iii):

1- عصر ما قبل الأسرات:

يتضمن سلسلة من الأباطرة الأسطوريين الحكماء والأبطال الثقافيين. وتذكرهم المصادر الصينية : تارة باسم ((الحكام الثلاثة)). وطوراً باسم ((الأباطرة الخمسة))، وهم : فوهسى، شين فونج، هوانج تى (الامبراطورية الأصفر). ياو، شون.

2- أسرة هسى (2205 – 1766 قبل الميلاد):

مؤسسها الإمبراطورية ((يو)). ويؤثر عنه إنقاذه للصين من فيضان مدمر، استمر تسع سنوات .

3- أسرة شانج أوين (1765 – 1123 قبل الميلاد) :

أيدت الحفائر والسجلات المكتشفة، تولى هذه الأسرة حكم الصين. بيد أن التاريخين السالفي الذكر غير محققين .

4- أسرة تشو (1122 – 356 قبل الميلاد) :

أسسها الملك " ون " وتجعل الكونفوشيوسية منه ومن دوق تشو أبطالاً عظامًا .

5- فترة الربيع والخريف (722 - 481 قبل الميلاد) :

أسفر تحلل سلطان بيت "تشو" عن انبعاث حكام اقطاعيين، تلقب كل منهم بلقب السيد الحامي، أو الطاغية بالمعنى اليوناني .

وقد عاش كونفوشيوس خلال السنوات : 551 - 479 قبل الميلاد .

6- عصر الدول المتحاربة (403 - 221 قبل الميلاد) :

تعتبر هذه الفترة ، عصر الفلسفة الصينية الذهبي .

7- أسرة تشين (255 - 207 قبل الميلاد) :

توحدت الصين لأول مرة في تاريخها في إمبراطورية مركزية، قضت على الإقطاع، وفي عام 213 قبل الميلاد صدر قرار إمبراطوري بإحراق الكتب .

8 - أسرة هان (206 قبل الميلاد - 220 ميلادية)

يتضمن عصر هذه الأسرة فترتين :

الأولى : من عام 206 قبل الميلاد إلى عام 24 ميلادية .

ثم اغتصب "وان مانج" العرش خلال الأعوام 9 - 23 ميلادية .

الثانية : من عام 25 ميلادية - 220 ميلادية .

9- عصر الانشقاق (221 ميلادية - 589 ميلادية) :

وحكمت الصين خلالها عدة أسر منها :

أسرة "وي" (220 - 265 ميلادية) .

أسرة تشين (265 - 419 ميلادية) .

10- أسرة سوي :

لبث حكمها من عام 590 ميلادية حتى 617 ميلادية .

11- أسرة تانج :

لبث حكمها من عام 618 ميلادية حتى 906 ميلادية .

12- عهد الأسر الخمس :

ظل اثنين وخمسين عامًا، من عام 907 إلى 959 ميلادية .

13- أسرة سونج :

وتنقسم إلى :

(أ) أسرة سونج الشمالية (960 - 1126 ميلادية) .

(ب) أسرة سونج الجنوبية (1127 - 1279 ميلادية) .

14- أسرة يوان :

أسرة منغولية الأصل، تولت حكم الصين خلال السنوات 1280 - 1367 ميلادية .

15- أسرة مينج :

حكمت الصين طوال الفترة 1368 - 1643 .

16- أسرة تشينج :

أسرة منشورية الأصل حكمت البلاد منذ عام 1644 ثم اقتلعتها ثورة 1911 تحت قيادة "ص يات صن "

17- عهد الكومنتانج :

ظلت الصين خاضعة للنظام الجمهوري الذي أعلنه صن يات - سن، ثم تولى زعامة حزبه المعروف باسم "الكومنتانج" تشانج كاي تشك، إلى أن أمكن للحزب الشيوعي القضاء عليه عام 1949 .

18- النظام الاشتراكي :

تولى الحزب الشيوعي الصيني عام 1949 حكم البلاد في ظل منحى تفكيري جديد على البلاد .

أما عن الحضارة فيرى بعض المؤرخين أن الشعب الصيني هاجر في البداية من أواسط آسيا إلى أعالي وادي النهر الأصفر في فترة زمنية تمتد من 3000 - 2500 قبل الميلاد، ومع ذلك فإن الكشف الأثري تحملنا على الاعتقاد بأن الصينيين يهتمون أن يكونوا قد وفدوا إلى شمال الصين قبل ذلك بعدة آلاف من السنين^(III).

ومن المعلوم أن الحضارات القديمة مثل حضارة السومريين (Sumers) وحضارة مصر القديمة ، والحضارة البابلية، والهندية كلها نمت وازدهرت في وديان ، وعلى ضفاف أنهار كبرى، فذلك الحال بالنسبة للصين التي أنشأت حضارتها على ضفاف نهر الهوانج هو "النهر الأصفر" في شمال الصين وفي منطقة تبعد حوالي 320 كيلو مترا جنوبي مدينة بكين الحالية .

وفي حين تذهب الأساطير الصينية القديمة إلى القول بأن الحضارة الصينية تمتد جذورها إلى نحو 3000 سنة قبل الميلاد - إلا أنه ليس هناك من الدلائل التاريخية أو الأثرية ما يدعم هذا القول . وتذكر بعض المصادر التاريخية الصينية المكتوبة أنه كانت هناك أسرة حاكمة صينية تسمى أسرة هسيا (Hsia) بدأت حكمها للصين في حوالي عام 2000 قبل الميلاد .

بيد أن أقدم الشواهد الأثرية تدل على وجود أسرة حاكمة صينية تسمى أسرة شانج (Shang) كان أول أباطرتها يسمى تانج (Tang) وقد امتد حكمه

خلال القرن السادس عشر قبل الميلاد، في الفترة من 1600 - 1500 ق . م
وكان هذا الحاكم يمارس سلطاته في العاصمة تشنج - تشو التي تقع على
نهر الهوانجهو (١٧).

ومن الخواص التي ميزت الحضارة الصينية أنها اخترعت العجلة
كوسيلة لتحريك المركبات - دون أن تتقلاها عن أية حضارة أخرى من
حضارات الشرق الأدنى. ومن ثم استطاع الصينيون صنع المركبات ذات
العجل والمحاور واستخدموها في حياتهم اليومية في زمن مبكر.

ومن ناحية أخرى فقد كان الصينيون أول من اهتدى إلى سر غزل
الحرير من شرنقة دودة القز، واحتفظوا بهذا السر لعدة مئات من السنين.

ولقد حاولت بقية الحضارات الاهتداء إلى أهمية الحرير وطريقة صنعه
فقنعت باستيراده من الصين. ومن العجيب أن اليابانيين كانوا أول من نقل
هذا السر من الصينيين.

ولقد استمرت أسرة شانج في ممارسة نفوذها لعدة قرون بسبب مهارتها
في صهر المعادن، واستخدام المركبات ذات العجل التي تجرها الخيول،
الأمر الذي دفع عنهم غائلة الغزو، ومن ناحية الشمال والغرب من جانب
القبائل الهجومية التي كانت تتحين الفرص لمداومة الحضارة المزدهرة في
وادي النهر الأصفر.

ولم يكن لدى أسرة شانج الرغبة في الغزو والتوسع وإنما كانوا يرغبون
في نشر أسلوب حضارتهم المتفوقة بين جيرانهم.

ثم ما لبث أن ظهرت مجموعة بشرية صينية يطلق عليها اسم تشو
(Chous) وفدت على البلاد من المرتفعات الغربية واتجهت صوب الوادي
الأوسط في المنطقة ما بين نهر الهوانجهو ونهر اليانجستي واستوعبت هذه

الموجة البشرية حضارة أهل الشانج، وانتهى الأمر بأن تمكن أهل تشو من الإطاحة بأمبراطور الشانج في عام 1027 ق.م.

وحقيقة الأمر أن حضارة التشو التي شهدتها الصين في عهد هذه الأسرة التي نسبت إليها هذه الحضارة قد نمت بشكل هائل حتى أصبح من المتعنين تقسيم البلاد إلى عدة مناطق ليسهل إدارتها، وأصبحت هذه المناطق بمرور الزمن تتنازع مع بعضها البعض وكان أقوى هذه المناطق وأشدّها بأساً هي منطقة تشو (Ch'u) في جنوب البلاد، ومنطقة التشين (Ch'in) في غربها، وانتهى الأمر بانتصار التشين وسيطرتها على كامل أراضي الصين. ومن هنا اتخذت الصين اسمها.

على أنه في عصر هذه الأسرة ظهر عدد من المفكرين والفلاسفة كان أبرزهم: كونج في تزي (Kung Fu-tze) حوالي عام 550 ق.م. وهو ذلك المفكر والمصلح المشهور كونفوشيوس (Confucius) ولقد تقلد كونفوشيوس منصب القاضي لمعظم حياته وانصبت اهتماماته على تحسين أحوال معيشة البشر من حوله، وكان هذا المفكر يظن أن ذلك التحسين لن يتأتى إلا عن طريق موقف معقول يتخذه المرء بازاء الحياة والناس من حوله.

وفي حوالي عام 220 ق.م. قام أحد الأباطرة الصينيين المشهورين بقوة شكيمته وشدة البأس هو: تشين شيه هوانج تسي (Chin Shih Huang-ti) بالقبض على زمام السلطة بيد من حديد، وتمكن في ظرف عشر سنوات من ضم كافة مناطق الصين في دولة قوية واحدة، وتمكن في الوقت ذاته من صد غارات البرابرة، وشرع في بناء سور الصين العظيم في الفترة ما بين 218-204 ق.م. ذلك السور العظيم الذي لا يزال الجزء كبير منه يطاول الزمان حتى يومنا هذا، وكان طول السور عند الإنتهاء من تشييده 1500 ميلاد ويعد بذلك أروع مشروع دفاعي في العصور شرقاً بوجه عام حتى بلاد تركستان الصينية متمشياً مع طبيعة سطح الأرض. وقد سخر

الإمبراطور تشين نحو من ربع مليون عامل ووضع ملايين من الدواب فى بنائه مما يشهد على ما يتمتع به الصينيون من صبر وجلد^(٧).

الصين تحت حكم أسرة هان Han العظيمة

رأينا أن آخر أباطرة أسرة تشين وهو شيه هوانج تى قد مهد السبيل أمام مزيد من ازدهار الصين، حيث خلف نظاماً إدارياً كان فى حقيقة الأمر النواة السليمة لقيام البيروقراطية المدنية العظيمة التى اشتهرت بها الصين منذ أقدم العصور، ذلك الجهاز البيروقراطى الذى سبق نظيره الرومانى بنحو قرنين كاملين من الزمان، كما سبق النظام المدنى البيروقراطى فى غرب أوروبا بنحو 1700 عاما على أقل تقدير.

ولما توفى هوانج تى عام 210 ق.م. قامت ردة على إصلاحاته، وخلفه أحد الفلاحين الصينيين ممن توافرت لهم القدرة والشجاعة يدعى هوليوبانج (206-195 ق.م.)، وكان هوليو أول حاكم من أسرة جديدة شهيرة فى تاريخ الصين القديم هى أسرة هان (Han)، هذه الأسرة التى دام حكمها للصين نحو أربعة قرون.

والجدير بالذكر أن ثقل وأهمية أسرة هان فى منطقة الشرق الأقصى كانت تضاهى ثقل وأهمية الامبراطورية الرومانية فى الغرب، فقد كانت الإصلاحات الإقتصادية والاجتماعية التى أنجزتها أسرة هان سبباً يكفل وحدة الصين وإزدهارها.

ومما يذكر فى هذا السياق أنه فى عصر هان تمكن الصينيون من إكتشاف أن صب الماء الساخن على أوراق شجر الشاي تنتج مشروب الشاي المعروف لنا حالياً، وعلى هذا النحو إزدهرت زراعة الشاي وإنتشر استخدامه والمتاجرة فيه. كذلك بدأ أباطرة هذه الأسرة فى مد نطاق أراضيهم لتشمل جنوب شرق آسيا وأواسطها. وسيطر الصينيون بهذه الكيفية على

مساحات من الأراضي تضاهى ما سيطر عليه الرومان فى أقصى اتساع بلغته إمبراطوريتهم.

ومن المظاهر الأخرى التى أثارت انتباه المؤرخين وجعلتهم ينظرون باحترام إلى حضارة الشعب الصينى هو اختراع الصينيين للورق فى نحو عام 100 بعد الميلاد وكذلك إنتشار الكتابة لديهم بإستخدام الفرشاة والمحبرة. وفى هذه المرحلة التاريخية من حياة الصينيين قام كتابهم بتأليف معاجم لغوية، ووضع قواعد اللغة وفضلا عن ذلك تمكن الصينيون خلال حكم أسرة هان من إكتشاف البارود وإن كانوا لم يستخدموه إلا فى الألعاب النارية^(٧).

وفى بداية القرن السابع استولت أسرة تانج على السلطة فى الصين وبدأ بذلك عصر جديد من عصور الحضارة الصينية تميز بموجة جديدة من الإختراعات الصينية مثل الطواحين المائية وتطور نظام الطباعة والأوانى دقيقة الصنع من البورسلين. وإشتهر عصر أسرة تانج بجمال النقوش والرسوم، وكذلك تم تطور نظام الخدمة المدنية فى عهد هذه الأسرة حتى أصبح لديها نظام متطور استطاع التنسيق الدقيق بين كافة أجهزة الحكم.

ومن الجدير بالذكر إنه فى هذه الفترة المزدهرة من التاريخ الصينى، إنتشرت الأفكار الصينية من كل من اليابان، وكوريا وكافة منطقة جنوب شرق آسيا ووصلت إلى منطقة التبت غربا. وفى هذه الآونة بدأت اليابان تظهر وتتفرض عنها أحوالها البدائية، وكان إنتشار البوذية فى اليابان سبباً فى تطوير سلوك وأفكار الياباني، وقامت اليابان من ناحيتها بعملية نقل حضارى واسعة، سواء فى نقل البوذية كفكرة وعقيدة أو فى نقل أسلوب المعيشة والعادات الإجتماعية ونظم الإدارة المدنية الصينية.

وعلى الرغم من إزدهار الصين فى هذا العهد إلا أن الصين تعرضت لمخاطر الغزوات من جانب الأتراك، والمغول، وفى حوالى عام 900 ق.م أصبحت أسرة تانج من الضعف بحيث لم يعد يتسنى لها مقاومة هذه الضغوط

الخارجية وبدأت هذه الإمبراطورية تخضع - ولاية بعد أخرى - لوطأة البرابرة حتى أن كيان الحضارة الصينية أصبح في مجمله مهدداً بالإنهيار حينما بدأ القائد المغولي المشهور جنكيز خان سلسلة هجماته وغزواته. ففي بداية القرن الثالث عشر اتجه هذا القائد العسكرى ببصره ناحية الصين وأعد نفسه لغزوها^(vii).

وتم كتابة التاريخ الصينى. وعاش أباطرتها فى بذخ شديد وقصور فخمة لكن ما لبثت الصين أن تعرضت إلى غزوة مغولية جديدة. وكان هؤلاء الغزاة الجدد هم عنصر المانشو (Manshus) ولقد سيطر هؤلاء الغزاة على مساحات شاسعة من شمال الصين. وبحلول عام 1628م كانت منشوريا بكاملها قد سقطت فى أيديهم. ولما لم يستطع آخر أباطرة منج الصمود وكان يدعى تشونج - تشانج (Shung - Chang) (1627 - 1644) انتحر وسيطر المانشو على عرش الصين بادئين نظام أسرة جديدة ظلت تحكم البلاد من حوالى 1662 حتى 1911م .

وعلى نحو ما تم مع غزاة الصين القدامى، ابتلعتهم الصين بحضارتها، بل أن المانشو انفسهم دعوا العناصر الصينية لمشاركتهم فى الحكم معهم. وكان أول أبرز أباطرة المانشو كانج هسى (Kang - His) (1662 - 1722م) الذى رحب بقدم رجال الإرساليات المسيحيين ولكن كانت تناوئته بعض الجماعات الصينية القوية التى كانت تعارض ورود الأفكار الغربية إلى البلاد. فلما توفى عام 1722م خلفه ابنه الذى قلب هذه السياسة رأسا على عقب وقام بطرد رجال الإرساليات المسيحية ، ومنع قدوم أية كتابات من الغرب، ودخلت الصين مرة أخرى فى ظل ستار من العزلة، فقد كان الصينيون يرتعدون فرقا لما كان يصل إلى أسماعهم من تدخل البريطانيين والفرنسيين فى الهند^(viii).

ثانياً: الأطماع الأوروبية فى الصين.

1- الكشوف الجغرافية

اعتبر الكثير من المؤرخين إن الإقترام الأوروبى للصين بدأ فى القرن التاسع عشر، والحقيقة أنه منذ القدم كانت للإمبراطورية الرومانية علاقات تجارية مع الصين وخاصة فى تجارة الحرير. وفى القرن السادس الميلادى نقلت دودة الحرير إلى القسطنطينية فلم تعد صناعة الحرير حكراً على الصين، وبالتالي تغير ميزان التبادل التجارى بين الغرب والشرق، وأصبحت السلع التى تستوردها أوروبا هى التوابل و(ix)سلع أخرى.

تعتبر حركة الكشوف الجغرافية التى تم شطر كبير منها فى القرن الخامس عشر الميلادى أهم نتيجة لعملية للنهضة الأوربية، إذ استطاع الملاحون الأوروبيون أن يحققوا أعظم نصر فى مجال الكشوف الجغرافية فى أواخر ذلك القرن. وتمثل هذا النصر فى حادثين، أولهما كشف الأمريكتين ابتداء من سنة 1492م على أيدى الأسبان، وثانيهما كشف الطريق البحرى من أوروبا إلى الهند حول رأس الرجاء الصالح سنة 1498م على أيدى البرتغاليين. وكان لهذين الحادثين نتائج عميقة الأثر فى تاريخ الصين إذ بدأ معها العصر الحديث للمناطق التى وصل إليها المكتشفون الأوروبيون.

1- البرتغال

وفى سنة 1511 استتب الأمر لسلطان البرتغاليين فى ملقا فى جنوب غرب شبه جزيرة الملايو، وبدأ العصر الحديث فى منطقة الشرق الأقصى بعد أن أصبح المحيط الهادى (الباسيفيكي) مفتوحاً للسفن الأوربية منذ ذلك الحين. ولقى البرتغاليون بشبه جزيرة الملايو كثيراً من الصينيين سمعوا منهم الشئ الكثير عن ثراء الإمبراطورية الصينية العريض وتجارها الضخمة. وكان أول برتغالى بلغ شاطئ الصين هو ((رافائيل بيرسترللو)) فى سنة 1516م، وقد سافر إلى هناك على إحدى السفن الصينية وعاد بعد رحلة شاقة مليئة بالمغامرة.

وفي السنة التالية زار ((جورجى ماسكارياس)) ميناء ((تشوانج تشاو)) وتبادل التجارة مع التجار الصينيين. وقد أُنعت المعلومات التي جمعها هذان الرائدان السلطات البرتغالية بفائدة فتُح باب التجارة مع الصين في مطلع القرن السادس عشر. وأعدت لذلك الغرض بعثة سياسية على رأسها ((توماس بيريز)) الذي حمل رسالة من ملك البرتغال إلى إمبراطور الصين، ولقى السفير استقبالا حسنا من قبل الصينيين في ((كانتون)) في جنوب شرقى الصين (X).

وأبلغت سلطات ((بيكين)) على الفور بوصول ((بيريز)) فسمحت له بالحضور إلى ((بيكين)). ولكن في نفس الوقت أخذت تبلغ مسامع بلاط أسرة ((منج)) الحاكمة حينئذٍاك معلومات ليست في صالح البرتغاليين. إذ أن سلاطين الملايو الذى كانوا بوصفهم تابعين للإمبراطور الصينى ويدعون الحق في حمايته لهم، كتبوا يستجدون به على الوافدين الجدد. وكان سلطان ((بيتانج)) بوجه خاص قد كتب تقريراً مفصلاً حذر فيه حكومة ((بيكين)) من أن البرتغاليين كانوا حين يفدون ابتغاء التجارة فإنهم يضمرون في أنفسهم التوسع والفتح، على نحو ما حدث في المحيط الهندى. كما أن أمير البحر البرتغالى الذى أوصل ((بيريز)) إلى ((كانتون)) تقدم بسفنه إلى ((شانج تشوان)) وأخذ يتصرف بالطريقة التى إعتادها ربابنه البرتغاليين بمنطقة الملايو، وأنزل رجاله وشرع فى بناء قلعة فى المنطقة التى نزل فيها. وهنا هاجمه الأسطول الصينى حتى أجلاه عن الموقع. ونتج عن تلك الحادثة بعد أن بلغت أنبائها مسامع ((بيكين)) أن رفضت الحكومة الصينية بطبيعة الحال استقبال ((بيريز)) وأمرت بإعادته إلى ((كانتون)) حيث مات سجيناً.

ومن الملاحظ أن الصينيين لم يكن يخامرهم فى ذلك الوقت الإحساس بالكراهية للأجانب ذلك أن أسرة ((منج)) وإن كانت ذات نزعة قومية، وتمثل نهضة الثقافة الصينية بعد حكم أسرة ((يوان)) المغولية، فإنها كانت مستعدة

للترحيب بكل علاقة تعقد أواصرها مع الأجانب، كما لم يكن يحدوها في ذلك الوقت روح الاعتزال، ولكن تصرف البرتغاليين وسلوكهم البربري نحو شعوب آسيا حينئذٍ أدى إلى هذا الموقف المتحفظ من جانب الصينيين، ومن الواضح أن حكام ((الملايو)) المسلمين كانوا يعلمون بالجرائم التي كان يرتكبها البرتغاليون في المحيط الهندي، وقد أبلغوا بها حكام الصين في الوقت المناسب^(x).

على أن البرتغاليين من جانبهم حاولوا من جديد مرارا فتح العلاقات الدبلوماسية مع ((بيكين))، ولكن الرفض المهين كان نصيبها على الدوام حتى القرن التاسع عشر. ففي عام 1522م وصل ((أفونسو مارتنز)) ومعه عمارة بحرية آملاً أن يؤذن له بالوصول إلى ((بيكين)) فهوجم ودمرت سفينته. وكانت المحاولة الثانية في عام 1552م، لكنها لم تتقدم عن ((ملقا)) حيث نصح حاكمها البعثة بأن تعود إدراجها علماً منه بموقف الصينيين في هذا الصدد. وقد قام البرتغاليون في المرة الثالثة بأخطر جهد بعد ذلك بمائتي عام، ووصلت بعثتهم إلى ((بيكين)) فعلاً. وقد استقبل الإمبراطور الصينيين هذه البعثة، وسجد رئيسها ((اسكندر متللو سوزا)) بالطريقة المتبعة في البلاط الصيني وتلقى هدايا الإمبراطور إلى ملكيه وهو راعع على ركبتيه، وإعترها الصينيون على طريقته المألوفة سفارة تحمل إليهم الجزية.

ورغم أن الصينيين لم يسمحوا بتطور أية علاقات سياسية أو دبلوماسية، إلا أن البرتغاليين واصلوا القيام بتجارة مزدهرة مع الموانئ الصينية الجنوبية، خاصة وأن الحكام المحليين هناك يشجعون الإتصال التجاري بالأجانب، الذين كانوا يحضرون تلك البضائع الثمينة لبيعها. على أن سياسة البرتغاليين وإدعائاتهم المسرفة في السيادة العليا على الشرق ما لبثت أن أفضت بهم إلى النزاع مع السكان والحكام المحليين، ولهذا فإنهم لم يلبثوا أن طردوا من موانئ الصين. أما بالنسبة لـ ((أماكاو)) البحرية التي سمح لهم

باستخدامها في سنة 1557م - وهي على جزيرة صغيرة سمح لهم أمير بحر صيني كان يتعقبه القراصنة وتلقى عوناً من إحدى السفن البرتغالية فأظهر اعترافه بالجميل وسمح للبرتغاليين فيها كان رهناً للظروف، ومقامهم فيه مقام الملتمس الضارع، البلاط ((بيكين)) بل لمرءوسين محدودى السلطة بمدينة ((كانتون)).

وظل هذا الحال على ما هو عليه حتى أسس البريطانيون والفرنسيون السيطرة الأوربية ببلاد الصين في القرن التاسع عشر^(xii).

2- الأسبان

أما بالنسبة للأسبان فقد شكلوا الجيل الثانى من الأوربيين الذين اتصلوا بالصين، وقد وصلوا إلى جزيرة ((الفليبين)) في وقت مبكر من القرن السادس عشر الميلادى. وقد تم لهم غزو الجزر وإنشاء مدينة ((مانيلا)) في سنة 1571م، كما تم لهم الإتصال بالسفن الصينية وتبادل التجارة معها. وكان أول من زار الصين من الأسبان قسيسين هما ((مارتن دهيرادا)) و((جيرونيمو مارين)). وتأسست العلاقات الودية مع سلطات الصين الجنوبية، ولما بلغ القرن نهايته حصلوا على الإنز بالإتجار في ((كانتون)).

ولكن الأسبان لم يكن حظهم من النجاح أعظم من حظ البرتغاليين فى محاولتهم إنشاء العلاقات الدبلوماسية مع الصين، وإن ازدهرت تجارتهم مع الفليبين بدرجة ملحوظة. وكانت نوعاً غريباً من التجارة، ذلك لأن الفليبين كانت تستخدم كمستودع لبضائع المكسيك. وكانت تجارة أسبانيا مع الصين تتم عن طريق أمريكا الوسطى. وقد ظلت الفضة المستخرجة من المناجم الأمريكية يتقاىض عليها مقابل المنسوجات الآسيوية المصنوعة من القطن والحرير، ومقابل التوابل والخزف الصينى.

3- الهولنديون

أما بالنسبة للهولنديين فقد بدأ نجمهم فى الظهور بعد أن تمكنوا من إبعاد خصومهم البرتغاليين رويدا من مناطق الأرخبيل الأندونيسى فى مطلع القرن السابع عشر. وقبل عام 1619م تهيأ للهولنديين إقامة مصنع ((بجاكرتا)) التى أطلقوا عليها إسما جديداً هو ((باتافيا)) وبفضل هذا العمل كما يقول القائد الهولندى فى تقرير له ((أحرزنا موطن قدم ومستعمرة على أرض جاوة)). ولم يلبث الهولنديون أن تبؤوا شيئاً فشيئاً وإلى حين نفس المنزلة التى كانت للبرتغاليين فى البحار الشرقية.

وقد تمكن الهولنديون فى سنة 1622م من إحتلال ((فرموزا))، التى لم يكن الصينيون قد إستقروا فيها فعلاً فى ذلك الحين. وإستقر الهولنديون ((بتايوان)). وأقاموا لأنفسهم حصناً فيها، وأصبحت هذه الجزيرة ذات أهمية كبيرة فى العصر الحديث. وقد إستخدم الهولنديون جزيرة فرموزا بحيث أصبحت مركزاً لتجارته، وكانت تمثل لهم ميناء وسيطاً فى علاقاتهم المتطورة مع اليابان. وقد هاجم الصينيون ((فرموزا)) بقوة بلغت خمسة وعشرون ألف رجل، وإضطروا الهولنديون إلى التسليم بعد أن عانوا من الحصار الطويل، وقد تم ذلك فى عهد أسرة ((منج)) الصينية، التى أعقبت أسرة ((منشو)) التى ظلت تحكم الصين حتى سنة 1911، والتى تطورت فى عهدها العلاقات بين الشرق الأقصى والقوى الأوربية. وكان إستبدال أسرة ((منشو)) القوية بأسرة ((منج)) الضعيفة العاجزة مدعاة لتقوية الصين فى وقت كانت له أهميته وخطورته، ذلك أن قبائل التخوم الشمالية أمثال المغول، قد أعلنت فى أخريات أيام أسرة ((منج)) خروجها عن سيادة الصين، وكذلك فعلت مثلها بعض القبائل شبه المستقلة الذى حدث فعلاً حينذاك أن أسرة ((منشو)) التى عرفت أيضاً باسم أسرة ((كشنج))، كانت قد بدأت حكمها فى ((بيكين))، وكانت رقعة بلاد الصين قاصرة على المناطق الواقعة جنوبى سور الصين العظيم. ثم تعاقب على الإمبراطورية عدد من الحكام الأقوياء تمكنوا من إحكام الترابط بين مختلف أجزاء الإمبراطورية، كما أوقفوا

التوسع الروسى عند حده على نهر عامور. ثم أعادوا فتح إقليم ((سنتكيانج)) ووضعوه تحت سيطرتهم الفعالة، وتدخلوا بالقوة فى بلاد التبت، ووضعوا أسس مبررات الصين للسيطرة عليها. وتم فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر بسط سلطان الصين على أوسع رقعة بلغت من التخوم الشمالية لكوريا شمالاً إلى كمبوديا، ومن المحيط الهادى إلى جبال الهيمالايا وجبال قرة قورم (xiii).

4- الإنجليز

أما بالنسبة للإنجليز وبداية علاقتهم مع الصين فإن أول محاولة لهم لدخول البحار الصينية تمت بناء على إتفاقهم مع الهولنديين الذين نافسوهم فى تجارة الهند الشرقية. وفى عام 1619م عقدت بين شركة الهند الشرقية الهولندية وشركة الهند الشرقية الإنجليزية معاهدة، اتفق فيها على إحلال إحدى الجزر الواقعة على مقربة من السواحل الصينية، وعلى إجبار المراكز التجارية التابعة للصين على قصر معاملاتها التجارية على الهولنديين والإنجليز دون سواهم. وإتفق الطرفان أيضاً على أن يكون لهما ((مجلس دفاع مشترك)) غير أن هذه المعاهدة الهولندية الإنجليزية فشلت نتيجة لمحاولة الهولنديين العمل على إحتكار التجارة. ولهذا صمم التجار الإنجليز على التقاهم مع البرتغاليين، ولم يلبثوا أن حصلوا على رخصة من نائب الملك البرتغالى بجوا، وجهزوا عدة سفن بقيادة القبطان ((ودل)). وكانت المعلومات التى لديهم عن أحوال بلاد الصين من الضالة بحيث أن ((ودل)) رأى أن يقتصر على استحضار بعض خطابات التعريف من سلطات جوا إلى حاكم ((مكاو)) حتى يتمكن من تبادل التجارة مع الصين. على أن القهر المزرى التى كانت السلطات الصينية ترهق به البرتغاليين فى ((مسكا)) لم يتح لهم أن يقدموا إلى الإنجليز كل مساعدة ممكنة. ومن أجل ذلك أخذ الربان الإنجليزى على عاتقه أن يحصل على النتيجة قهراً، فأعد صندوقاً وزورقاً

من زوارق السفن زودهما بخمسين رجلاً ودفع بهما داخل نهر ((كانتون)). على أن السلطات الصينية أوقفت هذه المحاولة، وأمرت القائمين عليها بالإبتعاد عن النهر المذكور.

وتصرف الإنجليز كعادتهم ((بكبرياء)) وطالبوا بأن يسمح لهم بالمرور عبر الأراضي الصينية وتبادل التجارة بحرية كاملة^(xiv).

ومن الطبيعي أن هذا الموقف الذى اتخذته الإنجليز وهو موقف الفاتح الذى يقدم الشروط أدى إلى عواقف وخيمة. إذ أنزلت السفن الإنجليزية حملة قوامها مائة رجل واحتلت قلعة صغيرة قرب النهر، ورفعت بكبرياء ((علم جلالة ملك بريطانيا العظمى على الجدران))، ثم إرتكبوا فى النهر أعمال قرصنة. غير أن الصينيين أظهروا صبراً جميلاً، كما أن اثنين من كبار السفينة طلبتها ((كانتون)) حيث إعتثر القبطان ((ودل)) عن مسلكه فسمح له بأن يشحن بضاعته ويعود إلى بلاد الهند.

وفى سنة 1685م حصلت شركة الهند الشرقية البريطانية من السلطات الصينية على حق إنشاء مصنع بمدينة ((كانتون))، كما إفتتحت مركزاً تجارياً فى ((نانجيو)). وبعد عام 1700م أصبحت سفن شركة الهند الشرقية تتردد على ((كانتون))، وفى سنة 1715م أنشئ مصنع دائم فى تلك المدينة. ولما تزايدت تدريجياً قوة شركة الهند الشرقية الإنجليزية ونمت مواردها بتلك الدرجة الهائلة ببلاد الهند، فقد أصبح للإنجليز إبان القرن الثامن عشر نصيب الأسد فى التجارة الصينية. وكان الشاى يمثل السلعة الرئيسية لشركة الهند الشرقية ببلاد الصين. وكانت مصلحة البريطانيين تنحصر بوجه رئيسى فى الإتجار فى الشاى الأسود الذى تنتجه ولاية ((فوكين))، ومنها كان يحمل إلى ((كانتون)) ويشتري عن طريق رابطة التجار الصينيين المعروفة باسم ((الكوهونج Co-Hang)) التى كانت تحتكر التجارة، وأصبحت المبالغ التى يستثمرها المشترون الأوروبيون الآخرون لا تصل إلى سبع ما تستثمره

منه ان بريطانية، وقبل أن يقع بين الثامن عشر نهايته كان الشاي قد
مع شرباً قومياً بإنجلترا. وقد ساد قيمة المبالغ الهائلة المستخدمة في ذلك
مستشار رصبط الميزان التجاري فشجعت الشركة على بيع الأفيون
لصين، خاصة بعد أن حوله ((وارن هاستنجز)) إلى إحتكار له ببلاد الهند.

وقد أصبحت لشركة الهند الشرقية البريطانية أكبر جالية مع الأوروبيين
المقيمين ببلاد الصين. ومع ذلك فقد كانت أول بعثة سياسية تصل إلى
((بيكين)) وهي تحمل أوراق إعتقدها من الملك جورج الثالث وكان يرأسها
((لورد مكارنتي)) في أواخر القرن الثامن عشر. وكانت بعثة غير عادية،
بدأت أعمالها بعد إعدادات محكمة، وبعدد ضخم من الموظفين. وسافر السفير
وحاشيته في مركب رسمي ضخم إلى ((بيكين))، ولكنه كان يرفع علماً
مكتوباً عليه بالصينية ((السفير الذي يحمل الجزية من بلاد الإنجليز)).

ومع ذلك فإن اللورد ((ماكارنتي)) تصرفاً مليئاً بعظيم الهيبة
والكرامة، وأبى السجود على الأرض، ولم يوافق إلا على تقديم أوراق
الاعتماد، راکعاً على ركبة واحدة، وأبدى الإمبراطور الصيني ((تشين لنج))
تلفاً عظيماً مع السفير، ولكن النتائج السياسية والتجارية للبعثة كانت سلبية
محضة.

ثم أرسلت بعثة أخرى في عام 1816م برئاسة اللورد ((أمهرست))،
وإضطرت إلى العودة من ((بيكين)) لأن الصينيين أصرّوا على ضرورة
سجود السفير أمام الإمبراطور، بينما أصرّ السفير بثبات لا يقل عن ثبات
الصينيين على عدم النظر في تلك المسألة مطلقاً. وقد ظل الموقف على تلك
الحال حتى صممت بريطانيا على إنهائه بعد أن قويت شوكتها بفتح بقية
الصين، مما جعلها تفرر استخدام القوة لإرغام الصينيين على التجارة في القرن
الـ 19 عشر فيما عرف بحرب الأفيون الأولى فيما بين عامي (1839-
1860م) الثانية فيما بين عامي (1857-1860م) (XV).

5- الفرنسيون

كان الأسلوب الفرنسي في التوسع الاستعماري بوجه عام يتخذ شكل إرسال المبشرين الفرنسيين ليمهدوا السبيل أمام الاستعمار الفرنسي. ونرى ذلك في إرسال فرنسا عام 1610م للمبشر ((إسكندر ريس)) في مهمة لتقصي أحوال الهند الصينية. وقامت مجموعة أخرى من رجال الجزويت الفرنسيين بتمهيد الطريق لكي تفرض الحكومة الفرنسية سيطرتها على كمبوديا ، وأنام ، وسيام ، وجنوب بورما. ولكن النفوذ الفرنسي كان قد تلاشى من المنطقة نهائياً بحلول عام 1688م نظراً لتعصب هؤلاء المبشرين بشكل زائد.

ومن المعلوم أنه كانت هناك منافسة بين الفرنسيين والبريطانيين للسيطرة على الهند ولكن فرنسا خسرت في صراعها مع بريطانيا على الهند، الأمر الذي جعلها تولى وجهها شطر الهند الصينية لعل في ذلك تعويضاً لها عن الهند ، واتبعت فرنسا أسلوب التدخل في الصراع الداخلي على العرش، فعمدت إلى مساعدة الملك المخلوع ، وبذلك أمكن لها الحصول على قواعد في مملكة أنام.

6- الروسيون

بعد أن تمكنت موسكو من استعادة استقلالها عام 1480م في عهد إيفان المربع (1462-1505م). ووقفت الدول الأوروبية لتحول دون تحقيق أطماع الروس في الغرب وإتجهوا ناحية الشرق فعبروا جبال الأورال وتوغلوا فيه^(xvi) وكان المغول في طريقهم للإضمحلال لذلك امتد النفوذ الروسي إلى نهر أوب ، واستمر إمتداده جهة الشرق عبر سيبيريا وفي حوالي عام 1652م بدأ الغزاة القوزاق يصطدمون بالقوات الصينية.

وقد بذلت روسيا جهوداً في عام 1654م من أجل إقامة علاقات دبلوماسية وتجارية مع الصين لكن هذه الجهود منيت بالفشل لإصرار الصينيين على أداء ممثلي الروس مراسم (الكاوتاو) التي تقضى بالسجود ثلاث مرات أمام الإمبراطور ورفض الممثلين الدبلوماسيين الروس للقيام بهذه المراسم. وإتسمت العلاقة بين روسيا والصين بنزاع مستمر على الحدود وقد استمرت حرب الحدود بين الدولتين خمساً وثلاثين عاماً لم يعد بعدها السلام بين الجارتين إلا في عام 1689م وقعت روسيا والصين معاهدة ((نيرشينسك)) التي تضمنت إقرار الحدود ، وبعض الشروط التجارية الأخرى بين البلدين^(xvii).

ولم تثبت أن ثارت المنازعات بين البلدين عام 1699م حول نقض شروط المعاهدة، الأمر الذي أدى إلى توقف التجارة بين البلدين. وفي عام 1720م كان قد تم إجتماع بين ممثلي البلدين أمكن فيه الوصول إلى حل مسألة ((الكاوتاو)) وقد أذى أحد ممثلي الإمبراطور مراسم الكاوتاو أمام سفير القيصر، فرد السفير بأداء هذه المراسم أمام الحاكم الصيني وبذلك تكون الصين قد إعترفت لأول مرة بدولة أوروبية ، وأبرمت معها شروطاً تقبل فيها المساواة.

على أنه قد أعيد النظر في معاهدة نيرشنسك بمعاهدة جديدة سميت معاهدة كياختا لعام 1727م أبرز ما فيها إتاحة الفرصة أمام روسيا لإقامة كنيسة في بكين ، وإرسال بعض القساوسة لخدمة الروس المقيمين هناك^(xviii).

2- المصالح الأوروبية

في الوقت الذي إنطلقت فيه الدول الغربية تبحث عن مستعمرات لها في الشرق لتصريف منتجاتها بعد الثورة الصناعية، فقد وجدت بريطانيا في الهند غايتها ووجدت فرنسا في فيتنام مطلبها، ولكن الملاحظ أن الولايات المتحدة الأمريكية بسبب سياسة العزلة ، ومبدأ مونرو الذي كانت تتبعه لم تقم

بمجاراة الدول الأوروبية في سياساتها الإستعمارية التوسعية، إلا أن وصول المهاجرين الصينيين واليابانيين إلى كاليفورنيا وإكتشاف السفن البخارية دفع الولايات المتحدة نحو الشرق ، وبدأت ضغوطها عليه- بل أنا الصين كانت أكثر تعرضاً للضغط الغربي وخضوعاً له.

كانت الصين ترزح تحت عبء التعويضات الفادحة التي أرغمتها الدول الأوروبية على دفعها، وأصبحت في موقف ضعيف بسبب إستثماراتها الضخمة في السكك الحديدية، والديون الخارجية، وأرغمت القوى الغربية الصين على السماح بنشر الديانة المسيحية في أراضيها، كما قامت القوى الغربية بإخضاع واستعمار الدول الخاضعة للسيادة الصينية، وتغيرت مجريات الأمور ابتداء من عام 1720م فقد إشتد الجدل المعروف ((بجدل الطقوس Rites Controversy)) في ذلك العام بين أسرة تشي ينج Chi'ng الحاكمة في الصين، وبين بابا روما، وأيهما أحق بالسلطة العليا، ونتيجة هذا الصراع قام الإمبراطور الصيني كانجشى Kangshi بحظر الديانة المسيحية في الصين، ولكنه لم يحظر المعارف الغربية فقد كان يعتقد بأن العلم والدين منفصلان، وأعلن عن ذلك بقوله أن المملكة تكرم أى رجل صاحب علم، ولكن الأباطرة الذين جاءوا بعد كانجشى تمسكوا بمبدأ العزلة والإستبعاد الثقافى وعملوا على حظر نشر المعارف الغربية في الصين وبذلك توقف إنتشار المعارف الغربية في الصين من عهد تشين لنج (1736-1795م) وحتى حرب الأفيون، هذه الفترة كانت كافية لإحداث آثار سلبية عانت منها الصين الكثير بعد ذلك.

ومن الناحية التعليمية نذكر أنه في عام 1862م وبعد مضي حوالى إثنان وعشرون عاماً على حرب الأفيون الأولى إفتتحت أول مدرسة لتعليم العلوم الغربية في الصين، وكان عدد الصينيين الذين يعرفون قراءة الكتب الغربية في تلك الفترة أحد عشر شخصاً فقط، وفي عام 1872م أرسلت حكومة تشي

ينج Chi'ng أول بعثة دراسية للخارج ضمت 210 طفلاً، وفي أواخر الثمانينات ظهرت مجموعة من المثقفين الذين توافرت لديهم دراية بالمعارف الغربية وقبل ذلك كان التعليم يتم في مدراس القرى^(xix) حيث يقوم معلم واحد بتعليم أبناء أغنياء القرية أما فقراؤها فقد ظلوا أميين، ولم تكن الدولة هي التي تتفق على هذه المدارس، ذلك أن التعليم في الصين بقي مستقلاً عن الدولة، وكانت المادة التعليمية مقتصرة على كتابات كونفوشيوس، وشعر تانج، وطريقة التعليم كانت عن ظهر قلب. وكان النظام التعليمي هو الذي يؤهل المتعلمين لتولي المناصب العامة بالإمتحان حيث يمتحن المتقدم للمنصب في قوة تذكره وفهمه ومقدار ما يعرف من الشعر، ومن ينجح في هذا الإمتحان يتقدم للإمتحان النهائي الذي يعقد في بكين حيث كانت ردهة الإمتحان في تلك المدينة تحتوى على عشرة آلاف حجرة إنفرادية يقضى المتسابقون فيها ثلاثة أيام في عزلة تامة ومعهم طعامهم وفراشهم يكتبون مقالات أو رسائل في موضوعات تعلن لهم بعد دخولهم إلى الحجرة الإنفرادية.

لقد شدد الصينيون على أهمية القراءة والكتابة ومطالعة الكتب، وجعلوا سلطة الحكام نابعة من إتساع علمهم، وأصبحت هذه الأفكار ضرورية لإختيار رجال الدولة في الصين هذا النظام التعليمي^(xx) كما أنشأت الصين مدرسة حديثة مهمتها دراسة تعاليم ((كنفوشيوس)) وشرحها والتعليق عليها، وأصبح لهذه المدرسة أثر كبير في نهضة الفكر الفلسفي في جنوب شرق آسيا^(xxi).

أما من الناحية التجارية فإنه منذ نهاية القرن الثامن عشر، كانت الصين أحد أضلاع المثلث التجارى، وكانت بريطانيا والهند هما الضلعان الباقيان، وكانت هذه التجارة تمارس من ميناء كانتون، وتحت رقابة الحكومة، ومع ذلك فقد خاضت الصين حربين ضد بريطانيا عام 1841م و1856م

المعروفتان بحربى الأفيون، كانت بريطانيا تسعى من وراء هاتين الحربين التوسع فى تصدير الأفيون للصين وفتح أسواق الصين أمام منتجاتها القطنية بعد إزدهار هذه الصناعة فى بريطانيا. اضطرت الصين للرضوخ أمام المطالب البريطانية التى كانت مرفقة بالتهديد بإستخدام الأسطول البريطانى ووقعت الصين معاهدة نانكنج Nanking عام 1842م وتيانسن Tiensin عام 1858م وبكين Peking عام 1860م وتنازلت عن هونج كونج وكولون Kowloon لبريطانيا.

كما أرغبت على دفع تعويضات ضخمة. وقد حصلت بعد ذلك كل فرنسا والولايات المتحدة على نفس الحقوق التى حصلت عليها بريطانيا فى معاهداتها مع الصين.

تضمنت المعاهدات والإتفاقيات التى وقعتها القوى الغربية مع الصين فقرات غير عادلة، كبقاء الوزراء، والقناصل بصفة دائمة وتمتعهم بإمتيازات ترتبط بمراكزهم، وإنخفاض معدلات التعريفات الجمركية، والرسوم الجمركية التقليدية وإقامة مستوطنات أجنبية، والإمتيازات القنصلية فى القضاء، وتمتع رعايا الدول الأجنبية بحق الدولة الأولى بالرعاية، ومن البنود العجيبة شرعية الإتجار بالأفيون، وحق التجار الأجانب فى ممارسة الأنشطة التجارية داخل الصين والسماح بنشر الديانة المسيحية وتعيين مفتش عام أجنبى بالجمارك للإشراف على الجمارك البحرية بالصين، كذلك تنازل الصين عن هونج كونج وكولون Kowloon وقيامها بدفع تعويضات مالية ضخمة. لقد مارست بريطانيا والقوى الغربية ضغوطاً عسكرية، وسياسية كبيرة على الصين نظراً لأن أسواق الصين الإستهلاكية كانت تحظى بنصيب وافر من الإهتمام الغربى (xxii).

حرب الأفيون الأولى

كانت مدينة كانتون من أهم المراكز التجارية في الصين، وتوالى عليها الأوروبيون بدءاً من البرتغاليين في القرن السابع عشر، وبقي الوضع هكذا حتى حصل البريطانيون على حق إنشاء مصنع فيها عام 1684م، ومع نهاية القرن السابع عشر تقاسمت الدول الأوروبية الإستعمارية الكبرى النفوذ في كانتون.

حافظ عنصر المانشو على الحكم في الصين منذ عام 1644م عندما هرب آخر حاكم من أسرة منج من قصره في بكين، وشنق نفسه في شجرة. ومن ذلك التاريخ وعصر المانشو يحكم في الصين، وكان هذا العنصر مترفعاً فلم يعمل بالتجارة وإنما كانت الحياة العسكرية الوراثة هي السائدة.

كان عدد المانشو يقارب خمسة ملايين من بين أربعمئة مليون صيني وكانوا يسيطرون على المراكز الهامة منذ حكم أسرة تشنج عام 1644م وحتى عام 1912م بما في ذلك فترة خمسون عاماً من حكم الإمبراطورة الوالدة تزوهسي التي حكمت من عام 1861م حتى عام 1901م.

من جهتها ما لبثت أوربا أن نشطت إستعمارياً بعد إكتشاف الطاقة البخارية وإستخدامها لمضاعفة إنتاجها، وبالتالي ظهرت ضرورة التفتيش عن أسواق ومستعمرات لها مما دفعها لإتباع سياسة الاستعمار، وما يستتبعها من حروب.

كان الإنقلاب التجارى الذى حدث مع الكشف الجغرافية هو الذى مهد الطريق للإنقلاب الصناعى. وكان البرتغاليون هم أول الواصلين إلى الصين ثم بدأ الاحتكاك الشرقى بالغرب، ورفض الصينيون الوجود الغربى، وعاملوا الأوروبيين معاملة القراصنة فألقوا بممثليهم في السجون، بل أن الصينيين إنتقموا من البرتغاليين بتدبير مذابح جماعية ضدهم. ولكن البرتغاليين ساعدوا الصينيين ضد القراصنة فكانت مكافأتهم أن أعطاهم الصينيون حق الإقامة

فى ماكاو، وشيد البرتغاليون فى تلك المدينة مصانع لصنع الأفيون عمل فيها الرجال، والنساء، والأطفال وجلبت هذه الصناعة على البرتغاليين الكثير من الأموال.

وفى مستهل القرن الثامن عشر بدأ إستيراد الأفيون من الهند إلى الصين، وحرمت الحكومة الصينية على الشعب تعاطى الأفيون الذى تجلبه بريطانيا، وكما رأينا فإن الأفيون كان معروفاً سابقاً، ولكن فى القرن التاسع عشر إزداد إستيراده بكميات ضخمة، صحيح أن إستعماله سابقاً كان لدواع طبية غير أن تعاطيه كمخدر دفع الحكومة الصينية لتحريمه^(xxiii).

لم يصبح الأفيون كارثة على الشعب الصينى إلا عندما إحتكرت شركة الهند الشرقية البريطانية حق الإتجار به، فعمدت الشركة إلى إغراق جنوب الصين به إنطلاقاً من ميناء كانتون.

وبالرغم من تحريمه فإن تهريبه كان يتم على نطاق واسع الأمر الذى جعل الأوضاع متوترة بين الصين وبريطانيا. وفى عام 1833 فقدت شركة الهند الشرقية البريطانية إحتكار التجارة مع الصين وحل محلها ممثل التاج البريطانى مباشرة مما يعنى أنه فى حال وجود نزاع بين الصين وبين الشركة فإن ذلك النزاع يعرض مباشرة على التاج البريطانى.

أن رفض البريطانيين تنفيذ القوانين الصينية خلق وضعاً متوتراً فى بكين عام 1838م لإصدار أوامر بالتشديد فى تنفيذ قرار تحريم إستيراد الأفيون بسبب النتائج الأخلاقية السيئة الناتجة عن تعاطيه.

فى هذا الوضع المتأزم أرسلت الحكومة الصينية موظفاً من قبلها يدعى لين إلى كانتون عام 1839م وكان يتمتع بصلاحيات واسعة لوقف تجارة الأفيون، وقام لين بإصدار أوامره إلى جميع الأجانب بضرورة تسليم ما لديهم من أفيون للحكومة الصينية وتوقيع تعهدات بعدم التجارة فى هذه المادة فى

المستقبل. وتمكن لين من جمع كمية من هذا المخدر بقدر ثمنها بستة ملايين دولار وقام بإعدامها فوراً مما أدى إلى دهشة الأجانب الذين اعتبروا هذا العمل إستفزازياً. وتزعمت بريطانيا مقاومة السياسة الصينية، وأصر القائم برعاية التجارة البريطانية على تحدى الأوامر الصينية وأمر التجار البريطانيين بمغادرة كانتون.

وفى 7 يوليو 1839م قام بعض البحارة البريطانيين بعصيان فى مدينة كانتون أسفر عن مقتل أحد الصينيين، فظهرت على الفور مشكلة الإختصاص القضائى ورفض البريطانيون تسليم المسؤولين جريمة القتل، وقام لين بتحدى هذا الرفض، وذلك بمنع السفن من توريد المواد الغذائية إلى هونج كونج وماكاو البريطانيتين.

وفى 3 نوفمبر 1839م جرى تبادل إطلاق نار بين السفن الصينية، والسفن البريطانية وإعتبر هذا العمل بداية حرب الأفيون الأولى (1840-1842م)، وفى هذا المجال يشير البريطانيون إلى أن هذه الحرب لم تكن حرب الأفيون بقدر ما كانت رداً على غطرسة الحكومة الصينية ورفضها لإستقبال ممثليهم، وأن الحكومة الصينية وضعت أمام مندوبى بريطانيا العقبات، والضرائب الباهظة، والمحاكم الفاسدة والمرتشية التى أقامتها القوانين الصينية لتعطيل التجارة المنظمة والمشروعة^(xxiv) إلى جانب رغبة إنجلترا فى ضرب القلاع الموجودة عند مصب نهر سيكيانج، فتمكنت إنجلترا من الاستيلاء على شنغهاى 1842م ثم ناكين دون صعوبة نظراً لقلّة عدد جيش المانشو الذى لم يتعد عدده عن 8000 رجل فاضطرت الحكومة الصينية إلى التسليم^(xxv).

معاهدة نانكنغ

لقد أطلقت السفن البريطانية مدافعها على المدن الصينية مع أنه كان في وسعهم الوصول إلى الشاطئ وإرغام الصينيين على طلب الصلح. وعرض البريطانيون شروطهم على الصينيين والتي تتلخص في :

— دفع قيمة الأفيون المصادر من قبل الصين.

— معاملة الموظفين البريطانيين معاملة لائقة بعدم الخضوع للقانون الصيني.

— تنازل الصين عن إحدى الجزر وهي هونج كونج لتأمين سلامة التجارة البريطانية.

— فتح خمسة موانئ للتجارة البريطانية.

— تتعهد الصين بعدم فرض رسوم جمركية على الواردات البريطانية تزيد على 5% من قيمة هذه الواردات. وقد كان لذلك أثره الخطير على تقلص نمو الصناعة الصينية.

أمام القصف المدفعي عرض الموظفون في كانتون شروطاً لوقف النار لم ترض البريطانيين، وفي مايو 1841 دفعت بريطانيا للصين ستة ملايين دولاراً تعويضاً عن الخراب الذي أصاب كانتون. وفي 29 أغسطس 1842 تم توقيع أول معاهدة غير متكافئة مع الصين هي معاهدة نانكنغ التي سببت ضياع الكثير من هبة الصين ذلك أنها لم تذكر شيئاً عن الأفيون، بل أن الصين تخلت بموجب هذه المعاهدة عن هونج كونج للبريطانيين الذين أرغموا الصين على تخفيض ضرائبهم إلى 5% وفرضت على الصين غرامة حربية لتغطية نفقات الحرب وما أتلّفه من أفيون واشترطت أن يحكم الرعايا البريطانيون في الصين أمام محاكم بريطانية. كما تم إلغاء نظام الوهونج وأصبح التجار البريطانيون أحراراً في تجارتهم الداخلية مع الصين.

وطلبت عدة دول أخرى منها الولايات المتحدة وفرنسا أن تطبق هذه الإمتيازات الأجنبية على تجارها ورعاياها المقيمين في الصين وأجيببت هذه الدول إلى طلبها^(xxvi).

كانت هذه المعاهدة بداية الإنحلال للنظام القديم، ذلك ان حكومة الصين سخرت من الأوروبيين بادئ الأمر، ثم تحدثهم وإنهزمت أمامهم فضعف سلطانها، وما لبثت القوى المحلية التي كانت صامتة إن بدأت بالتململ من سياسة حكومتها، فكانت ثورة التايبنج.

ثورة التايبنج 1856م

وتعنى السلم العظيم وهى وسيلة تعبير إعتزها الشعب الصينى ضد سياسة حكومته الخاطئة مع الأجانب، وتعتبر هذه الثورة نتيجة إحتكاك الصين بالغربيين. ذلك الإحتكاك الخاطئ الذى ولد سخطاً لدى الوطنيين فمن أسباب الإضطهاد التى قامت مثلاً : السماح بإستيراد القطن المغزول وهذا يعنى القضاء على مورد رزق كثير من النساء التى كانت تكسب عيشها من غزل القطن.

قائد هذه الثورة مدرس يدعى هونج هسيو تشوان Hung Hsiu Chuan رأى فى حلمه دعوة من السيد المسيح وأنه هو المسيح الأصفر وقد أرسل لهدى العالم، وبعد أن تعلم شيئاً من البروتستانتية إعتقد فى عام 1843م إن الله قد إختاره ليظهر الصين من عبادة الأوثان ويحولها إلى المسيحية.

وفى عام 1857م تزعم ثورة ضخمة ضد حكومة المانشو، وحدد أهدافها بما يلى :

القضاء على حكومة المانشو وإقامة حكومة برئاسته.

إعادة توزيع الثورة وتقسيم الأراضى.

ويلاحظ أن ديانة ثوار التايبنج كانت مسيحية على المذهب البروتستانتي ولكنها إختلطت بعد ذلك بالكونفوشيوسية والبوذية لذلك كثرت فيها الأخطاء المذهبية وسادها التفكير السطحي.

تمكنت قوات الثورة من الإستيلاء على بعض المدن أكثر من ست مرات مما سبب لهذه المدن التدمير والخراب، وقد وصلت هذه الثورة إلى أقصى حد لها في عام 1856 حينما تمكنت من طرد المانشو من منطقة نانكنج ثم دارت الدائرة على الثوار وكادت قوتهم أن تنفى لولا نشوب حرب بين بريطانيا والصين والتي عرفت باسم حرب الأرو.

حرب الأرو 1856-1857

إن مرارة الغبن الذي شعر به الصينيون من المعاهدات غير المتكافئة مع الأجانب الذين حصلوا على امتيازات أكثر مما ينبغي، ومع ذلك فإن هذا الوضع لم يرض الطرفين الصينى والأجنبى فكانت الشرارة التي أضرمت نار النزاع عندما افتتح أحد المبشرين الفرنسيين داراً للتبشير فى إقليم كوانجسى خارج المنطقة التي إتفق عليها فى المعاهدات وبعد ثلاثة أعوام من افتتاح هذه الدار ألقى القبض على المبشر وأتباعه وأعدموا عام 1856م بتهمة إنتهاك القانون، مما أثار حقد الفرنسيين. وهناك حادث آخر حصل مع البريطانيين فقد قام بعض المسؤولين الصينيين بتفتيش السفينة البريطانية أرو بدعوى أنها تأوى أحد القراصنة. وبعد أن ألقى القبض على البحارة الصينيين الموجودين على ظهر السفينة البريطانية وأودعوا بالسجن، طالبت بريطانيا الحكومة الصينية بإطلاق سراحهم، وتقديم الاعتذار اللازم، أهمل الصينيون مطالب البريطانيين فعمدت القوات البحرية البريطانية بإتخاذ تدابير عسكرية وإستولت على الحصون التي تحمى كانتون وقصفت مقر الحاكم ((بيه)) بالقنابل ومع ذلك لم يقدم الصينيون الاعتذار المطلوب.

فى 25 ديسمبر 1857م قام البريطانىون بقصف كانتون بالمدفعية وألقى القبض على الحاكم ((بيه)) أثناء محاولته الهرب وأسر ونقل إلى الهند مقيداً بالأغلال حيث توفى هناك. ثم نقل البريطانىون والفرنسيون ميدان القتال إلى منطقة بكين فدمروا القصر الملكى الصيفى إنتقاماً لما نال مبعوثى الحلفاء من تعذيب وقتل على يد الصينيين فى بكين.

فأضطر الصينيون لطلب الصلح ووقعوا معاهدة ثانية غير متكافئة هى معاهدة تيان تسين^(xxvii).

معاهدة تيان تسين 1858

مع الرغم من أن الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا لم تشاركا فى معارك ((أرو)) أو حرب الأفيون الثانية فقد عملتا على المشاركة فى هذه المعاهدة إلى جانب بريطانيا وفرنسا بموجب هذه المعاهدة أصبح :

- حق الدول الأوروبية فى إستقبال سفرائها فى الصين.
- الترخيص للأجانب بالتجارة فى عدة موانئ جديدة. وكذلك حق تجارتهم مع الداخل.
- إقرار تجارة الأفيون وجعل إستيراده عملية مشروعة.

البند أخير فى هذه المعاهدة يثبت لنا أن حرب الأفيون بقيت مستمرة على الصين وبالتالى يمكننا إعتبار الفترة من عام 1856 وحتى 1860 هى حرب الأفيون الثانية والى إنتهت باتفاقيات بكين عام 1860^(xxviii).

إتفاقيات بكين 1860م

عمل الصينيون على عرقلة تنفيذ الإلتزامات المترتبة عليهم من معاهدة تيان تسن، وقاموا بإحكام تحصيناتهم، ولكن هذا الأمر لم يخف على الفرنسيين والبريطانيين الذين قاموا بتتبير حملة مشتركة هاجمت قصر الإمبراطور فى بكين وفر الإمبراطور تاركاً أخاه كوانج يتولى مواجهة الأجانب.

تمكن كوانج من التفاهم مع الأجانب وعقد سلسلة من الإتفاقيات غير المتكافئة أيضاً عرفت باسم إتفاقيات بكين. وأهم ما تضمنته :

- تحديد طريقة إستقبال الوزراء الأمريكيين والأوروبيين وأن تكون على قدم المساواة مع الوزراء للصينيين.

- ضمان حق إقامة السفراء الأجانب فى بكين.

- ضمان سلامة المبشرين والتجار الأجانب.

- السماح بتجارة الكولى (أى العمال الصينيين).

لعب عاملان مهمان دورهما فى القضاء على أسيرة المانشو الأول خارجى والثانى داخلى.

أما العامل الخارجى فقد ظهر بتأثير المعاهدات غير المتكافئة التى بدأت بمعاهدة نانكنج 1842. ثم معاهدة تيان تسن 1858 ثم إتفاقيات بكين 1860 ، كلها ذات صفة واحدة، وهى أنها غير متكافئة.

أما العامل الداخلى فقد تمثل بالثورات؛ فقد أهلكت ثورة التايبينج نحو عشرين مليوناً من أهل الصين وساد الدمار تسع مقاطعات. وتكبدت أسيرة المانشو أموالاً طائلة للقضاء على هذه الثورات.

كما أن ثورة إقليم يونان التي قامت بين أوساط المسلمين الصينيين من عام 1860 حتى عام 1873، بسبب نزاع إقتصادي حول الإشراف على موارد يونان المعدنية الهائلة، ولكن حرص الحكام الصينيين على إرتكاب مذبة بين المسلمين جعلها تستمر ثلاثة عشر عاماً، وقد ساعد على إخماد هذه الثورة قيام جماعات إسلامية بتقديم المساعدة للمانبشو الذين حققوا نصرهم على المسلمين^(xxix).

هذه الأزمات الخارجية والداخلية جعلت أسرة المانشو تصاب بوهن كبير، شجع الأمم الأوروبية على إقتطاع أجزاء من الصين قطعة بعد أخرى فاستولت روسيا على الأراضي الواقعة شمال نهر عامور. وشرقي نهر الأوسوري عام 1860، وانتقم الفرنسيون لموت أحد المبشرين بالإستيلاء على الهند الصينية عام 1885، وإنقضت اليابان على الصين وهزمتها عام 1895، واستولت على فرموزا وحررت كوريا من الصين لتستولي عليها فيما بعد عام 1910، واستولت روسيا على شبه جزيرة شانتج عام 1898 بعد مقتل إثنان من مبشريها وخشيت اليابان والولايات المتحدة من سياسة تقسيم الصين، فدعتا إلى تنفيذ سياسة الباب المفتوح أي حق جميع الدول بالإتجار مع الصين.

يمكن تلخيص الدروس التي إستخلصتها القوى الغربية من تجربتها في الصين بعد حروب الأفيون على الشكل التالي :

أولاً : إبرام معاهدات غير متكافئة تجعل من بعض الدول الأوروبية دولاً أكثر رعاية كمعاهدة نانجينغ Nanking التي وقعتا بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة وروسيا مع الصين عام 1842 ومعاهدة تيانتنسن Tientsin التي وقعتا بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة وروسيا مع الصين عام 1858. وقد كانت هذه المعاهدات سيفاً مسلطاً على رقاب الصين.

ثانياً : كانت الدول الغربية مقتتعة بفاعلية السلاح فشنت عدة حروب عدوانية واسعة على الصين.

ثالثاً : عانت القوات الغربية معاناة شديدة من الإنتفاضات الشعبية التى اشتعلت فى الصين مثل ثورة بنج ينج تـوان Ping-Ying-Tuan (1851-1864) المناوئة للمانشو.

رابعاً : قيام القوى الغربية بالإعتماد على تجارتها فى فتح الصين من خلال القادة العسكريين الذين لعبوا دوراً قيادياً، ومنهم لورد جين (1811-1863) وسير هارى باركس (1828-1885) من بريطانياء، وجان بابتست لوى جزو (1793-1870) من فرنسا، والأدميرال ايفيمى فاسيليفتش يوتياتن (1803-1884) من روسيا.

كان اللورد ((جين)) والبارون ((جرو)) قد إنتدبهما حكومتها البريطانية والفرنسية أثناء حرب الأفيون الثانية لإبرام معاهدات مع الصين وكان اللورد جين البريطانى هو المحرض على إحراق القصر الإمبراطورى الصيفى Yuan-Ming-Yuan عام 1860م وقد إهتز العالم من جراء هذا العمل .

أما السير هارى باركس فقدم إلى الصين وعمره ثلاثة عشر عاماً شارك فى النشاطات العدوانية البريطانية وهو فى سن مبكرة وعمل وكيلاً للقنصل فى كانتون ومندوباً بريطانياً فى الصين أثناء حرب الأفيون الثانية.

وكان الكونت فاسيليفتش يوتياتن قد ذهب إلى الصين وأخذ يضغط على كانتون وشانغهاى للفوز بنفس المعاملة الخاصة التى حصلت عليها إنجلترا من الصين، وفى عام 1857م حاول إرغام الحكومة الصينية على إبرام معاهدة تتنازل بمقتضاها لروسيا عن بعض أراضيها، وفى عام 1858م عينته الحكومة الروسية مندوباً سامياً فى الصين فنجح فى عقد معاهدة تيانسن Tientsin مع الصين مستغلاً سيطرة إنجلترا وفرنسا على المدينة.

ظل غزو الصين ونهب ثرواتها والإستيلاء على أسواقها حلمًا يراود خيال القوى الإستعمارية الإمبريالية ربحاً طويلاً من الزمن فقد كانت للصين أولويات إستراتيجية لدى تلك الدول، فذاقت مرارة التجارب الإستعمارية فوق أراضيها والتي تمثلت بتجارة الأفيون الشهيرة^(xxx).

نهاية حرب الأفيون الثانية

لما دخل الحلفاء بكين عاصمة الصين عام 1860 فر الإمبراطور الشاب شيان فنج إلى جيهول حيث توفي هناك عام 1861 تاركاً العرش لابنه البالغ من العمر خمس سنوات، وإستولت زوجة الإمبراطور الثانية وهي أم ذلك الغلام على مقاليد الحكم وتسمت باسم ((تزه تشى)) وعرفها العالم باسم الإمبراطورة الوالدة التي حكمت الصين حكماً صارماً مجرداً من الرحمة منذ عام 1860 وحتى وفاتها عام 1908، وعندما بلغ إين الإمبراطورة الوالدة سن الرشد توفي عام 1875 فدفعت الإمبراطورة بـ غلام قاصر يدعى جوانج تشو إلى عرش الصين دون أن تلتفت إلى المعارضة.

إستطاعت الإمبراطورة الجريئة ((تزه تشى)) أن تسيطر على الحكم في الصين فترة طويلة وأن تجعلها فترة سلام مستعينة بذلك بكبار رجال السياسة من أمثال ((لو هونج شانغ)) الذي تقع الدول الأوروبية لأن تحسب للصين بعض الحساب في سياساتها الخارجية.

وفي عام 1895م حصل حادثان مهمان في الصين :

الأول داخلي في جنوب الصين عندما تزعم الدكتور صن بات صن ثورة في كانتون وبدأ بتنظيم جماعات ثورية ولكن ثورته كانت فاشلة.

والثاني خارجي وتمثل بانتصار اليابان على الصين في نفس السنة وهو ما عرف الحرب الصينية اليابانية الثانية (1894 - 1895م)، وسارعت

الدول الأوروبية تعمل على إقتطاع أجزاء من الصين. ولكن الإمبراطورة
الوالدة ((تز ه تشى)) قاومت طلبات الأوروبيين^(xxxI).

الولايات المتحدة وسياسة الباب المفتوح :

لم تشأ الولايات المتحدة الحصول على امتيازات خاصة بها في الصين
ولكنها تشبثت من ناحية أخرى بحق الدولة الأولى بالرعاية إذ إنها باستيلائها
على جزر الفلبين عام 1898م لم تعد تشعر بحاجتها إلى التسابق للحصول
على أراض في الصين، ونلاحظ أن حرب البوير التي خاضتها بريطانيا في
الجنوب الأفريقي كانت قد عملت على إضعاف مركز بريطانيا في الصين
لذلك نجدها قد اقترحت على الولايات المتحدة أن تتزعم حركة إقناع الدول
الكبرى بإتباع سياسة الباب المفتوح في تجارتها مع الصين بما يعني المبادئ
التالية :

1- ألا تحاول أي دولة التدخل في الصين بصورة تمس المعاهدات
المتعلقة بالموانئ أو المصالح الأجنبية القائمة بالفعل داخل مناطق المصالح أو
الأراضي الصينية المستأجرة .

2- ألا يكون هناك أي تمييز في المعاملة سواء كان ذلك في المناطق
المستأجرة أم في مناطق المصالح فيما يتعلق برسوم الميناء أو فئات أجور
شحن البضائع^(xxxII).

حركة البوكسرز (الملاكمين) :

إزاء الهزيمة التي لحقت بالصين أمام اليابان عام 1895م وتوقيع معاهدة
((شيمونوسيكي)) قامت جماعات وطنية تدعو للأخذ بالتعليم الغربي وأن
حذت الصين حذوا اليابان بإنشاء جيش قوى، وبناء المصانع، وشق الطرق
حتى تستطيع الصين تحدى الأخطار الأوروبية. ولكن الإمبراطورة الوالدة
((تز ه تشى)) رفضت هذا التيار الإصلاحى، وقاومته بكل قوتها. وكان
الإمبراطور ((جوانج شو)) قد بلغ رشده، فإنضم إلى التيار الإصلاحى

... سياسة الامبراطورة الوالدة، خاصة وإنه كان بعدما تربع على
... يرغب بالتخلص من وصايتها، وإن يكون إمبراطوراً بحق.

أصدر الإمبراطور الشاب جوانج تشو مراسيم يطلب فيها من الشعب
الصينى السير فى خط الغرب والأخذ بأساليبه. فقد أمر الإمبراطور الشاب
بإقامة نظام جديد للتعليم وإنشاء مدارس تدرس العلوم والآداب على الطريقة
الغربية والتي تختلف عن كتب ((كونفوشيوس)). بل أن الإمبراطور الشاب
شجع على إنشاء الطرق وإصلاح الجيش وهو بذلك يهدف إلى أن يجعل من
الصين دولة قوية تستطيع مواجهة أعدائها.

هذه السياسة التي رسمها الإمبراطور الشاب هذه المراسيم المتطرفة التي
قد تؤدي بالأسرة المالكة إلى الهلاك. لذلك ألقت القبض على الإمبراطور
الشاب ((جوانج تشو)) وسجنته فى أحد القصور الإمبراطورية، وقبضت على
زمام الحكم فى الصين وأصبح الرجعيون أو دعاة الحفاظ على الأنظمة
القديمة هم أصحاب السلطة التامة.

بالمقابل نشطت فى شمال الصين حركة معاداة الأجانب، وساعد كثير
من المسؤولين الصينيين هذه الحركة كوسيلة للتخلص من النفوذ الغربى
بإثارة السخط ضد الأجانب، وتألفت جمعيات بمباركة المسؤولين الصينيين
تهدف إلى مكافحة الوجود الأجنبى على أرض الصين، وفى مقدمة هذه
الجمعيات جمعية ((يى هو خوان Yi-Ho-Xuan)) وتعنى قبضة التوافق
الصالحة التي سميت بعد ذلك بالملاكمين. وكانت هذه الجمعية تهدف فى
أصلها إلى خلع الإمبراطورة الوالدة، ولكن الإمبراطورة أفلحت فى إقناع
رعماء الجمعية بتوجيه نقيمتهم وقوتهم ضد الأجانب الغزاة بدلاً من مواجهة
أسرة الحاكمة.

قامت جمعية الملاكمين باغتيال إثنين من المنصرين الألمان عام 1879م، وتابعوا نشاطهم لإخراج جميع الأجانب من بلاد الصين، وقاموا مدفوعين بتيار وطني بذبح المسيحيين الأجانب من أبناء الصين.

ولم يحل عام 1900م حتى كان عدد كبير من المسيحيين الصينيين ومن الأجانب قد لقوا مصرعهم الأمر الذى أدى إلى دفع جيوش الدول الغربية للزحف مرة أخرى على بكين لحماية مواطنيهم الذين دب فيهم الرعب بعدما أصدرت الإمبراطورة الوالدة أوامرها بإيادة جميع الأجانب داخل الصين. وجاءت الدول الأوروبية بغزوها الجديد للصين لتعلن أنها لا تريد محاربة الصينيين بل محاربة الملاكمين فقط وأنها أتت لمساعدة الصين على التخلص من فتنها الداخلية (xxxiii).

حاصرت القوات الأجنبية مفوضيات بلادها فى بكين والتي إحتمت فيها الرعايا الأجانب، وفرت الإمبراطورة الوالدة وحاشيتها إلى شيانغو فى إقليم شانسى، وإنقضت جيوش إنجلترا وفرنسا وروسيا والمانيا والولايات المتحدة الأمريكية على بكين وعملت فيها السلب والنهب، وقتلت كثيراً من المواطنين إنتقاماً لمقتل مواطنيها ويقول الكابتن ((برنكس)) فى ذلك : ((مما يقشعر منه بدن كل شخص أبيض أن يعلم أن أربعين من النساء المبشرات وخمسة وعشرين من الأطفال ذبحهم الملاكمون ولكن خمسمائة وسبع وثلاثين من نساء الطبقات العليا فى الصين إنتحروا فى تونجشاو وحدها مفضلين هذا الإنتحار على الحياة بعدما لاقوا من جار ومزلة، مع أن الصينيين لم يبدوا أية مقاومة فى هذه المدينة ولم يقع فيها قتال ما)).

وفى 14 أغسطس 1901 فرض السلام مرة أخرى على الصين فى ظل إتفاقية الملاكمين وتضمنت المطالب التالية من حكومة المانشو :

- تقدم الصين إعتذاراً لحكومة اليابان والمانيا لمقتل ممثليها فى حوادث الشغب.

- تقوم الصين بدفع 330 مليون دولار غرامة (xxxiv).

- إعادة النظر فى المعاهدات التجارية ورفع الرسوم الجمركية 5%.

- إنزال العقاب بالمسؤولين الصينيين عن أحداث الشغب (xxxv).

إلا أن جزءاً كبيراً من الغرامة رفعتة الدول الأوروبية عن الصين وإشترطت هذه الدول أن تتفق الأموال التى تنازلت عنها على تعليم الطلبة الصينيين فى جامعات الدول التى كانت هذه الأموال من حقها.

- برامج حكومة المانشو للإصلاح (1902-1911)

إقتلعت الإمبراطورة الوالدة بضرورة التغيير فعملت على قيام حركة مساواة إجتماعية بين عنصر المانشو الحاكم وبين الصينيين وذلك عن طريق السماح بالتزاوج بين العنصرين، كما سمحت برفع مستوى التعليم، وتنظيم الجيش والبحرية وإصلاح النظام القضائى.

بالنسبة للتعليم فقد ظهر ما يعرف بطلبة الغرامة، وهم الطلبة الذين غادروا الصين إلى جامعات البلدان سداداً للدين الذى كان مفروضاً على الصين وتنازلت هذه الدول عنه، وكانت اليابان من أكثر هذه البلدان إستقبالاً للطلاب الصينيين كما ذهبت أعداد كبيرة إلى الولايات المتحدة والمانيا وإنجلترا.

كان طلبة الغرامة يلتحقون بجامعات الدول الأجنبية وهم صغار السن، قبل أن تتضح عقولهم فيدركون ما تتطوى عليه حضارتهم القومية من عمق ومالها من قيمة، ويعجبون بالتربية والحضارة الجديدة ويعلمون الغرب وأساليبه وأفكاره فيعودون إلى الصين وهم حانقون على تأخر بلادهم ويعملون فى كل مجال على التخلص من القديم الذى هو سبب تخلفهم - حسب إعتقادهم - هذا بالنسبة للبعثات للخارج أو طلبة الغرامات أما فى الداخل فقد تم إنشاء وزارة المعارف التى وضعت منهجاً تعليمياً على النسق الأوروبى، وأنشأت جامعة

بكين، بهدف رفع مستوى التعليم في الصين إلى 5%؛ ومع ذلك فإن نجاح السياسة التعليمية جاء هزياً لأن القائمين على تنفيذ البرامج التعليمية كانوا يجهلون علوم الغرب ونظمه.

- أما بالنسبة للجيش والأسطول فقد كانت القوات العسكرية الصينية قبل عام 1905م تتألف من الجيوش التي تحمل عمل المانشو في المدن الرئيسية بالإضافة إلى القوات التي تحمل العلم الأخضر والتي يشرف عليها حكام الأقاليم، وكانت الأسلحة عتيقة، وقد وضع مشروع لإنشاء جيش وطني حديث على أساس التجنيد الإجباري، وبالنسبة للأسطول البحري الصيني فقد سبق أن دمرته فرنسا في جنوب تونكين إلا أنه تم في عام 1907م إنشاء وزارة للبحرية الصينية بهدف تحديث الأسطول وإصلاحه، ولكن المعارضة سببت إحباط كل الجهود الإصلاحية :

أما بالنسبة للإصلاحات السياسية فنجد أن حكومة الصين تعهدت في مرسوم الإصلاح الصادر عام 1901م بإنتهاج أفضل أساليب الحكم السياسية المتبعة في الدول الأجنبية لذلك قامت الصين بإرسال بعثة إلى الخارج لدراسة نظام الحكومات النيابية ووقع إختيارها على الدستور الياباني الذي كان في حقيقة أمره صورة معدلة تعديلاً طفيفاً عن الدستور الألماني.

وفي عام 1907م صدر الدستور الصيني المؤقت لإصلاح الجهاز الحكومي على مدى تسع سنوات ليعقب ذلك إصدار الدستور الدائم عام 1917م. ولكن الذي حصل هو أن الإمبراطورة الوالدة ((تزه تشي)) توفيت عام 1908م فحال ذلك دون تنفيذه، خاصة وأنه بعد وفاتها تولى مقاليد الحكم طفل عمره ثلاث سنوات هو ((بوي Pou-Yi)) القاصر فتولى الحكم أو الوصاية عليه مجموعة من الأمراء الذين كانوا يكرهون الإصلاح وأحاطوا أنفسهم بعناصر المانشو الرجعية مما أدى للإطاحة بكافة المشروعات الإصلاحية (XXXVI)، ومما مهد السبيل لظهور ((صان بات صن)).

صان يات صن

إعتنق المسيحية وإندفع يحطم أصنام الآلهة فى معبد قريته وأصدر برنامجة الأول حسب تصوراتة لمستقبل الصين. كان ((صان)) قد درس فى هونولولو فى مدرسة يديرها راهب من أتباع الكنيسة الإنجليزية يسير التعليم فيها بالأساليب الغربية البحتة، ولما عاد صان إلى الصين التحق بالكلية الحربية البريطانية فكان أول من تخرج منها من الصينيين.

كانت هذه الدراسات من أكبر الأسباب التى حرمت الرجل من كل العقائد الدينية، كما كانت الإهانات وضروب الإذلال التى يلقاها هو وأبناء وطنه فى الجمارك التى يسيطر عليها الأوروبيون وفى الأحياء الأجنبية من ثغور المعاهدات، قد أوغرت صدره وجعلته يفكر فى الثورة. وكان عجز الحكومة الفاسدة الرجعية سبباً فى إلقاء الصين مذلة الهزيمة على يد اليابان الصغيرة، وتجزئة البلاد بين الدول الأوروبية لأغراضها التجارية قد أشعره بالمذلة وملاً قلبه حقداً وضمينة على تلك الحكومة فاعتقد أن أول خطوة يجب أن يخطوها فى سبيل تحرير الصين هو أن يقضى على أسرة المانشو (xxxvii).

من جهة ثانية اعتبر الشعب الصينى أن فشل برنامج الإصلاح يعود للجماعات القائمة على الحكم والتى تمثل العقبة الأساسية فى طريق تنفيذ الإصلاح لذلك كانت ضرورة إزاحتهم وإيجاد نظام حكم يفسح المجال لبناء الصين القوية. وكان تحديث الجيش ومكافحة ثورة التايينج قد أوجد روحاً عسكرية قتالية حديثة إستغلها ((صن يات صن)) وقام بتشكيل أول مجموعة عمل عسكرية.

فى ذلك الوقت ظهرت محاولة للإستيلاء على كانتون ولكنها فشلت فصدر الحكم بإعدام ((صن)) الذى هرب إلى اليابان ثم إلى أوروبا وبعدها إلى الولايات المتحدة الأمريكية.

فشل هذا الثورة مهد لقيام دعوات إلى الثورة خاصة بعد هزيمة الصين أمام اليابانيين عام 1905 وقام الصينيون المقيمون في الخارج يوحّدون جهودهم بدعم من صن وتمكنت الفئات الطلابية المقيمة في طوكيو من تشكيل رابطة بينها تدعى رابطة القسم La Ligue de juree^(xxxviii).

ثورة أكتوبر 1911

تمكن صن من تحديد مبادئ الثورة للوصول للإطاحة بأسرة المانشو من خلال ثلاثة مراحل تبدأ بسيادة الحكم العسكري ثم تلقين الشعب الصيني مبادئ الديمقراطية وأخيراً إقامة الحكومة الدستورية.

وفي الوقت الذي اتجه فيه نظام الحكم الإمبراطوري إلى إيجاد صفة دستورية والسعى لإجراء إنتخابات ديمقراطية عامة، كانت رابطة القسم المؤيدة لصن قد ضمت عدة آلاف من المتطوعة في صفوفها. وقد انفجرت الثورة بانفجار أحد مصانع الذخيرة في مدينة هانكو Hankou وتمرد جنود الإمبراطور على قيادتهم، وانتشرت الثورة بسرعة في كل أنحاء الصين وتكونت حكومة للثوار، الأمر الذي دفع حكومة المانشو في بكين لإستدعاء يوان شي كاي لقيادة القوات الإمبراطورية وعينته حاكماً لإقليم هوبي هونان Hupie-Hunan.

تمكن يوان شي كاي من أن يصل إلى حلي وسط مع الثوار الذين إتخذوا من نانكنغ عاصمة لهم، وحضر صن من الولايات المتحدة إلى الصين حيث أعلن على الفور رئيساً لجمهورية نانكنغ.

هنا وجد آخر أباطرة المانشو (بوي) نفسه محاطاً بالثورة من كل جانب وأن الجيش قد تخلى عنه، فلم يجد بداً من التخلي عن العرش وأصدر مرسوماً جاء فيه :

((إن الشعب فى جميع أنحاء الإمبراطورية يتجه الآن بعقله نحو الجمهورية، إن إرادة الله واضحة ورغبات الشعب غير خفية. فكيف أستطيع أن أعارض رغبات الملايين الكثير للاحتفاظ بمجد أسرة واحدة وكرامتها؟ ومن أجل ذلك فإنى أنا الإمبراطور أرى أن تكون الحكومة فى الصين جمهورية دستورية إجابة لرغبات داخل الإمبراطورية كلها وعملاً بآراء الحكماء الأقدمين الذين كانوا يرون أن العرش تراث عام)) (xxxix)

كان مولد الثورة هائلاً ولكن حياتهم كانت صاخبة فقد إنتشرت الفوضى وتوالى الأحداث والفتن. وكان يوان شى كاي هو القادر على القضاء على هذه الفوضى ولكنه طلب ثمناً لإيقاف الفوضى أن يكون رئيساً للجمهورية وتنازل الدكتور صن عن طيب خاطر ليوان شى كاي عن رئاسة الجمهورية وإعتزل صن السياسة بكرم وعزة نفس.

لكن يوان بدأ يعد العدة ليجعل من نفسه إمبراطوراً جديداً ويجعل من أسرته أسرة حاكمة وبدأ يروج بأن الإمبراطورية هى الوسيلة الوحيدة لمنع تفكك الصين (xi).

وفى عام 1912م أنشأ صن يات صن حزباً سياسياً هو حزب الكومنتانج أى حزب الشعب القومى، وسعى بالمقابل يوان شى كاي إلى تنظيم أتباعه وأسس حزب الشينبوتانج أى الحزب التقدمى.

وفى نوفمبر عام 1913م حل يوان شى كاي حزب الكومنتانج باعتباره حزباً مثيراً للفتن، وعمل على إبعاد أعضاء هذا الحزب عن البرلمان وبدأ يوان يمارس سلطات دكتاتورية فعمد إلى القضاء على معارضيهِ، وقيد حرية الصحافة، وحق الاجتماع، وعين حكماً عسكريين على المناطق، ونشبت الحروب بين الجنوب المؤيد لصن وبين الشمال (xii).

الفصل الثاني

الصين ما بين الحربين العالميتين وتطور علاقتها الدولية

أولاً : دخول الصين الحرب العالمية الأولى

ثانياً : الصين خلال الحربين العالميتين

ثالثاً : العلاقات الصينية السوفيتية

1. التحالف الصيني السوفيتي

2. الصراع الصيني السوفيتي

رابعاً : العلاقات الصينية الأمريكية

1. المسألة الكورية

2. مبدأ نيكسون

3. مشكلة تايوان

الفصل الثانى

الصين ما بين الحربين العالميتين وتطور علاقتها الدولية

أولاً : دخول الصين الحرب العالمية الأولى

قبل الحديث عن دخول الصين الحرب العالمية الأولى نشير فى هذا الصدد إلى أن اليابان حينما دخلت الحرب العالمية الأولى بدخلتها بعد أن اشتد عودها وتبوأَت مكاناً دولياً مرموقاً وشعر الحلفاء بخطرها وما يمكن أن تقدمه من جهد حربي . وكانت اليابان ترحب بالحرب لأنه كانت لديها أهداف واضحة وهى أن تحقق ذاتها من ناحية وأن تراث الممتلكات الألمانية فى الصين وفى منطقة المحيط الهادى من ناحية أخرى . والأمر يختلف بالنسبة للصين . فالأخيرة قد تكلمت بمزيد من المعاهدات غير المتكافئة عقب حركة " البوكسرز " ولم تحقق برامج المانشو الإصلاحية التى أعدت على عجل .

لذلك بمجرد نشوب الحرب فى أول أغسطس 1914 أعلن يوان شيه كاي حياد الصين على أمل الحفاظ على السلم فى منطقة الشرق الأقصى، وكانت الأحزاب السياسية قد بدأت فى الظهور فى عهد يوان شيه كاي، ولكن المشكلة التى قضت عليها فى مهدها هى مشكلة الحرب مع ألمانيا ، ذلك أن ألمانيا كانت قد قامت بنسف إحدى السفن الفرنسية التى تحمل عمالاً صينيين إلى منطقة القتال الأوروبية ، وبادرت الصين إلى قطع علاقاتها الدبلوماسية مع ألمانيا وذلك فى مارس 1917 ثم أعقب ذلك إعلان الحرب على ألمانيا 14 أغسطس 1917 أملاً فى الحصول على مركز دولى أفضل وعلى معونة مالية . بيد أن مساهمة الصين فى المجهود الحربى إلى جانب الحلفاء كانت

قاصرة على الجهد البشرى أى على تجنيد 19.000 صينى كعمال فى الجبهة الغربية بالإضافة إلى تزويد الحلفاء بالمواد الغذائية، والمواد الخام (xlii) .

وبعد انتهاء الحرب بدا التناقض واضحاً فى المصالح الصينية، واليابانية فالإيبان كانت تطمح فى الحصول على ممتلكات الألمان فى شانتونج، وقد رأينا فيما سبق أنها كانت تحظى ببعض المعاهدات السرية التى عقدت أثناء الحرب مع كل من بريطانيا وإيطاليا وفرنسا، وأستراليا ونيوزلنده، أما الصين فكانت ترجو أن تكون مكافأتها على جهودها فى الحرب بإسرتجاع إقليم شانتونج . وكان لهذا المكان قدسية خاصة فى قلوب الصينيين إذ أنه مسقط رأس المفكر والمصلح الاجتماعى كنغوشيو . ولجأت اليابان إلى مناورة بارعة فى مؤتمر فرساي، وتتلخص هذه المناورة فى مطالبة اليابان لمؤتمر الصلح بقبول مبدأ المساواة العنصرية طالما أنها أثبتت مقدرتها على إحراز النصر مع الحلفاء على قدم المساواة، ولكن الدول الغربية ما كانت لتستسيغ هذا المبدأ . لذلك رأى الرئيس الأمريكى ولسون أن رفض هذا المطلب من جانب اليابان لا يعوضه سوى التسليم لها بالاستيلاء على شانتونج . كان يراود الرئيس ولسون فكرة أن عصبة الأمم سوف يتسنى لها حل مثل هذه المشكلات فى المستقبل (xliii) .

ولكن قد نتساءل عن المكاسب التى حققتها الصين نظير مساهمتها فى الحرب، حقيقة الأمر أن الصين لم تخرج صفر اليدين، إذ أنها حققت إنضمامها إلى عصبة الأمم بتوقيعها المعاهدة بين الحلفاء والنمسا، كذلك حصلت الصين نتيجة معاهدة الصلح على المكاسب الآتية :

— إنهاء المعاهدات غير المتكافئة التى سبق أن أبرمتها مع ألمانيا

— إعفاءها من أقساط غرامة حركة الملاكمين المتبقية عليها لألمانيا قبل

نشوب الحرب.

— إلغاء الامتيازات الألمانية في كل من تيان تسن وهنكو .

— إلغاء امتيازات حق إمتداد القوانين بالنسبة للمجريين والنمساويين والألمان .

وإذا تأملنا هذه المكاسب لوجدناها ليست كبيرة ، ولكن الأهم من ذلك هو أنها كانت النواة الأولى لإنبعاث الوعي القومي الصيني بقوة وعنف (xlii).

ثانياً : الصين خلال الحريين العالميتين

عرفت هذه الفترة باسم فترة أمراء الحرب ، فقد ظهر نفوذ القادة العسكريين خلالها وخاصة بعد وفاة يوان شي كاي عام 1916 حيث اضطربت أحوال الصناعة والتجارة واضمحلت لكثرة ما كان يفرضه عليها قائد منتصر بعد قائد .

بالمقابل نجد أن الإدارة التي أوجدها صن يات في كانتون تدعى أنها الحكومة الحقيقية في حين بقيت الحكومات الأجنبية تعترف بالحكومة السورية في بكين ، في الحقيقة لم يكن لدى الدكتور صن من السلطة الفعلية إلا ما سمح له به القادة العسكريين بطريقة رسمية .

في عام 1920 قام الدكتور صن بتنظيم حزب الكومنتانج واجتمع برلمان خاص في عام 1921 وانتخبه بطريقة رسمية رئيساً للجمهورية . ولكن في عام 1922 تم نفيه مرة ثانية إلى شنغهاي ، حيث أيقن أن لا خروج للصين من الفوضى التي تتخبط بها إلا بالاعتماد على مساعدة خارجية ، لذلك نظر إلى روسيا الشيوعية بأمل .

وفي نفس السنة أرسلت روسيا اثنين من أقدر ساستها هما كرخان وأودولف جوف ، وذلك في مسعى منها لضم الصين للثورة الشيوعية ، اعترف كرخان بشرعية حكومة صن الثورية وبمركزها الدولي ، ونتيجة للمحادثات بين صن يات صن وأودولف جوف عقد اتفاق تعهدت روسيا

بمقتضاه بتقديم المشورة إلى الصين في نضالها من أجل تحقيق الوحدة والاستقلال ولم يكن بالصين حتى عام 1924 حزب شيوعي فتسمح صن بإنضمام بعض أعضاء الكومنتانج بصفة فردية إلى الحزب الشيوعي، ولكنه كان يرفض انضمام حزبه إلى الشيوعية .

دعا صن يات لفكرة الجامعة الآسيوية، ولكنه تخلى عن هذه الفكرة ودعا لأفكار معارضة مثل فكرة الاتحاد الإنجليزي الصيني لمعاداة اليابان . وفكرة التحالف مع الاتحاد السوفيتي ضد الدول الاستعمارية ، أن فكرة الجامعة الآسيوية وإن كان صن يات أول من نادى بها ، إلا أن إيمانه بها لم يكن عميقاً ونظر إليها باعتبارها وسيلة لتحقيق هدفه الأساسي وهو إعادة بناء الصين وتوحيدها .

وفي عام 1923 أعاد صن تنظيم حزب الكومنتانج تنظيمياً أساسياً على نسق الحزب الشيوعي الروسي على شكل خلايا، ووضع على رأس التنظيم ما يسمى بالمؤتمر القومي للحزب، وكان من اختصاصه الإشراف السياسي ، كما اختير صن ليكون رئيساً للحزب مدى الحياة ، ويعتبر رأيه هو الراجح في اللجنة المركزية كما يحق له الاعتراض على قرارات المؤتمر .

بدا واضحاً تأثر صن بالمذاهب الاشتراكية فقام بإعادة توزيع الأراضي على أساس المساواة في الملكية .

وفي يناير 1924 اجتمع مؤتمر الكومنتانج وأعد دستوراً للصين على أساس الحزب الواحد ، وأجرى تأسيس جيش وطني جديد، وأكاديمية للعلوم العسكرية بإشراف سبعين من الضباط السوفييت ،وقد تم ذلك تحت إشراف تشيانج كاي شك الذي كان أمين سر صن يات السابق ،وقد ظهر أثر هذه القوة العسكرية حينما تمكنت بسهولة من إخماد ثورة قام بها تجار كسائتون الذين ثاروا ضد تألف صن مع الشيوعيين .

وفى 25 مارس 1925 توفى صن بعد أن وقع على وصيته التى حث فيها على الدعوة للتعاون مع السوفييت .

وبعد وفاة صن انحصرت الزعامة بين وانج تشنج واى صديق صن، وزعيم الجناح اليسارى فى الحزب، وبين تشيانج كاي شيك القائد العام لجيوش الكومنتانج الذى كان يخشى الشيوعيين ويشك فى نواياهم .

واستطاع تشيانج أن يبعد وانج، وأن يستلم رئاسة اللجنة الدائمة بالهيئة التنفيذية المركزية ويتفرد بالسلطة .

وفى منتصف عام 1926 بدأت الحكومة حملتها العسكرية لإعادة توحيد الصين وتقدمت القوات العسكرية نحو الشمال ، حتى أن جميع المقاطعات سلمت إلى تشيانج كاي شيك دون مقاومة .

قام تشيانج بانقلابه ضد الشيوعيين فى أبريل 1927 معتقداً أن باستطاعته القضاء عليهم وأن هذه العملية ستؤى إلى توحيد الصين وتحقيق السلام فيها . ولم يكن تفكير تشيانج صائباً ، فلم يستطع هذا الانقلاب القضاء عليهم ، فهربوا إلى الجبال وأعادوا ترتيب صفوفهم استعداداً لتخليص الصين من حكم شبانج والطبقة الإقطاعية المسيطرة على الصين .

لم تكن إمكانيات تشيانج كافية للقضاء على الشيوعيين، ولم يكن تحالفه مع القوى الرأسمالية، والإقطاعية ينال رضى الطبقات الشعبية ، وبالتالي فإن السلام الذى أراده تشيانج بعد انقلاب عام 1927 لم يتحقق بل ساد الصراع بين الكومنتانج، والشيوعيين فى الداخل، وبين اليابان والصين فى الخارج .

وفى السنة نفسها قامت قوات الشيوعيين بمهاجمة جماعات الاجانب الموجودين فى نانكنج لإخراج مركز تشيانج كاي شيك الذى طلب مساعدة التجار وأصحاب المصانع ، ثم هاجم هؤلاء اليمينيون فى حزب تشيانج السفارة الروسية فى بكين وعثروا فيها على وثائق تثبت وجود خطة شيوعية

ترمى إلى إقامة حكومة شيوعية فى الصين . وفى أواخر صيف عام 1927 كان حزب تشيانج قد توطدت أركانه فى الصين .

فى نهاية عام 1927 تزوج تشيانج كاي شيك من أرملة الزعيم صن وتحالف مع أنصاره ، وفى ربيع عام 1928 زحف تشيانج نحو الشمال ، وحاول اليابانيون انقاذ مركزهم فى شمال الصين بسد الطريق على تشيانج بواسطة قوات يابانية ، ولكن تشيانج تمكن من ارغام اليابانيين على الانسحاب . واحتلت قوات الكومنتانج بزعامة تشيانج بكين وأصبحت الصين دولة موحدة فى ظل حكومة واحدة ، واحتفظ تشيانج كاي شيك بزعامة الحزب ، والقيادة العامة للجيش الوطنية .

وفى عام 1929 عقد مؤتمر لمناقشة الخطط الكفيلة بتخفيض الجيش . ولكن القادة العسكريين أعلنوا تمردهم ، واستطاع تشيانج أن يخمّد حركتهم عام 1930 الأمر الذى جعل تشيانج يتفرغ لمحاربة الشيوعيين . (xiv)

وفى ليلة 18 سبتمبر 1931 وقع انفجار بالقرب من مدينة مكدن فى القسم اليابانى من خط سكة حديد منشوريا الجنوبية ، وكانت مناسبة استغلتها القوات اليابانية لاحتلال جميع المدن الكبرى فى جنوب منشوريا ثم تابعت احتلال كل منشوريا لتعلن قيام دولة منشوكو المستقلة والتى تتبع فى سياستها اليابان . وبعد حوالى السنة عقدت اليابان معاهدة تحالف مع دولة منشوكو التى أقامت فيها حكومة صورية برئاسة بوى آخر إمبراطور صينى .

ويعتقد الكثير أن حادث الانفجار الذى وقع فى منطقة النفوذ اليابانية إنما هو حادث مدبر قام به أحد الضباط اليابانيين لتكون مناسبة لاحتلال اليابانى للصين ، وقد نجح هذا الحادث فى تحقيق أهدافه ، واتخذته القوات اليابانية ذريعة لاحتلال منشوريا .

ولا شك أن العوامل الاقتصادية والعوامل الاستراتيجية والعوامل النفسية كانت هي الدوافع الأساسية وراء احتلال اليابان لمنشورياً .

فمن الناحية الاقتصادية نجد أن إنشاء الصين خطاً حديدياً في منشورياً ينافس الخط الحديدي الياباني في المنطقة كان تهديداً واضحاً للمصالح الاقتصادية اليابانية . بالإضافة إلى أن الولايات المتحدة الأمريكية، وبريطانيا، وعدد من الدول الأوروبية كانوا قد تنازلوا للصين عن امتيازاتهم الخاصة بالتعريف الجمركية ، أي أن الصين بدت وكأنها على وشك أن تتحكم بإرادتها الأمر الذي يهدد الناحية الاستراتيجية لليابان .

أما من الناحية النفسية فإن تحقيق القوات اليابانية انتصارات عسكرية أمر يقوى الشعور الوطني عند الشعب الياباني، وبالتالي يزداد أنصار نزعة استعمال القوة عند العسكريين اليابانيين (xivi).

كان نجاح اليابان في التوسع في منشوريا واحتلالها ، حافزاً لها للقيام بمزيد من التوسع في الصين وإكمال فكرة إقامة إمبراطورية في شرق آسيا تحت قيادتها وهو ما جرت تسميته بالنظام الجديد أسوة بالنظام الجديد الألماني ، الأمر الذي مهد بعد ذلك لقيام المحور . لقد أعلنت اليابان عن إقامة نظام جديد في شرق آسيا عام 1938 وكان لهذا الإعلان، ولقيام دولة منشوكو رد فعل عنيف في الصين ، فقد ثار الرأي العام الصيني ضد حكومة الكومنتانج، واستغل الشيوعيون ذلك لكسب المزيد من الأنصار . بالمقابل فإن تشيانج كاي شيك قام بعدة حملات مركزة لإبادة الشيوعيين في الفترة من عام 1927 وحتى عام 1936 ووجه الحملات ضد قواعدهم اعتقاداً منه بأن سلطته لن تكون في أمان ما لم يقض بالكامل عليهم .

وبالنسبة للغزو الياباني للصين فكان شعار تشيانج " الوحدة قبل المقاومة " أي ضرورة العمل على توحيد البلاد وتقويتها قبل مقاومة اليابان وهذا يعني ضرورة القضاء على الشيوعيين قبل تحرير منشوريا . ولكن هذه السياسة لم

تثمر ، بل بالعكس فإن الفكر الشيوعي القائل بضرورة إقامة جبهة موحدة لمقاومة اليابان هو الذى ساد ، بل إن الصينيين الشيوعيين استطاعوا اختطاف شيانج، ولكن الحزب الشيوعي الصينى افرج عنه تنفيذاً لقيام جبهة موحدة ضد اليابان .

لقد تجاهل شانج الهجوم اليابانى، وانصرف لمقارعة الشيوعيين ، ومع ذلك فقد منيت قواته بهزائم فادحة وظهر عجز شيانج أمام قوات الشيوعيين الذين لم يعتبروا مسؤولين عن الاجتياح اليابانى للمنشوريا ، بعكس الكومنتانج حزب شيانج الذى أظهر نفسه أمام المواطن الصينى بأنه يعمل لتحرير البلاد من الإقطاع والرأسمال، ولكنه كان يتعامل معها فى الحقيقة ، لذلك نجد أن جماهير الشعب الصينى ساندت الشيوعيين، وتعاطفت معهم نتيجة ما كان يلحق بهم من تنكيل فى حملات الإبادة التى كان يشنها عليهم شيانج كاي شيك .

وجد الشيوعيين الفرصة سانحة أمامهم للقيام بالدعوة إلى جبهة متحدة لمقاومة الابان وكان هذا يحقق لهم أكثر من هدف ، فمن جهة يوقف حملة تشيانج كاي شيك ضدهم من ناحية ثانية يجبروه على الاعتراف بهم كقوة سياسية داخلية بعدما كان يعمل على إبادتهم، ومن ناحية ثالثة ظهر الشيوعيون وكأنهم هم الوطنيون الذين يدافعون عن البلاد ضد الغزو اليابانى ونجحوا فى ذلك فارتفع عدد قواتهم إلى 45 ألف جنبدى ، وراح ماوتسى تونج يغرس فى نفوس الجيش مبادئ الانضباط العسكرى والحزبى ، ودعا جميع طبقات الشعب للنضال والتحرير الأمر الذى جعل اليابانيون يدركون أن عدوهم الحقيقى هو الحركة الشيوعية الصينية وليس تشيانج كاي شك .

الواقع أن العدوان اليابانى على الصين قد أتاح للشيوعيين فرصة نادرة استطاعوا استغلالها لتطوير قوتهم وتوسيع قواعدهم مما أدى إلى سيطرتهم على الصين بعد ذلك .

ويمكن تقسيم فترة المقاومة الصينية الشيوعية للإحتلال اليابانى إلى ثلاث مراحل هي :

1- المرحلة الأولى 1937 - 1940 وتنقسم إلى قسمين القسم الأول دام سنتين عندما قامت اليابان بتوجيه ضرباتها ضد الكومنتانج لاعتقادها بانهم الأهم ، ولكن بعد ذلك قامت اليابان بتوجيه ضرباتها ضد الشيوعيين الذى تضاعف عددهم عشرين مرة خلال أربع سنوات

2- المرحلة الثانية 1941 - 1942 وفيها شددت اليابان هجماتها ضد الشيوعيين وكبدتهم خسائر فادحة ويعيد ماوتسى تونج سبب هذه الخسائر إلى استخفاف الشيوعيين باليابان وأتباعهم الحرب النظامية بدلاً من حرب العصابات ، وكذلك فإن تشديد الكومنتانج ضرباته على الشيوعيين فى هذا الوقت أدى لإضعافهم .

3- المرحلة الثالثة 1943 - 1945 فى هذه المرحلة إزداد عدد الحزب الشيوعى إلى 900 ألف وبلغ عدد مقاتليه 2.270.000 وبلغ الجيش 470 ألفاً، وفى هذه المرحلة ركزت اليابان على قواعد الحزب الشيوعى .

من هنا يظهر لنا وجود اتجاهان فى الصين لمقاومة الغزو اليابانى : الاتجاه الأول نادى بالتحريض قبل التوحيد، وقبله تشيانج كاي شك ، والاتجاه الثانى تزعّمه الشيوعيون الذين طالبوا بالتوحيد، وضرورة إقامة جبهة وطنية لمقاومة اليابان . وقد اضطر تشيانج للموافقة على الاتجاه الثانى الشيوعى بعد ما لحق بحزبه الكومنتانج خسائر فادحة فى حين استغل الشيوعيون هذه المرحلة ليكتسبوا المزيد من الشعبية .

فى جهة أخرى من العالم كانت الولايات المتحدة تشترط على اليابان الجلاء عن الصين - بعد عدوانها عام 1937 - فعادت علاقاتها الودية معها ، ولكن اليابان فى عام 1941 أعلنت الحرب على الولايات المتحدة الأمريكية،

وتوسعت فى الأراضى الصينية وكوريا وماليزيا وبورما وقطعت بذلك الطريق على الحلفاء من تقديم مساعدات للصين ، وكانت الولايات المتحدة الأمريكية بحاجة ماسة إلى استمرار المقاومة الصينية لليابانيين أثناء الحرب العالمية الثانية ، واشتد اهتمامها بالنزاع الدائر بين الصينيين الشيوعيين والوطنيين . لذلك تقابل تشيانج كاي شيك مع الرئيس الأمريكى روزفلت والبريطانى تشرشل فى القاهرة للبحث فى طرق مواصلة الحرب وإنهاءها مع اليابان .

وفى شهر ديسمبر 1944 حضر شواين لاي Chou Ein Lai الرجل الثانى بعد ماوتسى تونغ إلى منطقة شانكنغ طالباً من تشيانج كاي شيك تأليف حكومة ائتلافية لكن تشيانج رفض ذلك قبل تقديم ضمانات من الشيوعيين يعلنون فيها خضوعهم لسلطته ، بل إن الزعيم ماوتسى تونغ ذهب بنفسه لتوقيع اتفاقيات مع تشيانج كاي شيك، ولكن هذه الاتفاقيات بقيت حبراً على ورق واستؤنفت المعارك بين الشيوعيين والوطنيين .

تقدم الوطنيون تجاه الشيوعيين وارغموهم على الانسحاب من عاصمتهم يinnan باتجاه الشمال حيث انتشر الشيوعيون، ولم يستطع تشيانج محاصرتهم والقضاء عليهم ، خاصة وأنه كان مشغولاً فى منشوريا الأمر الذى سمح لماوتسى إعادة تسليح قواته بمساعدة السوفييت حتى بلغ مرحلة مساوية لتشيانج فى التسليح .

فى عام 1947 أعاد ماوتسى تنظيم قواته وعمل على تحديد أهدافه السياسية وتعليماته العسكرية وتبلورت هذه التعليمات فى الحرب الثورية المتمثلة بالتفرد بوحدات العدو المنعزلة، والتجنب فى دخول العمليات العسكرية المنتظمة مما جعل العدو يستنزف أكبر قدر من موارده المالية (xlvii)

وقد عمل الشيوعيون على توزيع الأراضى الزراعية على الفلاحين ؛ بل إن قوات ماوتسى كان تقاثل كبار ملاكى الأراضى أو تسجنهم ، ولكن

ماوتسى منع هذه الأعمال ، وأنشأ اقتصاداً إقليمياً للمناطق الواقعة تحت سيطرته، وأصدر عملة ثابتة، وأصبح الوضع الاقتصادى فى مناطق الشيوعيين هادئاً وثابتاً فى الوقت الذى كان التضخم النقدى عنوان اقتصاد المناطق التى يسيطر عليها الوطنيون .

وفى بداية عام 1948 قام الشيوعيون بالهجوم على منشوريا وشانتج واستعادوا إقليم بينان ، وهرب الكثير من القوات الوطنية . وكانت الروح المعنوية للشيوعيين مرتفعة فلم تحل نهاية عام 1948 إلا وكانت الصين تقريباً فى قبضتهم وهرب الوطنيون إلى فرموزا .

وفى عام 1949 ، كانت مقاومة الوطنيين قد انهارت أمام ضربات الشيوعيين وفى أول هذه السنة سقطت العاصمة بكين فى أيديهم، وفى سبتمبر 1949 أعلن عن قيام جمهورية الصين الشعبية .

إن إصرار الشيوعيين الصينيين على عداوتهم لأمريكا وضعها فى موقف حرج ، بل إن اعتراف الولايات المتحدة الأمريكية بالوضع الجديد أصبح أمراً مستحيلاً ، كما أن فرموزا لا تستطيع أن تدافع عن المصالح الاستراتيجية للولايات المتحدة الأمريكية فى الشرق الأقصى ، لذلك رأت الولايات المتحدة أنه من العبث استمرارها فى تأييد تشيانج كاي شيك فى فرموزا .

بعد ثمانية سنوات من الحرب 1937 - 1945 وبعد أن حقق الشيوعيون النصر ، تطلعت الصين إلى إعادة بنائها الاقتصادى ، وقام الاتحاد السوفيتى الذى أصبح دولة صناعية كبرى يتطلع للحصول على نصيبه من الصين (xlviii)

ثالثاً : العلاقات الصينية السوفيتية

تعتبر روسيا أقرب إلى أن تكون دولة من دول غرب آسيا بأكثر من أن تكون إحدى دول شرق أوروبا . وحقيقة الامر ، فإن روسيا حتى في عصرها الحديث لم تتخل عن سياستها " الشرقية " التي كانت تتبعها منذ زمن القيصرية ، ولقد حقق لها اندفاعها نحو الشرق أراضي شاسعة سوف تكون على نحو ما سننرى عائقاً في سبيل استمرار العلاقة الممتازة بين الصين وروسيا حتى بعد أن اعتنقت الصين المذهب الشيوعي .

ونلاحظ أن الاندفاع السوفيتية كانت تتجه رويداً رويداً نحو أواسط آسيا الشرقية لتحتل أراضي هي في أساسها من أراضي الصين ، وينصب حديثنا على إقليم سينكيانج ومنغوليا الخارجية اللذين يجب أن نضم إليهما المنطقة المسماة كوكو - نور ، هذه المناطق يقطنها سكان يتجاوز عددها نحو أربعين مليوناً من البشر .

فبالنسبة لإقليم سينكيانج الذي أصبح يطلق عليه اسم " تركستان الصينية " أو " تركستان الشرقية " . فهذا الإقليم عبارة عن هضبة مرتفعة صحراوية قاحلة ، ولكن الجزء الغربي يرويه نهر تاريم ، وهناك تمتد مساحات مترامية خصبة ومراعى هامة فضلاً عن احتياطات معدنية ضخمة ، ولقد عمل الاتحاد السوفيتي بطريقة منظمة على إخضاع سينكيانج إلى أن استعمرها بكاملها عام 1930 . وبعد أن بعث إليها بعدد من قواته وعدد من موظفيه أرسل إليها أفواجاً متتالية قوام كل منها عدة آلاف من عنصر القزف . كذلك عمل الاتحاد السوفيتي على بناء خط سكك حديد تركستان - سيبيريا ليربط تركستان الصينية بطشقند في تركستان الروسية .

أما بالنسبة لمنغوليا الخارجية فإنها متسعة المساحة تزيد مساحتها على مساحة فرنسا ، وهذه المنطقة تستمد قيمتها من إنه ينمو فيها غابات وأعشاب ذات قيمة بالنسبة لرعايا منغوليا . والجدير بالذكر أن منغوليا شأنها شأن إقليم

سينكيانج ليس لها قيمة اقتصادية كبرى فى حد ذاتها ولكنها موقع متقدم بالنسبة للأيدولوجية السوفيتية فمن عاصمة منغوليا - أولان - باتور (أى العملاق أو المجارب الأحمر) يمكن بلوغ مدينة كالجان القريبة من سور الصين العظيم فى ظرف ثلاثة أو أربعة أيام باستخدام السيارات، ومن ثم لا يكون هناك سوى مسافة ضئيلة لبلوغ بكين .

ولقد عملت موسكو بعد سنوات من الدعاية المكثفة لكى يقوم أهل منغوليا بإعلان بلادهم جمهورية أطلق عليها اسم " جمهورية منغوليا الشعبية الخارجية " عام 1924 وهذه الجمهورية التى أصبحت مستقلة دخلت فى الفلك السوفيتى وخضعت للنظام النقدى الروسى ، وكونت كوادره من الروس . ومن الغريب أنه فى عام 1924 وقعت كل من موسكو وبكين معاهدة " صينية - سوفيتية " كان أهم بنودها " إعراف الحكومة السوفيتية بأن منغوليا تشكل جزءاً مكملاً لجمهورية الصين " ولكن منغوليا الخارجية ألحقت بسبيريا الشرقية ، و صارت بعد ذلك جزءاً من إتحاد الجمهوريات السوفيتية (xlix) .

والغريب كذلك أن الحكومة المركزية الصينية لم تعارض فى ضم سينكيانج أو منغوليا الخارجية ، ولا التوغل الروسى فى منطقة كوكو - نور الملاصقة لحدودها والتى تقع إلى الجنوب من إقليم سينكيانج مما حمل بعض المؤرخين على التساؤل عما إذا كانت هناك إتفاقية سرية بين الصين وموسكو فى هذا الخصوص .

وعلى الرغم من أن جذور العلاقات بين الصين وروسيا ، أى بين أباطرة الصين وقيصرة روسيا فى القرن السابع عشر لم تكن علاقات مودة بحال من الأحوال ، وظل تاريخ هاتين الأمتين المتجاوزتين منذ ذلك الحين وحتى أوائل القرن العشرين يمثل تاريخ إمبراطوريتين جالة تصادم مستمر ، لذلك فإنه حينما أعلن الزعيم الصينى ماوتسى - تونج فى منتصف عام 1949 إن الصين سوف تتحاز إلى " جانب واحد " - بإتجاه الاتحاد السوفيتى

، ثم حين وقعت بعد ذلك معاهدتها مع روسيا للتحالف العسكرى عام 1950 ، تأكيداً منها على وحدة النظر للأمور ، ووحده المصالح والأهداف ، فإن ذلك الإعلان لم يكن متمشياً مع طبائع الأمور متجاهلاً الحقائق التاريخية ^(١)

1- التحالف الصينى - السوفيتى

لقد تم توقيع هذا التحالف فى 14 فبراير 1950 حين كان الزعيم الصينى ماوتسى تىنج فى موسكو للمشاركة فى مرور سبعين عاماً على ميلاد الزعيم السوفيتى ستالين . وظل كل من الزعيمين منهمكاً فى التفاوض لإبرام معاهدة ترمى إلى إستبدال المعاهدة القديمة التى كان قد أبرمها الاتحاد السوفيتى مع تشاينج كاي شيك على عجل يوم تسليم اليابان . أما هذه المعاهدة الجديدة التى وقعها كل من فيشينسكى عن الاتحاد السوفيتى ، وتشوا ين - لاي عن الجانب الصينى فكانت تنص على ما يلى :

" إنها معاهدة تحالف وصداقة ، و تعاون متبادل مدتها 30 عاماً قابلة للمد خمسة سنوات إلا فى حالة طلب فسخها قبل موعد إنتهائها بسنة " وتعهد الطرفان فى ستة مواد باتخاذ كافة التدابير التى من شأنها تجنب عودة اليابان إلى القيام بأعمال عدوانية " أو أية دولة أخرى تنضم إلى اليابان بصفة مباشرة أو غير مباشرة لهدف عدوانى " . وفى هذه الحالة يهب الطرف الأول لمساعدة الطرف الآخر عسكرياً - بهدف التعاون لإرساء السلام فى العالم والإسراع فى إبرام معاهدة سلام مع اليابان بصفة مشتركة مع كافة الدولة المعنية . وكذلك نصت المعاهدة على عدم التحالف أو الدخول طرفاً فى أى تحالف موجه ضد الطرف الآخر من المعاهدة ، وأن يجرى التشاور بين طرفى المعاهدة بشأن المشكلات الكبرى التى تتعلق بحفظ السلام فى العالم ، واحترام سيادة وتكامل الطرف الآخر على أساس من المساواة الكاملة.

غير أن النجاح الأكبر الذي حققه ماوتسى - تونج كان يكمن فى الملحق الذى أرفق بتلك المعاهدة ، وكان ملحقاً وحيداً يتعلق بتسوية الوضع بالنسبة لخط سكك حديد تشانج - تشوان الأمر الذى يعنى ربط مصير منطقتى جنوب منشوريا وشرقى الصين معاً ، وكذلك مصير ميناء بورت آرثر ودايرين . ففى مقدمة هذه الوثيقة لم يتردد ماوتسى تونج فى الإعلان عن أن الأوضاع " قد تغيرت تغيراً جذرياً منذ عام 1945 . فها هى اليابان قد تمت هزيمتها ، وها هو الكومنتانج لم يعد قائماً وها هى ذى جمهورية صينية شعبية صديقة للاتحاد السوفيتى قد ولدت من جديد وأن الاتحاد السوفيتى يتعهد بالتنازل للصين عن كل حقوق الملكية على الخط الحديدى " بمجرد توقيع معاهدة سلام مع اليابان " ، " وإن ذلك لن يتعدى فى كافة الأحوال 31 ديسمبر 1952 " . كذلك قبل الاتحاد السوفيتى بنفس الشروط ولنفس المهلة والتاريخ وإنسحاب قواته من بورت آرثر ، وأن يسلم للصين كافة المؤسسات المتعلقة بالميناء ، أما بالنسبة لمصير ميناء دايرين فلم يتحدد تماماً ، ولكن تم النص على أن تكون إدارة الميناء بكاملها من الصينيين .

واستكمالاً للمعاهدة تم إبرام إتفاقية تنص على منح الصين قرضاً بمبلغ 300 مليون دولار مدته خمس سنوات بسعر فائدة 1 % لبناء الصناعات الثقيلة والمناجم والسكك الحديدية ، ويجرى سداد القرض على مدى عشر سنوات بمواد خام صينية مثل الشا ، وبالدولارات الأمريكية (١١) .

كذلك تم تبادل ثلاثة مذكرات أو كتب متبادلة بين فيشينسكى Vichinsky وشواين - لاي . المذكرة الأولى تلغى المعاهدة المبرمة بين الاتحاد السوفيتى وحكومة الصين الوطنية بتاريخ 14 أغسطس 1945 . والثانية تتضمن اعتراف الدولتين باستقلال منغوليا الخارجية . أما الثالثة فتتضمن قيام السوفيت بتسليم الممتلكات اليابانية التى كان اليابانيون قد

اكتسبوها في منشوريا ، وكذلك المباني التي كانت تحتلها البعثة العسكرية السوفيتية في بكين .

لقد كان هذا التحالف الذي جسده معاهدة 1950 موجهاً في أساسه ضد الولايات المتحدة واليابان ذلك أن حجر الزاوية في السياسة الخارجية الصينية ظل خلال العشر سنوات التالية لعام 1949 يتمثل في تحالفها مع الاتحاد السوفيتي . ولم يقتصر هذا التحالف على المجال العسكري ، وإنما شمل العلاقات الاقتصادية والعلمية والتعليمية وعدداً آخر من المجالات المتشعبة ، ولقد كان من أبرز العوامل التي دفعت قادة بكين لتحالفهم مع السوفيت ، وتوثيق روابطهم معهم نظرة أيديولوجية مشتركة . فكان الطرفان يعتقدان أن لهما عدواً مشتركاً ، كما أن ما لديهما من قيم ، ربما يعمل على توحيد البلدين ، ويمنع أي تعارض بين المصالح القومية لهما .

على أن هذا التحالف مر بتجربة إمتحان قاسية ، ولما لم ينقض عام كامل على إبرامه حين نشبت الحرب الكورية . ومعلوم أن هذه الحرب بدأت من جانب كوريا الشمالية بموافقة ستالين الذي كان يظن أن هذا الهجوم سوف يتمخض عن حدوث ثورة في كوريا الجنوبية ، وأن الولايات المتحدة سوف لا تدخل في هذه الحرب . ولقد أبلغت خطة هذه الحرب إلى الزعيم ماوتسي - تونج الذي لم يكن في حسبانته تدخل الصين في هذه الحرب ، ولكن أوضحت الأمور موقف كوريا الشمالية متداعياً ، كما أن الولايات المتحدة تدخلت من جديد في تايوان لذلك وجدت الصين نفسها مهددة - ليس فقط من ناحية كوريا الشمالية التي تمثل نطاقاً عازلاً بالنسبة للصين كما أشرنا في الفصل السابق ، وإنما وجدت نفسها أيضاً مهددة في عقر دارها بالخطر ، لذلك بادرت بإرسال موجات من قواتها إلى كوريا بدعوى أنهم من " المتطوعين " .

على أنه بالرغم مما أوجدته الحرب الكورية من توتر فى العلاقات بين بكين وموسكو ليس هنا محل سردها ، فإن الحرب دعمت مكانة الصين ، وعملت على تقوية أواصر العلاقات الصينية - السوفيتية . فلقد قامت موسكو ببيع كميات ضخمة من الأسلحة والمعدات ، وعملت على " تحديث " الجيش الصينى بها . كذلك أدى الدعم السوفيتى للصين إلى ردع الأمريكين عن تصعيد القتال ، كما ثبت ذلك من عزم واشنطن على شن هجوم مباشر على الصين أو إستخدام الأسلحة النووية ضدها .

ومن الناحية الاقتصادية والفنية نرى موسكو ، وقد أخذت على عاتقها مساعدة الصين بالتجهيزات ، والمعلومات التكنولوجية . فقامت بإنشاء ما يزيد على 400 مشروع صناعى كان من بينها نحو 250 — 300 مشروع صناعى ضخمة . وخلال الخمسينيات قنم إلى الصين 10. 800 خبير وفنى سوفيتى . وطبقا للمصادر السوفيتية ، فإن الاتحاد السوفيتى زود الصين بنحو 14.000 مجموعة متكاملة من الوثائق العلمية والتكنولوجية ذكرت هذه المصادر أن قيمتها تساوى مليارات من الدولارات . ومن ناحية أخرى فإن موسكو باعت لبكين ما قيمته 1.2 مليار دولار من التجهيزات الفنية بما فى ذلك نحو 166 مشروعًا من المشروعات الصناعية الهامة .

ولم يقتصر التعاون بين البلدين على هذا المجال ، فقد تم تدريب 7000 صينى فى المشروعات السوفيتية المختلفة ، وكذلك فى ظل خطة تعاون علمى بين البلدين تم تدريب نحو 1000 شخص من الأكاديمية العلمية الصينية فى الأكاديمية السوفيتية إلى جانب تدريب نحو 1500 فنى صينى فى الاتحاد السوفيتى بالإضافة إلى قيام الروس بتقديم المساعدات فى إعادة تنظيم نظم التعليم الصين على النمط السوفيتى . وبعد حلول عام 1960 كان قد تم تدريب 1700 مدرس صينى فى الاتحاد السوفيتى ، والتحق 11.000 طالب صينى بالدراسات العليا فى جامعات الاتحاد السوفيتى .

ولقد كان واضحاً منذ البداية أن الصين تمثل الشريك الأصغر في هذه العلاقات في حياة ستالين ، فقد أصر السوفيت على سيطرتهم وتفوقهم من خلال التحالف وكان على الصينيين أن يقبلوا هذه السيطرة وهذا التفوق ، وإن يقنعوا بوضع التابع . وكان السوفيت يولون الأهمية الأولى لمصالحهم القومية صراحة في أغلب الإتفاقات التي تتم بين الطرفين الأمر الذي انتقده خروشوف فيما بعد حينما أشار إلى أن هذا الأسلوب المتعالي الذي إتبعه سلفه ستالين في العلاقات مع الصين قد أساء إلى هذه العلاقة ، وأنه ربما لو لم يكن ستالين قد وافته المنية عام 1953 لكان الشقاق قد أصاب العلاقة بين البلدين بالضرر في مرحلة مبكرة عما تمت فيه .

على أن بذور الشك قد وضعت حينما طلبت موسكو مقابلاً للدعم العسكري للصين ، وتمثل ذلك في طلبهم حقوقاً خاصة في خطوط سكك حديد شانجشون (Changchun) ، وفي ميناء بورت آرثر ، وفي منشوريا ، فضلاً عن طلب إقامة شركات مساهمة مشتركة في كل من منشوريا وسينكيانج . ونظراً لأن الحرب الكورية كانت لا تزال تدور رحاها على قدم وساق ، فإن الصينيين كانوا يعتقدون أن مد أجل امتيازات الروس في بورت آرثر ، وما طلبته موسكو هي أمور لازمة للدفاع عن الصين⁽ⁱⁱⁱ⁾ .

على إنه من العجيب أن زيادة العلاقات في المجالين السياسي والاقتصادي كان مدعاة لحدوث الاحتكاكات بين البلدين ، فالروس كانت لديهم الرغبة لتقديم مساعدات إقتصادية كبرى ، ولكن اشترطوا في مقابل ذلك قيام الصين بسداد قيمة هذه المعونات . فأنشاء الزيارة التي قام بها ماوتسي - تونج لموسكو في أوائل 1950 وافق الروس على منح الصين مبلغ 300 مليون دولار كسلفة للتنمية يجري تقديمها على خمس سنوات وأن يتم سدادها خلال العشر سنوات التالية بسعر فائدة منخفضة هي 1 % وفي عام 1954 قدم الروس معونة أخرى قيمتها 130 مليون دولار ، ولكن هاتين السلفتين

كانتا السلفتين الوحيدتين طويلتي الأمد اللتين قدمهما السوفيت للصين، وتم الإعلان عنها على مدار عشر سنوات كاملة . والأكثر من ذلك كان إصرار الروس على دفع قيمة الامدادات العسكرية التي يتلقاها الصينيون أثناء الحرب الكورية .

على أن السوفيت كانوا ينظرون إلى دعمهم المالي للصين على أنه معونات سخية ذلك انه لم يسبق لهم التعود على منح مساعدات إقتصادية على نطاق واسع إلى أى نظام حكم سواء كان ذلك النظام شيوعياً أم غير شيوعى . أما الصينيون فقد كانت نظرتهم للدعم المالي السوفيتى أنه ضئيل للغاية خصوصاً وأن السوفيت طلبوا من الصينيين ليس فقط دفع قيمة التجهيزات الصناعية ، ولكن أيضاً دفع قيمة المساعدات العسكرية الروسية لهم مما جعل الصينيين يتحملوا فى حقيقة الأمر عبء الحرب الكورية وحدهم .

غير أن انتهاء الحرب الكورية من ناحية، ووفاة ستالين عام 1953 من ناحية أخرى عمل على إحداث تغييرات هامة فى العلاقات بين البلدين . وكان أبرز هذه التغييرات اتجاه الزعماء الجدد فى موسكو عن عمد إلى جعل العلاقات بين البلدين أكثر مساواة والعمل على إزالة ما علق بها من شوائب . فقد عملت الزيارة التى قام بها خروشوف وبولجانين عام 1954 للصين على خلق فترة تتسم بالود المتبادل، وقام السوفيت بمنح قرض جديد للتنمية فى الصين ، ثم عمد القادة السوفيت الجدد أيضاً إلى إنهاء الحقوق الخاصة التى حصلوا عليها من الصين 1950 والأكثر أهمية من كل ذلك أنهم أظهروا احترامهم للكبرياء الصينى . بل إنه فى عام 1955 بلغ الحد ببعض القادة السوفيت بمن فيهم مولوتوف إلى الإشارة إلى أن الكتلة الشيوعية يتزعمها كل من الاتحاد السوفيتى والصين .

2 - الصراع الصينى السوفيتى

على الرغم من أن بوادر التوتر فى العلاقات بين الصين والاتحاد السوفيتى بدأت فى أوائل الخمسينيات من هذا القرن إلا أن الصراع المكشوف بينهما لم يتفاعل بصورة جدية إلا فى النصف الثانى من الخمسينيات ، ولم يتبلور فى صورة صراع أيديولوجى علنى إلا عند حلول الستينيات .

على أن هناك عدة عوامل أسهمت فى تفاقم هذه العلاقات ، لكن العامل الأهم هو مسألة الأمن العسكرى الذى مر فى حقيقة الأمر بمراحل ثلاث وهى : الفترة من 1957 - 1959 حينما أسفر توتر العلاقات عن تولد الشك لدى الطرفين ، ثم الفترة من 1962 - 1963 حينما صار التحالف الصينى - السوفيتى مفرغاً تماماً من مضمونه ، وأخيراً الفترة من 1967 - 1969 - حينما تحولت المواجهة السياسية بين البلدين إلى مواجهة عسكرية .

ويرى الصينيون أن بداية الصراع الحقيقى حدث عندما ألقى خروشوف خطابه المشهور فى عام 1956 الذى تضمن الهجوم على ستالين . وفى رأيهم أن خروشوف كان ينبغى أن يستشيرهم أو أن يفصح لهم عن نيته قبل إلقاء ذلك الخطاب فى حين أن الروس كانوا يعتقدون أن هجومهم على ستالين هو أمر يخصهم وحدهم . ويذهب الصينيون إلى القول بأن هذا الخطاب كانت له أصداء واسعة بالنسبة للصين ، وبالنسبة للكتلة الشيوعية بأسرها . وأشد ما أصاب الصينيين بالانزعاج من خطاب خروشوف هو تأكيده على عدم حتمية الحرب ، وبإمكانية التحول إلى الاشتراكية بغير عنف ، وترويجة لفكرة التعايش السلمى (Peaceful Co-existence) واعتبار كل هذه المفاهيم الجديدة بمثابة أساس للسياسة السوفيتية . فلقد كان النموذج الثورى حسب مفهوم الزعيم ماوتسى - تونج يعتمد على العنف ، وفضلاً عن ذلك فإن هذه الأفكار التى طرحها خروشوف كانت تتضمن الرغبة فى التوصل إلى حل توفيقى مع الدول الرأسمالية ، وعلى وجه الخصوص مع الولايات المتحدة

بكيفية جعلت بكين تشعر بان وضعها سوف يصيبه الوهن فى مواجهتها مع الولايات المتحدة وعلى وجه أخص بالنسبة لموضوع تايوان .

على أنه لا ينبغي لنا أن نغفل أثر الاضطرابات التى حدثت فى عام 1956 - فى بولندا أول الأمر ، ثم بعد ذلك فى المجر، إذ كان رد الفعل الصينى تجاه هذه الأحداث إن ادخلوا أنفسهم بطريقة مباشرة فى شؤون شرق أوروبا ، وعملوا على بلورة فكر شيوعى صينى فى مواجهة الأحداث السياسية التى تواجه العالم الشيوعى .

وإذا ما استعراضنا أهم الأحداث التى تجلى فيها الخلاف بين البلدين ، فإننا نشير إلى أن خروشوف كان قد عقد العزم على تحقيق توازن استراتيجى مع الولايات المتحدة من جهة ، وعلى تقليل مخاطر نشوب حرب نووية من جهة أخرى - الأمر الذى أملى عليه تدبير سياسة سوفيتية جديدة صوب الولايات المتحدة . ولقد أسفرت جهود خروشوف عن سياسة التعايش مع المعسكر الغربى التى تطورت بدورها لما سمي بالانفراج (Détente) والذى بلغ ذورته بزيارته إلى واشنطن عام 1959 .

ولقد كانت الصين تنظر بعين القلق إلى هذا الانفراج باعتبار أنه سوف يلحق الضرر بالمصالح الصينية فى منطقة تايوان، وغيرها . ومن هنا كان اتجاهها لمعارضة هذا الانفراج . ومن جهة أخرى كان الاتحاد السوفيتى باعتباره قوة نووية كبرى يخشى من احتمال أن تتفجر الصراعات العسكرية المحلية وتتحول إلى مواجهة بين القوى الأعظم ولكن الصينيين الذين لم يكن يروقه استمرار الأوضاع على ما هى عليه فكانوا يرون أن الصراعات المسلحة المحلية أمر لازم لا غنى عنه بالنسبة لنجاح الثورات وكانوا يرون أن استعادتهم لجزيرة تايوان يستدعى تضافر قوى الصين والاتحاد السوفيتى معاً لمباشرة الضغط المنشود على الولايات المتحدة (١١١) .

بعد وفاة ستالين أيقن ماوتسى — تونج انه لابد من بناء قوة نووية صينية وبعد أن أعطى ماوتسى — تونج إشارة البدء لما أسماه " بالقفزة الكبرى إلى الأمام " فى عام 1958 قال محذراً : " إنه يمكننا أن ننتج قنابل ذرية فى فترة لا تتجاوز العشر سنوات " . واعتقدت الدول الغربية أن ذلك كان من قبيل التصريحات الدعائية ولم تأخذها مأخذ الجد .

ولكن بعد خمس سنوات أخرى أى فى عام 1963 أعلن أحد القادة العسكريين الصينيين قوله " إن رئيس الوزراء السوفيتى نيكيتا خروشوف إدعى يوماً من الأيام أن الأسلحة الذرية مكلفة جداً بحيث لو فكرت الصين فى إنتاجها فإن ذلك سوف يكلفها غالياً وبحيث لا يتبقى لديها من الأموال ما يكفيها لإنتاج البنطلونات لسكانها . وأنا أقول اليوم أنه يتحتم علينا إنتاج هذه الأسلحة ونحن نلبس البنطلونات أو بدونها " . ولم تنقضى سوى سنة واحدة حتى فجرت الصين قنبلتها الذرية الأولى فى 16 أكتوبر 1964 .

ويرجع هذا النصر النووى إلى أنه ابتداء من عام 1950 أخذ الجيش الصينى على عاتقه السيطرة على علوم الطبيعة النووية وتولى شواين — لاي مهمة الإشراف على هذا المشروع . كذلك سيطر الجيش الصينى على عملية حشد العلماء الصينيين الذين كانوا لا يزالون مقيمين خارج الصين، وكانوا حينذاك نحو عشرة آلاف كان من بينهم أربعة آلاف أعمارهم (ما بين 35 — 45 سنة) فى جامعات، ومعاهد أبحاث فى الولايات المتحدة الأمريكية .

ويهمنا الآن التعرف فى هذا المجال على الإسهام السوفيتى ، نظراً لأن عدم وفاء السوفيت فى نظر الصينيين بما تعهدوا به سوف يتحول إلى قطيعة بسبب الشكوك المتبادلة . وفى بادئ الأمر لم يدخر الاتحاد السوفيتى وسعاً فى تقديم الحاسبات الإلكترونية، والمفاعلات النووية فى نفس الوقت الذى كان فيه علماء الذرة السوفيت يلتقون هذه العلوم فى الكليات الصينية . وتم إرسال عدد من الطلبة الصينيين إلى المعاهد، والمعامل السوفيتية خصوصاً فى

دوبنة (Dubna) وتم على أيديهم إعداد أكثر من 38.000 متخصص صينى فى هذا المجال فى معاهد الاتحاد السوفيتى وكان من بينهم 1300 عالم بالإضافة إلى 7500 طالب .

بالإضافة إلى ذلك شرع الاتحاد السوفيتى منذ عام 1956 فى بناء أول مصنع للعزل النووى على شاطئ النهر الأصفر حيث تم استكشاف أكبر إرسابات من اليورانيوم عند نقطة لانتشو (Lantceou) وكان الزعيم الصينى ماوتسى - تونج ورئيس الوزراء السوفيتى خروشوف قد وقعا اتفاقاً سرياً فى 15 أكتوبر يقضى بتعهد الاتحاد السوفيتى بتقديم مواصفات قنبلة ذرية بصفة عينة من القنابل الذرية السوفيتية وكذلك مفاعلاً ضخماً مع مواد اجتراقه حتى تبدأ باكورة إنتاج مصنع لانتشو . وبمقتضى هذه المعاهدة السرية يتعهد السوفيت أيضاً بتوفير غطاء للصين الشعبية ضد احتمالات قيام الأمريكين بالعدوان على الصين . ولكن بات واضحاً بمرور الوقت أن السوفيت لم يكونوا جادين فى إعطاء بكين أية وسائل استراتيجية هجومية ضد تايوان نظراً لأن ذلك قد يتسبب فى دخول الاتحاد السوفيتى فى صراع مباشر مع الأمريكين ، لذلك سارع الكرملين فى 20 يونيو 1959 - وبعد الحملة الصينية الفاشلة على فرموزا - إلى فسخ هذا الاتفاق بما ترتب عليه من آثار بالغة فى مستقبل العلاقات بين البلدين .

ولقد أعقب إلغاء هذه الاتفاقية مغادرة الخبراء السوفيت تاركين مصنع لانتشو (Lantcheou) الذى لم يكن ينتج سوى 25 % من اليورانيوم بدلاً مما كان مقدراً وهو نسبة 93 % . وفى هذا الظرف قبل علماء الطبيعة والكيمياء الصينيون هذا التحدى (iv).

وكان الرد الصينى حاسماً . ففي مدينة تشونج كنج (Tchongh King) تم إعداد مركز تجمع لاستقبال كافة الوثائق العلمية الآتية من كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى، وأوروبا على حد سواء بل من العالم

أجمع حول كافة المواضيع العلمية مثل الصواريخ، والآلات الفضائية .
والحقيقة أن اليابانيين اسهموا بتقديم الترانزستور الذى يستلزم استخدامه فى
الحسابات الإلكترونية التى لا غنى عنها للحاسبات القورية لتحديد مسارات
الصواريخ . ولم يلقض عشر سنوات إلا كانت الصين قد استطاعت إعداد ما
يقرب من 600.000 عالم جديد فى هذه الميادين .

بيد أن الخلاف حول الأسلحة النووية كان بلا أدنى شك واحداً من أهم
أسباب الصراع العلنى المكشوف بين بكين وموسكو . فالصينيون يرون أن
الروس لم تكن لديهم الرغبة الصادقة لدعم الصين لتحقيق مصالحها القومية
لتظل معتمدة عليهم عسكرياً، وإن تبقى مستظلة بالمظلة النووية السوفيتية إلى
الأبد . ويرى السوفيت أن خروشوف كان قد وطد العزم فى تلك الفترة على
أن تكون الأولوية للرقابة على الأسلحة بما فى ذلك السعى نحو منع الانتشار
النوى وبصير من المنطقى — والحالة هذه — أن يوقف الاتحاد السوفيتى
مساعداته النووية للصين .

وهناك موضوع عسكرى آخر أطل برأسه فى عامى 1958 — 1959
أسهم فى توتر العلاقات، وزيادة هوة الشقاق بين البلدين . فقد طلبت بكين
مساعدات سوفيتية ضخمة لتوسيع، وزيادة قدرات الأسطول الصينى، ولم
يستجب السوفيت لهذا الطلب . وقد أقام السوفيت بدلاً من ذلك اقتراحاً بإنشاء
أسطول صينى سوفيتى مشترك وطلبوا السماح لهم باستخدام السواحل
الصينية للسفن الروسية ، الأمر الذى رفضته بكين ، ثم تطور نزاع
الأراضى بين الصين والهند عام 1959 ، ولم يقم السوفيت بما توقعته
الصينيون منهم كدعم لحليفهم فى نزاعهم مع الهند ، وبدلاً من أن تقوم
موسكو بالضغط على نيولهى ، فإنها أخذت موقف محايداً واستمرت فى تقديم
المساعدات للهند .

ومن الجدير بالذكر أن بداية عام 1960 شهدت كما اسلفنا الصراع العلني المكشوف بين البلدين، ولقد كان للصين دور المبادأة في بداية الستينيات في هذا الصراع، وكان ذلك بتدبير شخصي من الزعيم ماوتسي - تونج . وقد تضمن هذا الهجوم مقالة ظهرت في صحيفة الحزب الشيوعي الصيني " العلم الأحمر " أعلنت الغضب على الاتحاد السوفيتي الذي تخلى عن مبادئ لينين ، وعن القيم الرئيسية للشيوعية . وكان عنوان هذه المقالة " فلتحيا اللينينية " وقد نعتت هذه المقالة السوفيت بأنهم التخريفيون الجدد Revisionnists . ولقد تضمنت المقالة توجيه الأنظار بالدرجة الأولى إلى استمرار الصراع الطبقي ، وإلى الحاجة إلى استخدام العنف وإلى الثورة المسلحة وليس " التحول السلمي " الذي دعت إليه السياسة الجديدة للسوفيت والتي أطلق عليها اسم " التعايش السلمي " .

وبهنا الآن أن نرى رد الفعل السوفيتي على هذه الحملة الضارية ، لقد تمثل الرد السوفيتي في ضغط مضاد باتخاذ إجراء " تأديبي " ضد الصين فقد عمد السوفيت في صيف عام 1960 إلى سحب كافة الخبراء السوفيت من الصين ، تلك الخطوة التي كان لها تأثير مدمر على الاقتصاد الصيني ، ولقد كانت ذريعة الروس في ذلك أن الصينيين اعتبراً من 1958 أصبحوا يتجاهلون نصائح المستشارين السوفيت ، وجعلوا حياتهم لا تطاق بالكيفية التي لم يعد أمام السوفيت من سبيل سوى استدعائهم إلى موسكو وقالت موسكو، أن هذا الإجراء لم يكن أمراً مفاجئاً ، وأنه أتى حصيلة سنتين من تصعيد هذه المعاملة السيئة .

وعلى الرغم من أن التهم التي وجهتها موسكو قد لا تخلو من حقيقة ألا أن سحب الخبراء بهذه الكيفية المفاجئة لا يعدو أن يكون إجراء تأديبياً للرد على هذا الضغط الذي باشرته بكين صراحة وربما كان الظن لدى السوفيت أن الصين سوف تستكين لشروطهم ، لكن بكين اتخذت موقفاً اتسم بالعناد

والإصرار رغم أن سحب الخبراء أصاب الاقتصاد الصيني بأضرار بالغة في وقت كان فيه الاقتصاد الصيني يعاني من متاعب جمة نتيجة الإخفاق في مشروع " القفزة الكبرى نحو الأمام " (Great Leap Forward) التي بدأتها الصين في عام 1958 من ناحية، ورداءة الطقس الذي تسبب في محصول زراعي غير موات من ناحية أخرى . ونشير إلى أن الحزب الشيوعي الصيني كان بمجرد أن تقلد أمور الحكم في الصين اندفع إلى السعي نحو السيطرة على الأقليات الصينية في بعض المناطق مثل أراضى القزق والأجور ومنطقة أيلو وعلى المنغوليين في منغوليا الداخلية . وكان الحزب الشيوعي بإقدامه على هذا العمل يكون قد عمل على انفصام المجموعات العرقية من نفس العنصر عبر الحدود عن بعضها البعض — الأمر الذي جعل الاتحاد السوفيتي ، وجمهورية منغوليا تتخذ إجراءات مشابهة . ولما زار خروشوف بكين لأول مرة عام 1954 طرح الزعيم الصيني ماوتسي تونج مسألة الوضع القانوني لمنغوليا الخارجية للبحث ، ورفض خروشوف رفضاً قاطعاً مجرد التطرق إلى هذا الموضوع (١٧).

ولكن بعد حلول عام 1960 كانت الأوضاع قد تبدلت ، وتدهورت العلاقات بين البلدين حتى أصبحت الاحتكاكات على الحدود شديدة الخطورة ، وتدهورت الأوضاع عام 1962 حينما هاجرت أعداد ضخمة من القزق والأجور أرض الصين ذاهبة إلى الاتحاد السوفيتي . وظل الحال على هذا المنوال حتى حلول عامي 1963 ، 1964 حيث تحولت مسألة الحدود إلى صراع حول الدعاوى المتبادلة بشأن السيطرة على الأراضى . ومن الغريب أن خروشوف قد ساهم في هذا الشأن ، ذلك أنه في ديسمبر 1962 أراد الرد على الانتقادات الصينية اللاذعة أثناء أزمة الصواريخ الكوبية فعبّر الصينيين ، ونعى عليهم موقفهم المتخاذل في مواجهة الإدارة الاستعمارية لكل من جزيرة هونج كونج ، ومكاو رغم كونها أرضاً صينية . فما كان من الصينيين إلا أن أثاروا موضوع كافة " المعاهدات غير المتكافئة " التي

أبرموها فى الماضى بما فى ذلك المعاهدة المبرمة بينهم وبين الروس ، وقالوا أن شروط هذه المعاهدات ينبغى أن تخضع للمراجعة من جديد . فرد السوفيت بالقول أنه ليس هناك موضوعات قائمة تخص الأراضى تخضع للمراجعة — الأمر الذى حمل خروشوف فى نهاية عام 1963 بأن يبعث لكافة رؤساء الدول ، والحكومات يحثهم فيه على إبرام معاهدة دولية تستتكر استخدام القوة فى حل المشكلات المتعلقة بالأراضى أو بالحدود القائمة .

ولقد أوضحت الصين أن روسيا القيصرية كانت قد استولت على أراضى صينية تزيد مساحتها على نصف مليون كيلو متر مربع من خلال هذه المعاهدات غير المتكافئة — الأمر الذى تنتظر إليه الصين فى عهدنا الحاضر على أنه لا مبرر له . وقد أشارت الصين إلى أنها قد لا تطالب بكافة الأراضى المتنازل عنها بمقتضى هذه المعاهدات ، إلا أن الاتحاد السوفيتى قد احتل مساحات إضافية حتى " بخرقه لهذه المعاهدات نفسها " .

ولم يقتصر الصراع على هذا الحد من التدهور ، بل أسهمت أزمة الصواريخ الكوبية فى عام 1962 كما أسلفنا فى زيادة هذا التدهور . وبعد انتهاء هذه الأزمة اتهم الصينيون الروس بالمغامرة الجامحة ، والعمل على دفع الأزمة ، ثم اتهموهم بالجبن والاستسلام أمام التهديد الأمريكى . على أن مثل هذه الاتهامات حدثت حينما كانت العلاقات السوفيتية — الأمريكية فى أخطر مراحلها مما أثار حفيظة الروس وحنقهم على الصينيين . كذلك فإن الروس وجهوا الانتقادات إلى الصين بالمخاطرة الجامحة أثناء نشوب نزاع الحدود بينهم وبين الهند الذى نتج عنه حرب الحدود عام 1962 الأمر الذى جعل الروس يقدمون الدعم إلى الهنود بتزويدهم بشحنات الأسلحة رغم نشوب هذه الحرب الصينية — الهندية .

على أنه تنبغى الإشارة إلى أن الصراع الصينى — السوفيتى تصاعد فى عام 1962 — 1963 حتى وصل حداً جديداً حرجاً يمكن أن يقال عنه بشئ

كثير من الدقة أنه بلغ نقطة اللاعودة . وكان السبب الأكبر والأساسى لذلك متمثلاً فى النزاع بين بكين وموسكو حول التجارب النووية .

ولقد جاءت المبادرة فى هذا السبيل من الجانب الأمريكى الذى قدم اقتراحاً للحكومة السوفيتية ردت عليه بأنها راغبة فى عقد اتفاقات من شأنها الحد من انتشار الأسلحة الذرية وقامت الحكومة السوفيتية بإبلاغ ذلك إلى الصينيين . فما كان من بكين إلا أن سارعت إلى إرسال سلسلة من المذكرات إلى موسكو تحذرها فيها بأن الصين سوف " لا تتسامح فى مثل هذه الخطوات الرامية إلى الحد من مشروعاتها النووية . لذلك فإن الاتحاد السوفيتى حينما أقدم - بالرغم من هذه التحذيرات - على توقيع معاهدة الحد من التجارب النووية (Limited TestBan Treaty) من جانب كل من الولايات المتحدة ، وبريطانيا فى يوليو 1963 بادرت الصين بعنف بالغ بشجبها على اعتبار أنها نوع من " الغش " وكانت الاتهامات لواشنطن ، وموسكو على حد سواء وقالت أنهما تحاولان " تكريس احتكارهما النووى " .

على أنه أتت بعد ذلك فترة الهدوء فى التوتر بين البلدين فى خريف عام 1963 حينما تم إزاحة خروشوف عن السلطة ، وفى نفس الوقت تقريباً - وإن كان بمحض الصدفة - قيام الصين بتفجير قنبلتها النووية الأولى مما كان له انعكاسات على العالم بأسره . ثم ما لبثت حرب فيتنام أن أسهمت فى توتر العلاقات بين الطرفين من جديد . وفى عامى 1964 ، 1965 كثفت الولايات المتحدة من تواجدها فى فيتنام مما أصاب كلا من موسكو ، وبكين بالانزعاج الشديد .

لقد كان موقف السوفيت من حرب فيتنام ، هو دعوتهم للصينيين من أجل توحيد الجهود لمساعدة فيتنام الشمالية . لكن الصين أصرت على رفض أى تعاون مع السوفيت فى هذا السبيل . بدلاً من ذلك كانت تعمل على إعاقة الجهود السوفيتية لمساعدة فيتنام الشمالية فى الوقت الذى مضت هى فى

مساعدة الفيتناميين الشماليين ضد العدوان الأمريكي . ثم بعد ذلك نجد الصين خلال عام 1966 وانغمست في صراعات سياسية داخلية سببتها الثورة الثقافية . ولقد انعكس أثر هذه الاضطرابات الداخلية على السياسة الخارجية الصينية ، حيث اتخذ قادة بكين موقفاً ثورياً متصلياً ، واتجهوا نحو الداخل إلى أحكام نوع من العزلة المطلقة — الأمر الذى جعل علاقات الصين مع غالبية الدول — بما فيهم الاتحاد السوفيتى — تصل إلى أدنى مستوى لها خلال الفترة من 1967 — 1968 . وقد تجلى ذلك فى قيام الحرس الأحمر الصينى بمحاصرة السفارة السوفيتية فى بكين .

وقد تمت الإشارة إلى أن احتلال السوفيت لتشيكوسلوفاكيا عام 1968 قد أصاب الصين بنوع من الانزعاج الشديد حيث كانت هذه الواقعة تشكل فى نظرهم سابقة خطيرة باحتمالات التدخل السوفيتى فى الصين . ثم بلغت مخاطر الصدام بين البلدين أوجها فى عام 1969 حين حدثت مصادمات عسكرية خطيرة مرتين : واحدة فى 2 مارس ، والأخرى فى 15 من نفس الشهر فى منطقة شنيان (Chenpao) وكان يمكن لهذه الأحداث أن تعمل على نشوب الحرب . غير أن الطرفين أدركا الوضع قبل أن يصل إلى حافة الهاوية .

ومنذ عام 1969 تجمد الوضع بين البلدين نتيجة السعى نحو حل الأزمة بين الطرفين حول الحدود . وبدأت حدة الأزمة . ثم بحلول عام 1974 بدأت حكومتا البلدين بإصدار تلميحات يفهم من ثناياها أن العلاقات بينهما قد تطورت إلى أحسن . وفى شهر نوفمبر 1974 فاجأت بكين العالم أجمع بأن بعثت برسالة إلى موسكو تقترح فيها إبرام ميثاق عدم اعتداء ، ولكن هذا العرض لم يسفر عن شئ .

ولقد حاول السوفيت من ناحيتهم على مدار عدة سنوات أن يصدروا عدة تصريحات توحى بأنهم على استعداد للتصالح دون أن يغيروا من موقفهم

الأساسى . وفى أبريل 1976 نشرت صحيفة البرافدا مقالاً هاماً يوحى بالرغبة فى التصالح طالما أن الزعيم ماوتسى - تونج قد اختفى من على المسرح . وفى شهر أكتوبر نشرت نفس الصحيفة مقالاً يتضمن تهديد مقنعاً للصين بأن ذكرت بأنه ليس هناك من سبب موضوعى للعداء الصينى - السوفيتى ، أما التهديد فكان بالقول بأنه ما لم يعثر الزعماء الصينيون الجدد على " لغة مشتركة " للتفاهم مع موسكو خلال الشهر القادم " فإنه سوف لا يكون من الممكن منع صدور قرار لا رجعة فيه من جانب الزعماء السوفيت - الأمر الذى آثار وزير الخارجية الأمريكى هنرى كيسنجر ، ودفعه إلى التصريح بقوله بأن الولايات المتحدة تعتبر أى تهديد للصين من جانب أية دولة أخرى أمراً خطيراً (١٧٦) .

وكان من نتيجة هذا الصراع المتصل بين الصين والاتحاد السوفيتى أن صار الوعى يتزايد من كلا الجانبين حول الفجوة الحضارية أو الثقافية التى تفصل بينهما .

ولقد كان الظن لدى قادة كل من البلدين عقب انتصار الثورة الشيوعية الصينية فى عام 1949 أنه من المأمول أن يحدث امتزاج حميم بين المجتمعين ، السوفيتى والصينى انطلاقاً من أن القيم السياسية المشتركة فى ظل الماركسية - اللينينية سوف تتجاوز الفجوة الحضارية التاريخية بين الشعبين ، ولم يكن غريباً . إذن أن يكون الشعار الذى رفعته بكين عام 1952 هو أن " الاتحاد السوفيتى اليوم هو صين الغد " . ولكن يلاحظ من ناحية أخرى أن هذا الشعار كان من جانب واحد . فلم نسمع عن شعارات سوفيتية مقابلة تدعو إلى أن ينهل السوفيت شيئاً من القيم الصينية . لذلك فإن هذه العلاقة لم تدم طويلاً ، فبمجرد أن ظهرت صراعات المصالح ، غدا واضحاً أن الفجوة الحضارية لم يكن بالمستطاع تجاوزها .

وفى الأونة الراهنة ، أصبح الصفوة من المثقفين فى الصين يشددون على القول بان بلادهم تتمتع بوضع فريد ، وأنه من المرغوب فيه الحفاظ على قيمتها المتميزة . فمنذ اتصالاتهم الأولى بالغرب خلال القرن التاسع عشر كما سبق أن رأينا كانت المشكلة الرئيسية بالنسبة للصين هى كيفية المحافظة على القيم الأساسية فى وجه المؤثرات " التخريبية " الوافدة من الخارج فى نفس الوقت الذى آمنوا فيه بضرورة استيراد المعرفة التكنولوجية ، والعلمية اللازمة لتقوية دعائم الصين ، وتحديث نظمها . وأن كان ذلك متأخراً إذا قورن بالنهضة اليابانية الحديثة فى عصر الميجى .

كذلك سرعان ما أصبح هناك ميل نحو النظر للاتحاد السوفيتى كدولة بيضاء غريبة استعمارية تحمل قيماً غريبة على الصين من ناحية ، وتحدث لها نوعاً من الاضطرابات من ناحية أخرى . ومن المفيد هنا أن نذكر أنه حتى قبل عام 1949 وعلى الرغم من الجوار من الناحية الجغرافية فلم تحتفظ الصين بعلاقات حضارية مع الروس ، بقدر ما كانت تحتفظ بعلاقات ثقافية أو حضارية مع الدول البحرية الاستعمارية الأخرى . فلم يكن فى روسيا فى ذلك الحين إلا عدد ضئيل من المعلمين ، والأطباء ، وزجال الإرساليات الروس ، بل إن الروس كانوا أبعد حضارياً بالنسبة لغالبية الصفوة المتحضرة من الصينيين عن بقية الأجانب (ivii) .

رابعاً : العلاقات الصينية الأمريكية

حينما دخلت الولايات المتحدة الأمريكية الحرب العالمية الثانية كان الزعيم الصينى الشيوعى ماوتسى تونج يأمل فى المساعدة الأمريكية للصين ، لقد كان الشيوعيون الصينيون ينظرون ناحية الولايات المتحدة أكثر من نظرهم إلى الاتحاد السوفيتى ، إذ لم يكونوا ينتظرون عوناً سوفيتياً لهم بعد توقيع السوفييت ميثاق حياد مع اليابان 1941 .

وعند نهاية الحرب العالمية الثانية وجه الصينيون جيوشهم ناحية الشمال الشرقى ومنغوليا ، وسلم السوفييت للصينيين كميات كبيرة من الأسلحة ، وسمحوا لهم بالحلول مكانهم فى الأماكن التى ينسحبون منها فساعد ذلك على سيطرة الشيوعيين على الصين .

اكتنف الغموض العلاقات الصينية الأمريكية عقب الحرب العالمية الثانية ، لأن الولايات المتحدة الأمريكية كانت تسعى لدعم الحكومة الوطنية ، ولجذب الشيوعيين للتوصل إلى حل وسط . ولكن هذه السياسة أدت لفشل الولايات المتحدة لأن الوطنيين لم يحسوا بالدعم الأمريكى الكامل ، ولأن الشيوعيين لم يحسوا بالحياد الأمريكى الكامل ، و نتيجة لتناقض السياسة الأمريكية التى رفعت عدد قواتها لمساندة لتشانج كاي شك من 60 ألفاً إلى 143 ألفاً

1 - المسألة الكورية

تعود فى جذورها إلى عام 1910 عندما احتلت اليابان كوريا بعد انتصارها على الصين وروسيا . ولكن هزيمة اليابان فى عام 1945 جعل من كوريا منطقة فراغ سياسى تطمع بها كل من الولايات المتحدة الأمريكية ، والاتحاد السوفيتى ، لذلك نجد أن الحلفاء فى مؤتمر وزراء الخارجية الذى انعقد فى موسكو عام 1945 يقررون وضع كوريا تحت وصاية الدول الأربع الكبرى الاتحاد السوفيتى ، والولايات المتحدة والصين ، وبريطانيا على أن تحصل كوريا على استقلالها بعد خمس سنوات من هذه الوصاية .

كانت الولايات المتحدة الأمريكية تسعى لاستمالة كوريا لى تكون بلداً من ضمن المجموعة الموالية لها ، وكذلك تسعى الإتحاد السوفيتى لجعل كوريا منطقة عازلة بينه وبين المعسكر الغربى . من هنا كان تضارب المصالح ، وسعى كل من الدولتين لضمها إلى صفه ، وهذا ما دفعهما لإرسال قواتهما إلى كوريا ، وبعد النزاع تقدمت الولايات المتحدة باقتراح يجعل خط عرض

38 درجة هو الخط الفاصل بين المعسكر السوفيتي في الشمال ، والمعسكر الأمريكي في الجنوب بما فيها العاصمة سيول .

عرضت الولايات المتحدة الاقتراح على الجمعية العامة للأمم المتحدة التي شكلت لجنة دولية للإشراف على الانتخابات التي تمهد لتأليف حكومة تعمل على جلاء قوات الاحتلال .

وفي 10 مايو 1948 أجريت الانتخابات ، وأسندت الحكومة إلى سينجمان ري أما في كوريا الشمالية فقد تألفت لجنة بقيادة كيم ايل سونغ لإعداد مشروع الدستور ، ثم أجريت انتخابات عامة في كوريا اشترك فيها الشماليون والجنوبيون الشيوعيون وتكونت جمعية أطلق عليها اسم " جمعية شعب كوريا بأسره " . تضم من الشماليين 212 عضواً ومن الجنوبيين 360 عضواً ، وتشكلت حكومة جمهورية كوريا الشمالية في سبتمبر 1948 ، واعترفت بها الصين ، والاتحاد السوفيتي .

سعى الاتحاد السوفيتي لضم كوريا الشمالية ، وسعت الولايات المتحدة لضم كوريا الجنوبية ، وعمدت كلتا الدولتين لاستخدام حق الفيتو ضد الأخرى مما أسفر عن رفض مجلس الأمن قبول أى من الكورتين في الأمم المتحدة .

ومنذ عام 1948 تكرس خط عرض 38 فاصلاً بين الكوريتين ثم بدأت العداوة تظهر عندما تخطت القوات الشمالية هذا الخط باتجاه الجنوب ، وعرضت الولايات المتحدة الأمر على مجلس الأمن فاستعمل الاتحاد السوفيتي حق الفيتو الذي ربطه بضرورة حصول الصين الشعبية على مقعدها في مجلس الأمن .

ودعمت الولايات المتحدة كوريا الجنوبية بالسلاح والعتاد ، وطلبت فرض عقوبات على كوريا الشمالية التي بدأت بالعدوان ووافق مجلس الأمن

على هذا الطلب ، واغتتم الرئيس ترومان المناسبة ليعطى أوامره لقائد قواته ماك آرثر بضرب الأهداف العسكرية فى كوريا الشمالية .

دخلت الولايات المتحدة الأمريكية الحرب فى يونيه 1950 تحت علم الأمم المتحدة ولكن بقيادة جنرال أمريكى متشدد هو ماك آرثر ، واستطاعت أن تحقق الانتصارات مما شجعها على الزحف شمالاً لإعادة توحيد كوريا خاصة ، وأن الظروف الدولية كانت مساعدة لها ، فالصين كانت مشغولة بمشاكلها مع الإتحاد السوفيتى ، ولكنها سرعان ما استفاقت وشعرت بأن الغزو الأمريكى لابد وأن يصيب أراضيها بعد انتصاره فى كوريا .

حققت الصين انتصارات فى كوريا أخرجت موقف الولايات المتحدة وكان ماك آرثر المعادى للشيوعية يرى أن هدف الحرب هو توحيد كوريا ، وأن الذى يجب أن يقوم بهذه العملية هو الولايات المتحدة الأمريكية لتظهر أمام العالم بأنها الدولة المحبة للشعوب من جهة ، ومن جهة ثانية تستطيع الولايات المتحدة التخلص من الصين وتدمير قوتها . عارضت بريطانيا وفرنسا تصرف ماك آرثر ، لأنهما وجدتا فيه تهديداً للامن الأوروبى على أساس أن غزو الصين الحليف الأكبر للإتحاد السوفيتى قد يجر إلى حرب عالمية ثالثة بالإضافة إلى أن مصلحة الكرملين هى توسيع الحرب فى كوريا لانهاك الولايات المتحدة الأمريكية .

اشتراطت الصين لوقف القتال شروطاً لم تقبلها الولايات المتحدة ومنها مثلاً قبولها عضواً فى الأمم المتحدة ، والتخلى عن فورموزا والانسحاب إلى ما وراء خط عرض 38 درجة شمالاً . أصر الجنرال ماك آرثر على ضرب الصين ضربة قاضية وعرض على سلطات كوريا الشمالية إما الهدنة وإما امتداد عملياته إلى قلب الصين ، أمام هذا الموقف عزله ترومان خاصة بعدما تأكد كلا الطرفين عدم إمكانية تحقيق نصر حاسم على الآخر .

بدأت المفاوضات في 10 يوليو 1952 وتعثرت طويلاً ، وفي 7 يونيو 1953 تم توقيع اتفاق بانمونجوم Panmunjom لوقف إطلاق النار وإيجاد خط فاصل بمسافة أربع كيلو مترات بين الجانبين وهو خط عرض 38 تقريباً وبعد شهرين وقعت الولايات المتحدة اتفاقاً مع كوريا الجنوبية وكذلك وقع السوفييت اتفاقاً مع كوريا الشمالية . وفي شتاء عام 1953 - 1954 اتجهت أنظار العالم إلى دول الهند الصينية بعد قيام الحرب الأهلية هناك ، وخاف العالم من تدخل الصين كما حصل في كوريا ولكن الصين لم تتدخل لأنها لم تجد في هذه الحرب تهديداً مباشراً لها كما حدث بالنسبة لكوريا الشمالية .

أثناء الفترة 1954 - 1955 وبعد انتهاء الحرب الكورية حاولت الصين إزاحة الولايات المتحدة عن تايوان ، ثم بعد فشلها في هذا اتبعت سياسة أكثر ليونة عامي 1955 - 1956 لتحقيق أهدافها في تايوان ، ولكن هذه السياسة فشلت هي الأخرى . مما سبب أزمة كبرى في مضيق تايوان ، ولكن الملاحظ في تلك الفترة توتر العلاقات الصينية السوفيتية ، وبالتالي فإن الصين عمدت لاتخاذ مواقف أكثر دفاعية خاصة وأنها أصبحت معرضة لضغط موسكو وواشنطن . وبدأ الخطر الصيني يتضاءل بعد عام 1960 حينما ظهر جلياً الصراع السوفيتي - الصيني مما جعل الساسة الأمريكيين هم الذين يتوجهون نحو بكين للتفاوض معها وذلك خشية من تفرد النفوذ السوفيتي في المنطقة .

وفي فترة الستينات من القرن الماضي شهدت الصين عزلة بسبب صراعها مع الإتحاد السوفيتي حليفها العقائدي ، و عدم اهتمام الولايات المتحدة بها بسبب الثورة الثقافية التي أحدثتها .

ويمكن القول أن أبرز أسباب النشاط الصيني في عام 1969 تعود لاشتباكات الحدود الحاصلة بينها وبين الإتحاد السوفيتي وخاصة على نهر أوسوري Ussuri وبعدها أصبح السوفييت العدو الأول للمسؤولين الصينيين .

إن الثورة الثقافية البروليتارية الكبيرة وما أحدثته من هزة عنيفة فى الصين داخلياً وخارجياً وانعكاساتها على السياسة الخارجية الصينية فضلاً عن التفجيرات النووية الصينية كان لها دورها فى تغيير الوضع الدولى ونظرته للصين .

إن الصين التى استطاعت أن تلقى بظلمها على القارة الآسيوية والتى كانت تدعو للثورة فى كل آسيا ، كان موقفها كفيل بإثارة القلاقل والاضطرابات كما حدث فى فيتنام وكمبوديا ولاوس والنزاع الأندونيسى الماليزى والنزاع الهندى الباكستانى .

وهذه السياسة الصينية كان لها مضاعفاتها أيضاً على الصين نفسها فقد ألغيت الخطة الخمسية الاقتصادية الثالثة ، والتى كان مفروضاً بدء العمل بها 1963 .

فالصين التى اعتنقت الشيوعية لم تجد إخلاصاً أو نية صادقة من موسكو التى أرادت فرض سيطرتها على بكين باسم الشيوعية ، وكان الاتحاد السوفيتى التقدمى لم يتغير شيئاً عن روسيا القيصرية الرجعية ، فكلاهما رأى فى الصين مجالاً للتوسع ، وعندما رفضت الصين الخضوع للهيمنة السوفيتية وصدت موسكو صدىً عنيفاً ولم يجد السوفييت بداً من سحب خبرائهم ، مما هز الصناعة والاقتصاد فى الصين هزاً عنيفاً كما رأت الصين أن السوفييت يستولون على بعض أراضيهم وينازعوهم على الحدود .

فى الوقت ذاته كانت الصين تخوض معارك كوريا ضد الأمريكين ، وخاضت بواسطة الفيتناميين معارك ضد الولايات المتحدة الأمريكية ، وهنا تنبّهت الصين إلى أن الأخطار المحدقة بها من السوفييت لا تقل شأنًا عن الخطر الأمريكى فلم تلبث أن قبلت يد الرئيس نيكسون الممدودة لها فى بداية السبعينات (viii) .

2 - مبدأ نيكسون

إتسم هذا المبدأ بالعمومية والغموض لكي يسمح للدبلوماسية الأمريكية بمجال أوسع للتحرك والمناورة . ففي منتصف عام 1970 سحبت الولايات المتحدة الأمريكية من كوريا الجنوبية عشرين ألفاً ومن اليابان اثنتى عشر ألفاً ومن تايلاند ستة عشر ألفاً ومن الفلبين تسعة آلاف جندي .

قابل هذا الانسحاب عملت الولايات المتحدة على تقديم المعونات للدول الآسيوية لتقويتها ولتستطيع قمع حركات التمرد عليها في المستقبل . وهكذا تستطيع أمريكا وتكوين جيوش محلية لكي تواجه الاضطرابات المحلية ، ونستطيع إيجاز هذا المبدأ بالقول : " الانسحاب من آسيا وتدريب الآسيويين على محاربة بعضهم البعض " .

لقد ظهر هذا المبدأ عندما تقدم الرئيس نيكسون بتقريره للكونغرس الأمريكي عام 1971 والت جاء فيه : " ليس هناك هدف اسمى من أن يكون الجيل القادم هو أول من يشهد كون أمريكا في سلام مع كل أمة في العالم خلال هذا القرن " .

لقد بين الرئيس الأمريكي أهمية بقاء الدور الأمريكي في العالم ، ولكن يجب على الدول الأخرى أن تضطلع بمسؤوليات أكبر من أجل مصالحها ، ومصالح أمريكا .

مقابل هذا الانسحاب الأمريكي نجد الولايات المتحدة تقدم معونات للدول الآسيوية لتقويتها ضد المتمردين عليها ، من جهة ثانية تضطر هذه الدول للتضامن فيما بينها لمواجهة أية تحديات تواجهها ، وذلك في إطار التوجيه الأمريكي لحركة هذه الدول .

هنا لابد للإشارة إلى أن مبدأ نيكسون لا ينطوى على سياسة جديدة وإنما هو تكرار لتصريحات ، ومواقف أمريكية سابقة منذ عهد ايزنهاور ، وعندما

كان نيكسون نائباً له . وفى هذا الموضوع صرح أيزنهاور : " بأنه إذا كان لابد من قيام حرب فى آسيا فلتكن حرباً يشترك فيها آسيويين ضد آسيويين " . وإن سياسة احتواء الصين هى ركيزة الاستراتيجية الأمريكية منذ عام 1949 ، ثم إن هذا المبدأ يعمل على أن يقاتل الجندى الآسيوى أخاه الآسيوى محل الجندى الأمريكى الذى تعتبر تكاليفه أعلى من الجندى الآسيوى ، وبذلك يخدم هذا القتال المصالح الأمريكية ، ويوفر الدماء الأمريكية (lix) .

ولما كان من أهداف السياسة الأمريكية منذ عام 1949 تطويق الصين وحصارها اقتصادياً وعسكرياً ، فإن مبدأ نيكسون من هذا المنطلق لم يقدم شيئاً جديداً كما أن خطة سحب القوات الأمريكية لم تقدم شيئاً جديداً فالخطة تقوم على استبدال جنود آسيويين بجنود أمريكيين .

كما أن الوجود الأمريكى بقى فى أوكليناوا الذى كانت تقدر المعدات الخاصة به بمليار دولار والذى كان يستعمل كموقع متقدم للصواريخ النووية الموجهة ضد الصين . وتجدر الإشارة إلى أن الاتفاقية الأمريكية اليابانية التى نصت على رجوع أوكليناوا لليابان والتى صدق عليها عام 1971 قد أكدت الاحتفاظ بشبكة واسعة من القواعد العسكرية فيها .

الخلاصة أن الهدف الأساسى للاستراتيجية الأمريكية هو حصار الصين وتهديدها ، وهذا لم يتغير فى إطار مبدأ نيكسون وإن تغير فى أسلوب التعبير عنه .

هاجمت الصين منذ البداية مبدأ نيكسون وسياسته وأكد شو آين لاي أن ثمة تناقض فى مبدأ نيكسون ، ففى حين يعلن خفض القوات الأمريكية فإنه يبحث اليابان والدول الأخرى فى المنطقة على القيام بدور عسكرى أكبر ، الأمر الذى يزيد من حدة التوتر ويقوى النزعة العسكرية عند اليابان .

كان الرئيس الأمريكى يقوم برحلته فى أواسط عام 1969 التى زار فيها الهند وباكستان ، ورومانيا ، وفيتنام الجنوبية ، وقد عمد نيكسون للكشف أمام نيكولاى تشاوشسكو فى بوخارست وأمام الرئيس الباكستانى يحيى خان عن فكرته للانفتاح على الصين . وقد وعد يحيى خان ونيكولاى تشاوشسكو بإيصال هذه الفكرة إلى بكين . وفى جوام فى فيتنام الجنوبية أعلن الرئيس نيكسون أن عصر التدخل الأمريكى فى حروب الآخرين قد ولى بغير رجعة ، وبالتالي أفصح عن نيته بتخفيض عدد الجنود الأمريكيين فى آسيا .

وابتداء من 21 يوليو 1969 أقدمت الحكومة الأمريكية على خطوة منفتحة عندما سمحت للنخبة الأمريكية بالسفر إلى الصين ، كما سمحت للسياح الأمريكيين بشراء منتجات صينية بحدود المائة دولار .

وفى 8 أغسطس 1969 أعرب روجز وزير خارجية أمريكا عن رغبته باستئناف محادثات وارسو التى بدأت عام 1955 بين الولايات المتحدة والصين .

وفى 15 ديسمبر 1969 صدرت التعليمات بزيادة الحد لأعلى المسموح به لشراء البضائع الصينية لتصبح بدون حدود .

هذه السلسلة من عمليات التقرب الأمريكى نحو الصين كان يقابلها من جهة أخرى جفاء وعداوة بين الصين ، والاتحاد السوفيتى حتى كادت الدولتان أن تعلن الحرب .

فى أواخر عام 1969 طلب وزير خارجية أمريكا من السفير الأمريكى فى وارسو إبلاغ السفير الصينى رغبة الولايات المتحدة متابعة مباحثات وارسو التى توقفت عام 1955 بين الولايات المتحدة والصين . وكان رد الصينيين إيجابياً على متابعة المباحثات ، والحقيقة أن الرغبة الصينية فى متابعة الحوار مع أمريكا لم تكن حياً فيها أو بسياستها ، ولكن خوفاً من

التهديدات السوفيتية خاصة ، وأن المحادثات بين بكين وموسكو قد وصلت في نهاية عام 1969 إلى طريق مسدود . وبدأت موسكو عملياتها العسكرية الحدودية التي اعتبرتها بكين تهديداً ببداية الحرب .

وعند نيكسون عندما تقدم بتقرير عن سياسته الخارجية إلى الكونغرس الأمريكي إلى تبين أن سياسة الولايات المتحدة الأمريكية الجديدة تتجه ناحية السلام ، وعند إلى مدح الصين ، ونوه بالعلاقات التاريخية مع الشعب الصيني .

وكان أول رد فعل صيني على الإشارات الأمريكية هو وقوف الكاتب الأمريكي الشهير إدجار سنو Edgar Snow إلى جانب ماوتسي تونج في احتفالات العيد القومي الصيني ، من خلال حديث ماوتسي تونج مع إدجار سنو تبين أن الخلافات الصينية السوفيتية وصلت إلى طريق مسدود ، ولم تعد هناك إمكانية للتصالح .

منذ ذلك الوقت اختتم في ذهن الرئيس الأمريكي نيكسون ووزير خارجيته كيسنجر فكرة المباحثات السرية مع الصين بدلاً من عقد المؤتمرات في وارسو .

وفي عام 1970 وخلال الاحتفالات بالذكرى السنوية الخامسة والعشرين لإنشاء هيئة الأمم المتحدة أعرب الرئيس نيكسون أمام تشاوشسكو ويحيى خان عن رغبته بزيارة الصين ، وفي ربيع عام 1971 سلم السفير الباكستاني في واشنطن وزير الخارجية الأمريكية رسالة تدعو مبعوث أمريكي لزيارة بكين وإن يكون هذا المبعوث أما روجرز وإما كيسنجر ، ووقع الاختيار على كيسنجر الذي تصرف بسرية تامة نحو فتح العلاقات مع الصين .

ولقد طال تساؤل الدبلوماسيين والمفكرين الغربيين بعد مباراة تنس الطاولة (بنج بونج) بين فريقى الولايات المتحدة الأمريكية والصين الشعبية ودورة طوكيو الرياضية طال تساؤلهم عن دور الرياضة فى خدمة السياسة . فبعد أن كان الفريق الصينى يدير ظهره للفرق الأمريكية نجده فى بداية السبعينات يبادر لدعوة الفريق الأمريكى للقيام بجولة فى ربوع الصين ، وسرعان ما تحولت هذه الإشارة الرياضية إلى إشارة سياسية فى سبيل تحسين العلاقات الصينية الأمريكية (ix) .

وبدا لون من العلاقات السياسية بين الصين والولايات المتحدة . هذا اللون يخدم المناورة الصينية كما يخدم المناورة الأمريكية فهو لم يغير شيئاً من استراتيجية أى من الدولتين فكلاهما بقى على نقيض الآخر بتفكيره السياسى العقائدى ولكن جمعتهما عداوتهما للاتحاد السوفيتى .

وفى رحلة سرية قام بها كسينجر إلى بكين بترتيب من باكستان جرى لقاء بينه وبين شواين لاي دارت أحاديثه فى ثلاث محاور :

أولاً : اعتبار فرموزا - تايوان - جزءاً لا يتجزأ من الصين وليست بلداً مستقلاً .

ثانياً : تقرر مصير فيتنام الجنوبية من جانب الطرفين المتنازعين .

ثالثاً : تسوية المسائل الآسيوية بالطرق السلمية ، وهذا يتعلق بالتوتر على الحدود السوفيتية الصينية فى حين كان النزاع الصينى السوفيتى مسألة حيوية بالنسبة للطرفين الصينى والأمريكى .

قدم رئيس الوزراء الصينى شو اين لاي الدعوة رسمياً للرئيس الأمريكى نيكسون لزيارة الصين على أن تتم الزيارة قبل مايو 1972 لكى لا تخط بينها وبين الحملة الانتخابية للرئاسة الأمريكية .

وفى ختام محادثات كيسنجر - شو أين لاي صدر البيان المشترك وجاء فيه : " لقد أجريت محادثات بين رئيس الوزراء شو أين لاي وهنرى كيسنجر مستشار الرئيس نيكسون لشؤون الأمن القومى فى بكين فى الفترة من 9-11 يوليو 1971 ونعماً بالرغبة التى عبر عنها الرئيس نيكسون فى زيارة الصين الشعبية فإن رئيس الوزراء شواين لاي قدم باسم حكومة جمهورية الصين الشعبية دعوة للرئيس نيكسون لزيارة الصين فى وقت مناسب قبل حلول شهر مايو ،وقد قبل الرئيس نيكسون بغبطة هذه الدعوة ، إن الاجتماع الذى تم بين حكام الصين وأمريكا المتحدة يهدف إلى تطبيع العلاقات بين البلدين وإن يسمح أيضاً بتبادل وجهات النظر التى تهم الجانبين (ixi) .

إن العلاقات بين الولايات المتحدة ونظام الحكم فى تايوان كانت من أدق المسائل فقد كان على الولايات المتحدة أن تتخلى عن دعم تايوان الذى دام أكثر من اثنين وعشرين عاماً ، وأن تتخذ إجراءات شائكين فى هذا الصدد ؛ الأول تخفيض حجم القوات الأمريكية فى تايوان ، والثانى موضوع تمثيل الصين فى الأمم المتحدة ..

ففى الوقت الذى ظلت فيه تايوان تعتبر هي الصين فى الأمم المتحدة بفضل مساندة الولايات المتحدة الأمريكية الواضحة ، ونظراً لأن كيسنجر أقر فى المبدأ الأول بان تايوان ما هى إلا جزء من الصين فهذا يعنى تغير فى السياسة الأمريكية نحو الطريق المعاكس تماماً للطريق السابق .

والحقيقة أن الولايات المتحدة الأمريكية كانت قد بدأت تميل لإيجاد نظامين للصين يتمثلان فى الأمم المتحدة ،وبدأت الولايات المتحدة تعلن مساندتها لدخول بكين إلى الأمم المتحدة ، وكذلك مطالبتها بمقعد دائم للصين فى مجلس الأمن ، كما أن أمريكا وفى الوقت نفسه تعارض حرمان تايوان من مركزها فى الأمم المتحدة أو من مقعدها فى الجمعية العامة .

بدأت زيارة الرئيس نيكسون للصين في 21 فبراير 1972 في نفس الوقت الذي قرر فيه الرئيس الأمريكي بضرب المواقع الشيوعية في الهند الصينية قبل نهاية زيارته ليكين بهدف حماية وتعزيز وضع الولايات المتحدة الدبلوماسية والعسكري لقد أشار عليه كيسنجر بأن القصف الجوي المكثف على فيتنام يسهل مهمته في الصين .

وفي محادثات القمة سادت قضايا عديدة مثل تايوان وفيتنام والهيمنة السوفيتية وأهمية تطوير العلاقات الصينية الأمريكية .

في اليوم الثاني من المحادثات ظهرت الاختلافات في معالجة المسائل ، وفطن كيسنجر إلى أن الصينيين أكثر احتياجاً من الأمريكيين لصدور بيان عن نجاح المحادثات ، وذلك لسببين ، أولهما تبرير زيارة نيكسون لبلادهم ، وثانياً لتقديم نموذج عن التعاون الصيني الأمريكي للروس . ومع ذلك لم يتوصل الطرفان إلى البيان المشترك الذي ظهر بشكل قسمين منفصلين قسم يعبر عن وجهة النظر الأمريكية ، وقسم عبر عن وجهة النظر الصينية .

ومما جاء في البيان المشترك من قبل الصين مثلاً :

" إن مشكلة تايوان هي العقبة الرئيسية في سبيل تطبيع العلاقات بين الصين والولايات المتحدة وإن حكومة جمهورية الصين الشعبية هي الحكومة الشرعية الوحيدة للصين ، أما تايوان فهي إحدى مقاطعات الصين عادت إلى وطنها الأم منذ وقت طويل . وتحرير تايوان هو أمر داخلي بالنسبة للصين ، وليس لى بلد حق التدخل فيه ، ويعين سحب القوات والمنشآت العسكرية من تايوان " .

" إن الحكومة الصينية تعترض بشدة على كافة الأنشطة الرامية لإنشاء صين من ناحية وتايوان من ناحية ، وكذلك على وجود صين واحدة

بحكومتين وعلى دولتين للصين ، وعلى أى وضع يقول بأن مسألة تايوان مطروحة للتسوية " .

أما ما جاء فى النص الأمريكى المقدم للبيان المشترك :

" إن الولايات المتحدة تقر أن كافة الصينيين الموجودين على شاطئ مضيق تايوان يشكلون جزءاً من الصين . وأن حكومة الولايات المتحدة لا تتشكك فى هذا الوضع ، وتؤكد اهتمامها بوجود تسوية سلمية لمشكلة تايوان من جانب الصينيين أنفسهم . ومن هذا التصور فإنها تؤكد على الهدف النهائى الذى يرمى إلى سحب كافة القوات والمنشآت العسكرية من تايوان وإلى أن يتم ذلك فإنها سوف تخفض بطريقة تدريجية ما لها من قوات ومنشآت عسكرية فى تايوان بشرط أن يقل التوتر فى المنطقة (ixii) .

كان رد فعل هذا البيان المشترك عنيفاً على حكومة تشيانج كاي شيك التى استنكرت هذا البيان ووصفت شعوب الشرق الأقصى بأنهم فقدوا ثقتهم بحليفتهم واشنطن . أما موسكو فقد اعتبرت زيارة نيكسون للصين هى تحرك مناهض للسوفييت . وأما طوكيو فقد أسقطت حكومة ساتو المعادية لماوتسى تونج وجاءت بحكومة تانكا التى أقامت علاقات دبلوماسية مع الصين ، كما انعكست آثار تحسن العلاقات الأمريكية الصينية على الأمم المتحدة بعد أن أعلنت الولايات المتحدة عن رغبتها بدعم دخول الصين عضواً فى الأمم المتحدة بعدما كانت تعارض هذا الموضوع طويلاً

3 - مشكلة تايوان

بدأت هذه المشكلة عندما بدأ جيش الكومنتانج يتقهقر أمام زحف الشيوعيين منذ عام 1947 حتى انتهى دوره ولجأ إلى جزيرة فرموزا التى اعتبرت مقر حكومة الصين الوطنية .

وحقيقة الأمر فإن فرموزا أو تايوان شكلت محوراً مهماً بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية في صراعها مع الشيوعية . وعلى هذا الأساس لم تتوقف المساعدات الأمريكية للبقاء على هذه المنطقة سداً بوجه الشيوعيين ولمنعهم من السيطرة العسكرية عليها .

وبقيت مشكلة تايوان أكثر من ربع قرن من أكبر العوائق أمام تحسين العلاقات الأمريكية الصينية ، لقد مرت هذه العلاقات بتغيرات مستمرة فإثناء الحرب الكورية وبعد انقضائها مباشرة ساندت الولايات المتحدة نظام حكومة الصين الوطنية باعتبار ذلك نوعاً من التحدى لجمهورية الصين الشعبية .

وشيناً فشيناً اتبعت الولايات المتحدة سياسة الاعتراف بوجود حكومتين للصين ، الأمر الذى كان يقلق الصين الشيوعية ، وتخشى من أن يكون ذلك مقدمة لإعلان تايوان استقلالها قانونياً .

لقد بقيت تايوان تشكل نظام حكم منافس ظل يتحدى شرعية بكين ، ويشل خطراً على الصين الشعبية ، خاصة وأنها كانت تستخدم قاعدة أمريكية للتحرش ، والأعمال الاستفزازية ، لقد نظرت الصين إلى تايوان ، وكأنها رمز للتدخل الأجنبي فى شؤونها الداخلية . لذلك كانت رغبة القادة الصينيين شديدة فى توحيد الصين .

وبعدما حكم اليابانيون لجزيرة على مدى خمسين عاماً بنمط استعماري وقمعى صارم ، وسيطروا على المراكز الهامة للبلاد ، ولم يتركوا لأهل البلاد سوى المراكز الثانوية ، فرح أهل البلاد ورحبوا فى عام 1945 بمجئ نظام تشيانج كاي شك وكأنه استعاد الجزيرة للوطنيين الصينيين ، ولكن هذه الفرحة ، وهذا الترحيب لم يدم طويلاً بعدما خاب ظن الأهالى من جراء سوء إدارة تشيانج كاي شك ورجاله لحكم الجزيرة (ixiii) .

ففى الخمسينات بدا وكأن الجزيرة ستبقى فى الحماية الأمريكية إلى ما لا نهاية مما عمق الهوة بين الصين الوطنية الأمريكية ، والصين الشعبية الشيوعية وقفز الدخل القومى بصورة مضاعفة تقريباً فى خلال عشر سنوات فعندما كان عام 1963 حوالى 250 دولار أصبح فى عام 1973 يوازى 533 دولار .

هذا الازدهار الاقتصادى فى تايوان سرعان ما تراجع بعدما أقامت الولايات المتحدة الأمريكية بإنشاء علاقات مع الصين الشعبية وتبعتها اليابان بعد ذلك فى هذا الخط السياسى .

بالإجمال اعتبر عام 1972 علامة كبرى لنهاية مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية فى شرق آسيا . فقد قام الرئيس الأمريكى نيكسون بزيارة الصين الشعبية فى فبراير 1972 بعد أكثر من عشرين سنة كانت ترفض واشنطن خلالها الاعتراف بحكومة بكين وتعطى الشرعية لحكومة تايوان . كما أعادت الولايات المتحدة الأمريكية جزيرة أوكتاوا للسيادة اليابانية ، وبذلك انتهى آخر مظهر من مظاهر الإحتلال الأمريكى لليابان .

وتوصلت حكومتا كوريا الشمالية والجنوبية فى يوليو من نفس السنة لاتفاقيات تخفيف المواجهة بينهما .

وقام رئيس وزراء اليابان تاناكا فى سبتمبر 1972 بأول زيارة لمسؤول يابانى للصين منذ الحرب العالمية الثانية ، حيث تم خلالها التوقيع على بيان مع شواين لاي رئيس وزراء الصين عادت العلاقات طبيعية بين الدولتين بعد فترة طويلة من العداء والقطيعة . فقد أزال هذا التقارب عدداً من الحواجز المصطنعة التى كانت تعوق نمو العلاقات بينهما .

ولا شك أن تطبيع العلاقات اليابانية الصينية والتقارب الصينى الأمريكى أكد حقيقة بروز نظام دولى جديد فى شرق آسيا يعتمد على العلاقات

المتداخلة للقوى الأربع الرئيسية وهي الصين ، واليابان ، والولايات المتحدة ، والاتحاد السوفيتي (lxiv).

الفصل الثالث

اليابان من مطلع العصور الحديثة حتى نهاية الحرب العالمية الثانية

أولاً- الملامح الجغرافية والسكانية والحضارية.

ثانياً- الأطماع الأوروبية.

**ثالثاً- تطور الأوضاع السياسية والإقتصادية
والاجتماعية.**

رابعاً- التوسع الياباني في الصين.

الفصل الثالث

اليابان من مطلع العصور الحديثة حتى نهاية الحرب العالمية الثانية

أولاً - الملامح الجغرافية والسكانية والحضارية

تتكون اليابان من سلسلة من الجزر منفصلة عن شمال شرق القارة الآسيوية تمتد من خط عرض 15 درجة شمالاً إلى خط عرض 30 جنوباً. والجزر الرئيسية الأربعة هي (هوكايدو في الشمال ثم هتسو التي تقع فيها طوكيو العاصمة، على خط عرض 36 جزيرة شيكوكو التي يفصلها عن هتسو بحر داخلي وأخيراً جزيرة كيوشو في الجنوب). وبالإضافة إلى هذه الجزر الأربع الرئيسية يوجد عدد من الجزر الأخرى المختلفة الأحجار، وأقرب نقطة لليابان بالنسبة للقارة الآسيوية تتمثل في شبه جزيرة كوريا. وهذه الحقيقة كان لها أهمية كبرى في تاريخ اليابان.

واليابان - بشكل عام - بلد جبلي بإستثناء السهول الساحلية رغم أنها سهول ضيقة والأنهار في اليابان سريعة وقصيرة. والمنطقة في غالبها بركانية. وهناك عدد من البراكين الحية. أما الزلازل فهي كثيرة الحدوث ، وأحياناً تكون مدمرة. أما التربة فهي خصبة إلى حد كبير ، ولكن نظراً للطبيعة الجبلية للبلاد فإن سدسها (1/6) فقط صالح للزراعة. والأمطار في اليابان كثيرة (المتوسط السنوي هو 61.7 بوصة في طوكيو في مقابل 24 بوصة في لندن).

لذلك فإن الطبيعة الجبلية لليابان والتعاريح الكثيرة لسواحلها الممتدة تجعلها بلداً تمتاز بالجمال الباهر. واليابانيون على وعي تام بذلك. حقاً لقد شوهت الصناعة اليوم كثيراً من المناطق بينما سكان المدن الكبرى يشوهون من جانبهم جمال المناطق الريفية بما يتركونه وراءهم من مخلفات عندما

يذهبون إليها، ومع ذلك بالرغم من كل تلك المظاهر الطبيعية لليابان لا شبيه لها في العالم كله (lxv).

ويطلق اليابانيون على بلادهم اسم ((نيهون)) أو ((نيبون)) أى أصل الشمس، وتتكون اليابان من مجموعة جزر أربعة رئيسية كبرى هى : هوكايدو، وشيكوكو، وكيوشو بالإضافة إلى عدد لا يحصى من الجزر الصغيرة. وأرض اليابان جبلية لا تزيد المساحة الصالحة للزراعة فيها عن 16% من مجموع أراضيها. ويعتبر القمح هو المعدن الوحيد الذى يتوافر فيها بكثرة نسبية. وتشتد فيها ثورة البراكين ويسقط على اليابان من المطر ما يفوق الحد المألوف إذ أن كميته تبلغ فى معظم الأماكن نحو ستين بوصة أو مائة في العام. وأنهارها قصيرة سريعة الجريان لا تصلح كوسيلة للنقل إلا بقدر محدود.

وترتفع نسبة الشواطئ إلى مساحتها الداخلية حتى أنها تصل إلى معدل ميل واحد لكل 8.4 ميلاً مربعاً من أرض اليابان. وهذا الساحل الطويل كثير التعرجات والمنحنيات يحتضنه فى الشمال تيار بارد وفى الجنوب تيار حار، لهذا كانت بحار اليابان غنية بمصايد الأسماك التى تقوم بدور هام فى تزويد اليابان بغذائها. وتبلغ مساحة اليابان (الآن) نحو 142.300 ميل مربع. وهى بذلك تقل قليلاً عن مساحة ولاية كاليفورنيا التى تبلغ مساحتها 155.652 ميلاً مربعاً، ولكنها أكبر من الجزر البريطانية التى تبلغ مساحتها 120.579 ميلاً مربعاً ويزرع الأرز فى نصف المنطقة الصالحة للزراعة وهو الغذاء الرئيسى لأهلها (lxvi).

وينحدر اليابانيون أصلاً من الجنس المغولى الذى إمتزجت به سلالات من الملايا، والأيينو، وتعتبر سلالة الأيينو عنصراً ينتمى إلى أصول الجنس القوقازى وقد حلت هذه السلالات فى اليابان وانتشرت فى ربوعه ولكن لم يبق منها الآن سوى بضعة ألوف. وقد إمتزجت هذه السلالات الثلاث إمتزاجاً

قوياً في العصور القديمة حتى أصبح سكان اليابان الآن أكثر الشعوب تجانساً من الناحية العنصرية السلالية - بل أن بعض الكتاب يرجعون سبب نهضة اليابان الحديثة في جانب كبير منها إلى هذه الدرجة غير العادية من التجانس، كما سنرى فيما بعد. ومع ذلك فهناك بعض الاختلافات في تكوين اليابانيين الجسماني بعضهم عن البعض، ولكن الشخص الياباني العادي شخص قصير القامة ويبلغ معدل طول الرجال منهم خمسة أقدام وخمسة بوصات في المتوسط ولهم جماجم عريضة في الأغلب.

وكثيراً ما كان يطلق على اليابان بأنها ((بريطانيا الآسيوية)) ولكن اليابان تحملت عبء موقعها بأكثر مما تحملته الجزر البريطانية من ناحية موقعها الشاذ على هامش إحدى القارات. ففي حين يفصل إنجلترا عن بقية القارة الأوروبية 31 كيلو متراً فقط فإن الطرف الغربي لليابان يبعد نحو 177 كيلوا متراً عن كوريا، ولكن إذا ما عرفنا أنه ينبغي قطع مسافة تربو على 800 كيلو متراً في المحيط الهادي حتى يتسنى الوصول إلى شواطئ الصين صار من اليسير أن نتصور كيف كان على الملاحين اليابانيين القدماء أن يفكروا كثيراً في محاولة المغامرة برحلة بحرية تتضمن قدراً كبيراً من المغامرة الخطيرة.

ومن الحقائق المؤكدة أيضاً أن حضارة اليابان إن هي إلا إحدى روافد الحضارة الصينية الأم، استمدت إلهامها منها على النحو الذي إغترفت أوروبا الشمالية حضارتها من حضارات حوض البحر المتوسط. ويلمس المرء أكثر من وجه من وجوه الشبه بين إنتشار الحضارة الصينية عبر جزر اليابان في الألف الأولى من العصر المسيحي، وبين إنتشار حضارة البحر المتوسط في أوروبا الشمالية في نفس العصر. ولكن الأمر يختلف نوعاً في اليابان من أنه كانت هناك عزلة أكثر قوة، مما سمح بالإبقاء على القيم

الحضارية اليابانية الأصلية تجاوزت النماذج المستعارة الواردة إليها من الصين.

وهناك بعض المفكرين ممن يروق لهم القول بأن اليابانيين مجرد عنصر مولع بالتقاليد. لكن الحقيقة تخالف ذلك. فإن اليابانيين وهم على وعى بأنهم مدينون للأنماط الحضارية الأجنبية، عمدوا إلى مزج هذه الحضارات مزجاً فريداً من نوعه لم يسبق به مثيل وأخضعوها للظروف اليابانية الوطنية. والدليل على ذلك اللباس التقليدي الياباني وفن الطبخ الياباني، وفنهم المعماري، وأسلوب حياتهم اليومية، مما يجعل المرء يقتنع بأن الشخص الياباني لا تنقصه القدرة على التجديد والابتكار.

ولا توجد هناك في أي بلد آخر من بلاد العالم تلك الأغذية المجدولة من القش بكيفية مكثفة مما يجري استخدامه في فرش الأرض، ولا يوجد مثل تلك الجدران المتحركة من الورق المقوى، ولا تلك المساكن الخفيفة، أو المواقد التي يجري تغذيتها بالفحم، ولا شكل المشكاة التي يعرض فيها اليابانيون فنونهم.

وهناك شاهد آخر على القدرة الابتكارية لحضارة اليابان متمثلاً في لغتها. فعلى الرغم من أن اللغة اليابانية تستخدم رموز الفكرة المستخدمة في اللغة الصينية، فإنها استعارت كلمات عديدة منها، إلا أنها احتفظت لنفسها بخاصية لا يمكن المساس بها. فاللغة اليابانية تستخدم أسلوباً في الكتابة ذا خاصية مركبة لا يمكن مباراتها.

أن كل هذه الدلائل توضح أن اليابانيين كانوا على وعى مبكر جداً بشخصيتهم، وكانوا يسعون جهد استطاعتهم إلى تأكيد ذاتهم. ولذلك فإنه مجرد حلول عصرنا الحاضر الذي إتسم بظهور القوميات على شكل دول، فإن الشعور القومي الياباني تماسك بسرعة مذهلة، ذلك أن الخواص العرقية والجغرافية كانت قد أودعت في اليابان من عصر مبكر كل مبررات التماسك

والوحدة ، ولقد ساعد على تحقيق ذلك ما أشرنا إليه سلفاً من عوامل تكريس العزلة، حتي لقد قيل أن حكام اليابان نادراً ما سلكوا مسلكاً موحداً في علاقاتهم مع العالم الخارجى، والقى اللوم بالتالى على طبيعة اليابانيين المتكبرة المتأنفة تارة ، ووجود عقدة النقص لديهم تارة أخرى تجاه الأجانب. وحتى يومنا هذا لا يزال الكتاب والمؤرخون يبحثون عن كنه هذا الوضع الشاذ لدى اليابانيين وعزلتهم، وإن كان البعض يعزى تلك التذبذبات والتحولات في سياستهم الخارجية إلى فترات العزلة، الأمر الذى يتجلى بصورة أوضح فى صعوبة إدخالهم ضمن توازنات القوى العالمية (lxvii).

وفى تلك الآونة ظهرت بعض الإضطرابات فى العاصمة، فسارع النبلاء من البلاط الإمبراطورى إلى الإستيحاء بأتباعهم فى الأقاليم للمساعدة فى فض هذه الإضطرابات. ورويداً رويداً تولى هؤلاء المحاربون إغتصاب السلطات التى كان يمارسها الإمبراطور بمفرده. وتناحرت كل فئة لكى يستقر لها حكم اليابان بأسره. على أن أبرز من خرجوا منتصرين من هذا النضال هو شخصية شهيرة فى تاريخ اليابان تدعى : ((مينا موتو)) المناطق الريفية بما يتركونه وراءهم من مخلفات عندما يذهبون إليها. ومع ذلك بالرغم من كل تلك المظاهر المتصلة بالمدينة الحديثة فإن المناظر الطبيعية لليابان لا تزال فائقة الجمال مؤثرة إلى حد القول بأنه لا شبيه لها فى العالم كله.

وكان قرب الجزر اليابانية لكل من الصين وكوريا من أهم العوامل والمؤثرات التى أصرت فى مراحل تكوين اليابان كأمة. ولما كانت تلك الأقطار جميعها جيراناً - من الناحية الجغرافية - فقد كان إتصال بعضها ببعض أمراً حتمياً. ولكن الصين بما تملك من حضارة عظيمة (كان اليابانيون على إستعداد دائماً لتلقيها وإستيعابها) كانت هى المؤثر الفعال الذى أثر على مستقبل الشعب اليابانى أن تأثير البوذية والكونفوشيوسية والحضارة

بشكل عام على اليابان ثم تبنى الكتابة الصينية، كل ذلك أسهم إلى حد كبير في تكوين الحضارة اليابانية. ومن ناحية أخرى فإن اتصال اليابان بشكل فعال بأوروبا لم يحدث حتى القرن السادس عشر. وإستمر هذا الإتصال ضعيفاً وضئيلاً فيما بين القرنين السابع عشر والتاسع عشر. ولم تكن الإمبراطورية الروسية قد مدت نفوذها بعد إلى الشرق الأقصى. وعلى ذلك فقد كان الطبيعي ، ومن المحتم أن تؤثر الحضارة الصينية القوية وحدها على اليابان. على أن تأثير الحضارة الصينية على اليابان كان تأثير مقبولاً من اليابانيين ، ولم يكن تأثيراً خضعوا له بالقوة والقهر. وفي ذلك كانت اليابان على عكس الصين. فبينما إعتبرت الصين حضارتها أقوى الحضارات، وكانت الصين معادية للأجانب ولا ترحب في أن تتعلم من الآخرين. فإن اليابانيين - في كل تاريخها - رحبت بالأجانب على ألا يكون لديهم سوء النية والقصد. وبإستثناء فترة حكم نظام (شوجنات) توكوجاوا فإن اليابانيين كانوا دائماً وفيين بل حريصين على تعلم أى شئ يعتقدون أنه يفيدهم ثم تطويره حسب مزاجهم. وبالرغم من المعرفة الواسعة التي إستوعبوها من الصين إلا أنهم لم يصبحوا مثل الصينيين أو يقبلوا سيادة الإمبراطورية الصينية عليهم. ويمكن القول أنه في الوقت التي كانت اليابان قد إستوعبت تماماً الحضارة الأجنبية فإن هذه الحضارة أصبحت يابانية ، ولم تعد أجنبية. هذا المسار لا ينطبق فقط على ماضى اليابان بل أيضاً على حاضرها ، ويلخص أحد الكتاب هذه النزعة بقوله :

"أن اليابانيين لا يقتنعون أبداً بمجرد الافتراض. فإن لهم عادة تعديل كل شئ يأخذونه عن الآخرين وبحثه بالعقل القومي. ذلك يتضح في الفن والمؤسسات السياسية وحتى في الدين" (lxviii).

ثانياً - الأطماع الأوروبية

ويرى البعض أن موقف الصين جعلها أكثر إستعصاء وأكثر رفضاً للتأقلم مع الغرب فقد ظلت الصين على مدى قرون عديدة أكبر دولة فى العالم تخضع لحكومة مركزية ، وفى سياق علاقتها الخارجية كانت مسيطرة فى شرق آسيا بدرجة كبيرة حتى كانت تنظر إلى جيرانها ليس كأنداد وإنما مجرد أتباع لها، وهذا الميراث فى حد ذاته عمل على تعقيد عملية تأقلمها وإفتاحتها أو تجاوبها مع التوسع فى العالم الغربى.

فكانت أول هذه الأطماع :

1- بعثة بيرى (Perry) 1853

فى يوم 8 يوليو 1853 وصل إلى خليج إدو أسطول من البوارج الأمريكية بقيادة الكومودور بيرى. ونزل الكومودور فى حراسة مهيبة ، وسلم خطاباً من الرئيس الأمريكى فيلمور يتضمن المطالبة بإمتيازات تجارية، وإنشاء محطات لتزويد السفن الأمريكية بالفحم، وحماية المواطنين الأمريكيين الذين تصاب سفنهم بالغرق. ثم غادر بيرى ، ومعه بوارجه على أمل العودة فى الربيع التالى بقوة أكبر حجماً ليتلقى رد المسؤولين اليابانيين على هذه المطالب الأمريكية.

ولقد كان رد الحكومة اليابانية على استعراض القوة الأمريكية أن قاموا بترجمة محتويات خطاب الرئيس الأمريكى ، وطرحه للبحث على رجال الدايملوكى يقوموا بإسداء المشورة بشأنه. فكانت النتيجة : 25 رد من الردود التى تلقتها الحكومة اليابانية يؤيد فتح أبواب اليابان للتجارة الأجنبية. فى حين كان 19 من هذه الردود لا يستسيغ فكرة التجارة الأجنبية. وكانت هذه الردود التسعة عشرة الأخيرة توصى مع ذلك بتجنب الدخول فى حرب

مع الأجانب أما الردود التي كانت ترفض طلبات بيرى رفضاً قاطعاً فكان عددها 15.

وعلى الرغم من أن هذه الردود التي تلقتها الحكومة من رجال السدايميو كانت في جملتها لا تمثل سوى نسبة 25% فقط من جملة الردود المتوقعة، فإن الحكومة اليابانية اتخذتها بمثابة مؤشر بالقرار النهائي الذي ينبغي التوصل إليه ، وهو المقاومة بكل الوسائل الممكنة ، ولكن مع تجنب الدخول في حرب مع الأمريكيين. وعندما عاد بيرى للمرة الثانية في فبراير 1854 طلب موافقته بالرد الحاسم بأحد أمرين : إما عقد معاهدة بهذا الخصوص، وإما الحرب بين الطرفين. ولم يجد اليابانيون أمامهم من خيار سوى الرضوخ للمطالب الأمريكية فوقعوا مع الأمريكيين معاهدة شهيرة في التاريخ الياباني هي معاهدة كانا جاوا 1854.

2- معاهدة كانا جاوا (kanagawa) 1854

تمثل هذه المعاهدة علامة بارزة على طريق إنفتاح اليابان نحو الغرب وبخاصة الولايات المتحدة الأمريكية. ففي 31 مارس 1854 وقعت اليابان هذه المعاهدة التي تعتبر بحق أول معاهدة لها مع الدول الغربية. وكانت مع ذلك معاهدة هشة البنيان إذ إقتصرت على معالجة بعض المشكلات الصغيرة الخاصة بأحوال غرق السفن وتزويد السفن الأمريكية في المينائين اليابانيين المفتوحين للتجارة في هاكودات ، وشيمودا، وتعيين قنصل أمريكي يكون مقره في شيمودا. ويقال أن الكومودور بيرى كان يحمل بعض الهدايا المناسبة ، وبعض الآلات ، والأسلحة ، والعطور لم تخرج من أغلفتها، وظلت ملقاة في أحد جوانب القصر. كذلك نصت المعاهدة على تمتع الولايات المتحدة بحق الدولة الأولى بالرعاية. ويلاحظ أن الشوجنية قامت بتوقيع معاهدات مماثلة مع كل من بريطانيا في 14 أكتوبر 1854 ، ومع روسيا في

7 فبراير 1855 ثم أغقتهم هولندا ثم فرنسا في الحصول على مثل هذه المعاهدة.

على أن أهم ما يعنينا هنا هو أن شبان الساموراي قد تسذوقوا الجرعة الأولى من الحضارة الغربية وإشتد تعطشهم إلى المعارف الغربية، وكنانوا يتسللون في جنح الليل إلى السفن الأمريكية الراسية قرب الشواطئ اليابانية ، ويلحون في الرجاء على ربابنتها أن يأخذوهم معهم إلى أمريكا لكي يطلعوا على مزيد من المدينة التي إستهوت البائهم بما كان يستتبعه ذلك من المجازفة بأرواحهم.

على كل فقد نجح توماس هاريس أول قنصل أمريكي في شيمودا في نقد ميثاق في يونيو 1856 يخلو للرعايا الأمريكيين حق الإقامة في شيمودا ، وهاكودات ، وحق التجارة في نجازاكي ، وحق النقل بحرية في ربوع اليابان (IxiX).

3- سقوط الشوجنية

رأينا أن اليابان قد قامت بعقد معاهدات مع الولايات المتحدة ، ومع الدول الغربية الأخرى. وكان عقد هذه المعاهدات نذيراً بقيام حركة مناهضة للشوجنية تحمل شعور الكراهية نحو الأجانب ، ووقعت عدة إعتداءات على بعض الأجانب من بعض رجال الساموراي من الذين كانوا يكرهون الأجانب حتى أنه تم إحراق المفوضية البريطانية مرتين في عام 1862. وفي العام التالي تم إحراق المفوضية الأمريكية. ثم أصدر الإمبراطور أمراً إمبراطورياً في 25 يونيو 1863 يقضى بطرد الأجانب من البلاد.

وكان رد الفعل الغربى عنيفاً إزاء هذا الشعور المعادى للأجانب، ففي أغسطس 1863 دخلت وحدات حربية بريطانية إلى خليج كاجوشيما، وقصفت المدينة بالقنابل ثم قام أسطول متحالف في شهر سبتمبر 1863 بتدمير قبلاع

شوشو، وأبادتها عن آخرها ، ونتيجة لذلك أخذ مركز الشوجنية يضعف
رويداً رويداً وأدت الثقة فيهم تهتز إلى أن مات الشوجن فى أحد فروع
التوكوجاوا المناصرين للإمبراطور.

بيد أن هذا الشوجن الجديد ألقى نفسه غارقاً فى خصم من المشكلات
المعقدة، بعضها ذا طابع مالى ، والبعض الآخر فى مجال العلاقات الخارجية
بالإضافة إلى حدوث اضطرابات داخلية، وصارت سلطة هذا الشوجن
تضعف شيئاً فشيئاً فى مواجهة البلاط من ناحية، وأعضاء الدايميو من ناحية
أخرى فقدم إستقالته فى 9 نوفمبر 1867 من منصب الشوجنية إلى
الإمبراطور الشاب مىجى الذى كان قد إرتقى العرش فى 3 فبراير 1867،
وكان هذا يمثل بحق بدء عصر النهضة - نهضة عهد الميجى المشهورة فى
تاريخ اليابان الحديث (bxx).

وفى بداية عام 1868 يكون حكام التوكوجاوا قد فقدوا أهميتهم نهائياً
وآل سلطانهم رسمياً إلى الإمبراطور، وذلك بإلغاء نظام الشوجنية العسكرى
من أساسه فى 3 يناير 1869 وتشكلت حكومة مؤقتة لحكم البلاد، وهنا
نلاحظ أن القوى الأوروبية قد أغضت عينيها بالنسبة لمسيرة الأحداث إذ أن
ذلك كان يسير على هواها، ذلك أن الإطاحة بشوجنية التوكوجاوا يمثل
فرصة لإنفتاح اليابان نحو الغرب - هذا فيما عدا فرنسا التى كانت تفكر
لبعض الوقت فى مساعدة نظام الشوجنية والإبقاء عليه. وبذلك يكون ما تم
هو بمثابة ثورة سلمية على الشوجنية. بقى إذن أن يصدر بذلك إعلان
إمبراطورى ليضفى عليه الصفة الشرعية ، وقد صدر بالفعل ذلك الإعلان أو
العهد الإمبراطورى.

4- العهد الإمبراطوري لعام 1868

لقد كان عمر الإمبراطور ميجي الذي أعلن القسم أو العهد الإمبراطوري عام 1868 أربعة عشرة عاماً ، ويتضمن هذا العهد خمسة مواد مختصرة هي :

1- ((أن يجرى دعوة "جمعية عامة" كبيرة الغند للإجتماع ، وأن تتخذ كافة الأمور عن طريق المناقشة الجماهيرية العامة)).

ولربما بدا من ظاهر نص هذه المادة الأولى إنها خطوة نحو الديمقراطية، ولكن هذا لم يكن المقصود في حقيقة الأمر إنما كان بمثابة محاولة ذكية لحشد الدعم لنظام الحكم الجديد ، وذلك لأن مخططي السياسة في ذلك كانوا يأتون من مقاطعات محددة بعينها وهذا النص إذن يوحى لبقية زعماء المقاطعات أنهم سوف يشاركون في السياسة القومية اليابانية، والدليل على ذلك أنه لما إشتد عود النظام تم طرح هذه الأفكار ظهرياً.

2- ((أن يكون لهؤلاء الذين هم في مستوى أعلى، وأولئك الذين هم في مستوى أدنى (يقصد الحكام والمحكومين) نفس الحق في إبداء الرأي ، وأن تدار الحكومة في قوة وحسم)).

3- ((إن عام الشعب لا يقلون عن المسؤولين المدنيين أو العسكريين، ومن ثم يسمح لكل منهم بأن يحقق أمانيه حتى لا يكون هناك شعور بعدم القناعة)). وهذه المادة أكثر تحديداً من سابقتها ، وتحمل في طياتها وعداً واضحاً بأن يجرى رفع الحواجز الإقطاعية وأن يجرى فتح كافة المجالات لمن يمتلكون الموهبة.

4- ((يجب التخلي عن كافة التقاليد والعادات الغريبة التي كانت سائدة وأن تتم وفقاً لمبادئ العدالة والمساواة حسب الفطرة)). ويفهم من هذه المادة أن هذه "العادات الغريبة" المترسبة من الماضي ((حكم شوجنية التوكوجاوا))

وما صدر عنها من أعمال والمقصود ((بالفطرة)) ربما الإشارة إلى ديانتى الكنفوشية والثاوية.

5- ((إنه سوف يجرى العمل على جمع المعارف من شتى أنحاء العالم أجمع، وعلى هذا النحو سوف تترسخ الإمبراطورية على أسس متينة)). وهذه المادة الخامسة الأخيرة تمثل صيدعاً مقصوداً بين الحاضر والماضى. فقد صار ((التحديث)) هدفاً رسمياً محسوباً ورئيسياً، كل ذلك فى ظل ((الحكم الإمبراطورى)). إرث الماضى التليد ولكن بالنسبة للمستقبل يجب تعزيز هذا الإرث بالمعرفة التى تستجلب من كافة أرجاء العالم ((أى الأصول الشرقية مع العلم الغربى)).

ولذلك قيل بحق أن القومية اليابانية القديمة بتحالفها مع التطبيق العلمى الحديث هو سر نهضة اليابان السريعة والمذهلة. أى أن اليابانيين فى ظل نهضة الميجى لم يقصروا التضحية بروح اليابان القديمة (-Yamato Domshi) أى روح الأمة أو أن ينالوا من الهيكل الأساسى لمجتمعهم وتقاليدهم فى ظل الإمبراطور الذى تم إطلاق هذه الشعارات والمبادئ من خلاله بل وبارادته.

ولقد إنبرت والحالة هذه، أعداد من رجال الحكم والطلاب إلى الخارج فى بعثات جادة لكى تجلب لليابان المعلومات والبيانات التى يمكن أن ترتكز عليها الإصلاحات المنشودة منذ عام 1868 ولعل أكبر وأهم هذه البعثات التى ذهبت إلى الخارج هى بعثة ايواكورا (Iwakura) التى غادرت البعثة اليابان عام 1871 وقضت سنتين كاملتين فى الولايات المتحدة وأوروبا. ولقد تألفت هذه ثمانية وأربعين عضواً معهم أربع وخمسون طالباً وضمت بالإضافة إلى رئيسها أيواكورا شخصيات حكومية هامة مثل أوكوبو (Okubo) وكيدو (Kido) وايتو (Ito) الذى صار من أبرز قادة اليابان فيما بعد. ولقد نجحت هذه البعثة نجاحاً باهراً فى جمع المعلومات المعقدة، وإن

كانت قد فشلت تماماً في تحقيق الشق الثاني من مهمتها وهو حث الغرب على إلغاء المعاهدات غير المتكافئة مع اليابان التي تسبب في إضرارها بنظام حكم شوجنية التوكوجاوا^(lxxi).

ثالثاً - تطور الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية

1- الأوضاع السياسية

إشتمل النظام السياسي الياباني في عصر الميجي على تغييرات في جميع نوحى الحياة السياسية متأثرة بالنظم السياسية الأوروبية خاصة الألمانية ، والبريطانية ، والفرنسية. وهذه التغييرات تمثلت في تشكيل أول مجلس وزراء، ووضع دستور وحياة نيابية برلمانية ، وتشكيل أحزاب سياسية.

وقد أنشئت الوزارات على النسق الأوروبي في بداية عصر الميجي. وقد تمثلت تلك الوزارات في وزارات المعارف ، والمالية ، والجيش ، والحربية، وهاتان الوزارتان العسكريتان أصبحتا في عام 1879م تمثلان هيئة أركان حرب في النموذج الألماني ، وفي عام 1889م أعادت الحكومة النظر في قانون التجنيد الإجباري، وألغت كافة الاستثناءات، وكان ذلك القرار جزءاً من خطة تهدف إلى دعم القوات المسلحة حتى تتمكن اليابان من خوض غمار الحروب خارج حدودها. وأقبل الشباب على أداء الخدمة العسكرية الوطنية بعد أن كانوا يتهربون منها، ويرجع الفضل في ذلك إلى نظم التعليم التي غرست الروح الوطنية في عقولهم.

والجدير بالذكر أنه في الفترة من 1873-1875 ظهرت بوادر إنشاء أحزاب سياسية في اليابان كما شهدت تلك المرحلة حملة كبيرة ترمى إلى الدعوة لإنشاء هيئة برلمانية وروجت مبادئ وأفكار روسو وسينسر بترجمتها إلى اليابانية وإستخدامها في حملة الدعاية ضد الحكومة. وفي عام 1878 أنشئت جمعيات للتمثيل النيابي في كل مقاطعة، ومنحت هذه الجمعيات

سلطات مالية محدودة ولكن هذه الجمعيات لم يكتب لها أن تقوم بدورها المنشود إذ سادت البلاد موجة من الشغب السياسى الذى حال دون ازدهار هذه الجمعيات.

وعلى الرغم من أن الحكومة تمكنت من قمع ذلك الشغب السياسى الذى حال دون ازدهار هذه الجمعيات. إلا أنها لم تغفل مع هذا الحاجة إلى إقامة بنيان سياسى واضح المعالم فى البلاد. لذلك تقدم عدد من المفكرين السياسيين اليابانيين عام 1881م بمقترحات لإنشاء نظام نيابى على النسق البريطانى، ومن ثم إقامة برلمان ودعوته للإجتماع فى عام 1883م. وشهدت هذه المرحلة وقوع اضطرابات خطيرة بسبب إنتشار الفساد، وارتفعت الأصوات فى طول البلاد وعرضها تنادى بأنه لامناص من قيام برلمان لمنع الفساد السياسى. وفى 11 أكتوبر 1881م تولى الإمبراطور رئاسة إجتماع هام حضره جميع أعضاء الوزارة ، وأصدر وعده بإقامة برلمان فى غضون عشرة أيام ، وفى اليوم التالى صدر أمر إمبراطورى يتضمن وعداً للأمة بإنشاء برلمان قبل حلول عام 1890 (lxxii).

أسندت الحكومة اليابانية إلى ((إينو هيروبومى)) مهمة إعداد الدستور الذى وعد به الإمبراطور ف قضى الفترة من عام 1881م إلى 1883م فى أوروبا يدرس الدساتير الغربية. وعندما عاد إلى اليابان بدأ مهمته الفعلية فى وضع الدستور، وبادر إلى إدخال تغييرات تمهيدية إلى الإدارة الحكومية. وفى عام 1885م شرع فى إعادة تنظيم الجهاز الإدارى، وتألقت حكومة وطنية على النسق الألمانى تكونت من تسع وزارات هى الخارجية ، والداخلية، والمالية ، والحربية ، والبحرية ، والعدل ، والتعليم ، والزراعة، والتجارة ، والمواصلات. وتم تحديد إختصاصات كل وزير فى وزارته داخل هذا الإطار السياسى الجديد كما أسند إلى ((أيتو هيروبومى)) رئاسة الوزراء. وكان وزراء حكومة أيتو جميعاً من أبناء مقاطعتى ((سانسو ما))

و((تشوشو)) اللتين كانتا أول مناطق اليابان إحتكاكاً بالحضارة الأوروبية الحديثة، كما كانوا من طبقة ((الساموراي)) الذين شاركوا في وضع النظام الميجي.

وإستكمالاً للنظام السياسي الذي وضعه أتيو هيروبوومي أنشئت في عام 1884م طبقة الأمراء والأشراف على النسق الألماني حيث ضمت خمس درجات عالية هي بالتتابع، الأمير، الماركيز، الكونت، الغيوكونت، البارون وتم توزيع هذه الرتب على نبلاء البلاط القديم، ورجال الدايميو السابقين ومختلف زعماء الحكومة، ومن ثم أجادت الفصل بين الشئون العامة للدولة وشئون البلاط الإمبراطوري.

وكان صدور الدستور الياباني في 11 فبراير 1889م خاتمة جهود بذلها ((أتيو هيروبوومي)) تنفيذاً لقرار الإمبراطور. حيث قامت لجنة إعداد مشروع الدستور برئاسة ((أتيو)) بعملها في سرية تامة منذ تشكيلها في مارس 1884م وخلال عامي 1886م و1887م مستعينة بخبرة الدكتور ((هرمان روسلر)) أستاذ القانون الدستوري الألماني. حتى أعلن الدستور في 11 فبراير 1889م في حفل أقيم في القصر الإمبراطوري حضره ممثلو الدول الأجنبية. وقد نص الدستور الياباني بالنسبة للسلطة التشريعية على وجود المجالس الآتية (lxxiii):

1- مجلس شيوخ أو لوردات ((أشراف)) على غرار مجلس اللوردات البريطانية وتضمن مجلس الأشراف أعضاء منحوا حق العضوية مدى الحياة ، وهم من يحملون ألقاباً تعادل لقب أمير وماركيز. أما الأعضاء الآخرون وهم ممن يحملون ألقاب الكونت والغيو كونت والبارون فينتخبهم زملاؤهم الأشراف ، ومدة عضويتهم سبع سنوات، وتضمن المجلس فئة أخرى من الأعضاء عينوا بأمر إمبراطوري لمدة الحياة وكانوا من كبار الموظفين ، وسمح أيضاً لكبار دافعي الضرائب في كل مقاطعة بإنتخاب عضو أو

عضوين لتمثيلهم فى المجلس. وقد أقيم هذا المجلس ليكون قوة محافظة تحد من تطرف مجلس النواب ، وكان نجاحاً فى أداء مهمته.

2- مجلس النواب على غرار الرايشتاغ الألمانى. وقد أختير أعضاء مجلس النواب بالانتخاب الشعبى غير أن قانون الانتخاب نص على شروط من ناحية الأملاك ، ويجب توافرها فى الناخبين، فلم يزد عدد الناخبين الذين توافرت فيهم هذه الشروط على 450 ألفاً. وقد زاد عددهم نتيجة لحركات الإصلاح حتى بلغ 12 مليوناً فى عام 1928م.

وكانت سلطات البرلمان التى تقاسمها المجلسان من نوعين وهما: المالية والتشريعية، فكان على الحكومة أن تقدم للبرلمان فى كل عام مشروعاتها ، وخططها الخاصة بالنفقات والإيرادات وأن تقدمها على شكل ميزانية، وهى لا تستطيع إدخال أى تعديل فى نسبة أى ضرائب جديدة إلا بموافقة البرلمان، ولا يمكنها التعاقد على قروض بغير هذه الموافقة. ولكن هذا البرلمان، ولا يمكنها التعاقد على قروض بغير هذه الموافقة ولكن هذا البرلمان لم يكن مع هذا يملك من السلطات النهائية ما تملكه عادة المجالس التشريعية وتستخدمه بشكل يكفل لها فرض سلطانها على السلطة التنفيذية.

وقد أفرد الدستور للإمبراطور بعض سلطات تتعدى سلطة البرلمان، منها العلاقات الدبلوماسية، وإعلان الحرب ، وعقد الصلح ، وتكوين الهيئة التنفيذية، ومرتببات الموظفين والمدنيين والعسكريين، وحق العضو، وتخفيف الأحكام، وإعلان حالة الحصار، وإدخال التعديلات الدستورية، وتنظيم وراثته العرش، وتعيين الأوصياء ، وفى إمكان الإمبراطور - أى الحكومة - أن يصدر الأوامر اللازمة لتنفيذ القوانين، أو التى تقتضيها صيانة السلام العام ، والأمن، وتوفير الرفاهية للرعايا. وكان عمل البرلمان يخضع لإشراف الحكومة التى كانت لها السلطة فى دعوته للإنعقاد، وتعطيله، وحله.

ولعل خير سلاح إستخدامه البرلمان فى نضاله مع الحكومة هو حق الإستجواب الذى يجوز إستعماله لإثارة أى مسألة ، وكان يجوز أيضاً لأى المجلسين أن يوافق على قرارات يلوم الحكومة وإعلان عدم الثقة بها، ولكن لم يكن لهذه القرارات أى تأثير من الناحية القانونية، ولم ينجح البرلمان فى إقرار مبدأ المسئولية الوزارية، ولهذا كان الأثر الوحيد لقرارات كهذه هو إستثارة رأى العام ضد الحكومة.

وإستكمالاً للنظام السياسى اليابانى الحديث على النسق الأوروبى فقد سعت الحكومة اليابانية إلى تنشيط الحياة الحزبية فقام ما عرف باسم ((حزب الأحرار)) بزعامة أتياجاكى تاسوكى مقتبسة فلسفته السياسية من الفكر الليبرالى الفرنسى. وحزب آخر بزعامة ((أوكوما)) والذى حظى بتأييد من الشعب اليابانى وخاصة حكومة الميجى.

ونتيجة لهذه التغيرات السياسية التى حدثت فى اليابان، فقد حظيت اليابان بإحترام العالم الغربى، وتنازلت بريطانيا عن إمتيازاتها فى اليابان وحذت بقية الدول الأوروبية حذو بريطانيا بالتنازل عن الإمتيازات التى كانت قد فرضتها على اليابان من قبل، وتطلعت اليابان إلى أن تصبح دولة كبرى وقوة عظمى وهو ما سوف يظهر فى سياستها الخارجية (lxxiv).

الغالبية الساحقة للسكان حتى أنهم كانوا عشية الحرب العالمية الأولى لا يزالون يشكلون نسبة 80% من مجموع السكان وكان مالك الأرض يستقطع حتى نهاية حكم شوغونية التوكوجاوا من بين 50-60% من المحصول. ومع ذلك كان النظام يتميز حينذاك بالمرونة لأن كان يتواسم مع حالة المحصول.

ولكن منذ عام 1873م، فإن الإصلاحات التى أتى بها حكم الميجى كانت تستهدف كما أسلفنا فرض ضريبة عقارية بنسبة 3% من قيمة الأرض بصرف النظر عن حالة المحصول. وكان تثبيت هذه النسبة كارثة على الفلاحين. وصحيح أن الضريبة كان يقوم بدفعها ملاك الأرض ، ولكن نظراً

لأن هذا المالك كان ضعيفاً فإن عبئ الدين الناجم عن محصول رديء فى أحد الأعوام كان يتقل كاهله ويتسبب فى فقدانه للأرض التى يمتلكها. ولكن فى مقابل ذلك فإن ثورة الميجى قد عملت على إختفاء أعمال السخرة فى الأرض الزراعية وألفت الإستبعاد الفردى.

أما عن الأحزاب السياسية وفيما قبل عام 1889م تشكلت ثلاثة أحزاب سياسية هى : حزب الأحرار (Parti – Liberal) وكان يركز على الأوساط الزراعية بزعماء شخصيتين معروفتين هما أوكويو (Okubo)، وإيتاجاكى (Itagaki) وهناك الكايشنتو (Kaishinto) ويمثل الطبقات التى تسكن المدن، ويميل هذا الحزب بولائه إلى الطبقات المالية الليبرالية التى تأخذ بالمنهج الإنجليزى وأخيراً هناك حزب التيسيتو (Teiseito) ويمثل مصالح الأوليغارشية السياسية الحاكمة.

ولم يكن لهذه الأحزاب أية جذور فى أوساط الجماهير. وعلى أية حال فمنذ عام 1883م إختفى حزب تيسيتو من مسرح الأحزاب، أم الحزبان الآخران وهما الكايشنتو، والأحرار فقد اندمجا فى بعضهما فيما سمي بعد ذلك بحزب الكينسيتو (Kenzeito) ثم تغير أسمه بعد ذلك، بعد حلول عام 1900 ليصبح اسمه السيوكاى (Seiyukai) على أن هذه التجمعات الحزبية كانت تتألف بأسلوب قبلى عشائرى أى من مجموعة من الأقارب والإصهار ، وكان الإخلاص والولاء من ثم للجماعات والأشخاص أكثر من كونه للأيدىولوجية الحزبية.

وأخيراً ونحن نقوم بتحليل حصيلة هذه الثورة الإجتماعية الجذرية التى واكبت النهضة الصناعية ، والإقتصادية اليابانية يحق لنا أن نتساءل هل كان هناك نزوح ريفى جماعى على نطاق كبير إلى المراكز الصناعية يمثل ما حدث فى أوروبا أثناء نهضتها الصناعية؟ ويأتى الجواب بأن عدد السكان فى اليابان قد زاد فعلاً فى هذه الفترة زيادة ضخمة ، وكان على الشبان أن يجدوا

لهم عملاً في الصناعات التي تتركز بطبيعة الحال في المدن ، ولكن يجب أن نلاحظ هنا وبصفة خاصة أن هذه الهجرة أو هذا النزوح البشري قد أصاب المرأة بأكثر مما أصاب الرجل وكان ذلك أمراً عارضاً أيضاً. فسرعان ما عمل الزواج على عودة هؤلاء النازحين في معظمهم إلى المدن باتجاه قراهم الأصلية. على أن هذه ((البروليتاريا)) الناشئة شهدت أحوالاً ، وظروفاً بالغة الصعوبة تتمثل في ضعف الدخل في البداية ، وعدم وجود أية تشريعات لحمايتهم بالإضافة إلى استخدام أسلوب أشبه ما يكون بأسلوب القسر والسخرة في تشغيلهم (lxxv).

- الأحزاب السياسية اليابانية المعاصرة :

وهي قسمان الأحزاب المحافظة ، والأحزاب التقدمية.

الأحزاب المحافظة : الليبرالي الديمقراطي

وتعود جذور هذا الحزب عندما بدأ إيتاجاكي عام 1874م بتشكيل جمعية نيابية لتكون معادلة لقوة كبار الموظفين التقليديين، ونظم رابطة سياسية كنواة لحزب سياسي، هذه الرابطة كانت تقدم الاستشارات للساموراي تلك الطبقة المهمة في المجتمع الياباني في تلك الفترة.

وفي عام 1882م قام أوكوما بتشكوين حزب سياسي ثانٍ، ومن هذين الحزبين تشكلت الحياة الحزبية في اليابان. فقد سيطر على السدايت حزب إيتاجاكي باسم الحزب الليبرالي الذي أطلق عليه في اليابان اسم الجيوتو Jiyoto أو حزب الحرية.

وفي عام 1900 انضم إلى هذا الحزب كبار رجال الحكومة لتشكيل حزب جديد باسم السيوكاي Sieyukai.

الحزب الثاني: تغير اسمه عدة مرات فصار عام 1927 المنسيتو Meinseito أي حزب حكومة الشعب. وتعاقب على الحكم مع حزب

السيوكاي - ثم بعد الحرب العالمية الثانية استعاد نشاطه تحت اسم الحزب الديمقراطي.

وفي عام 1955م اندمج الحزبان الرئيسيان الديمقراطي والليبرالي ليكونا معاً الحزب الليبرالي الديمقراطي الذي حكم اليابان فترة طويلة جداً.

ويعتبر هذا الحزب من أقوى الأحزاب اليابانية وما زال مسيطراً على الحكم منذ عام 1954م، وسبب ذلك يعود لأن هذا الحزب محافظ في اتجاهاته الأمر الذي يتناسب وطبيعة اليابانيين، كما أن برنامج الحزب يتضمن بناء دولة الرفاهية من خلال التنمية الصناعية. ومن ناحية السياسة الخارجية للحزب فإنها تميل للولايات المتحدة الأمريكية، أما من ناحية سياسته الداخلية فهو منتشر في جميع أنحاء اليابان لغاية هي الحصول على أصوات الناخبين في الانتخابات النيابية، ورئيس الحزب هو الذي يتولى رئاسة الوزارة عندما يكون للحزب أغلبية نيابية.

يعتمد الحزب الليبرالي الديمقراطي في تمويله على الشركات والمؤسسات الاقتصادية الكبرى، لذلك تفوق موازنته أي حزب آخر. كما أن عدد المقاعد التي يشغلها الحزب الليبرالي الديمقراطي أكبر من تلك التي تشغلها جميع الأحزاب المعارضة. ولكن النسبية موجودة فعندما ينقص عدد مقاعد الحزب الليبرالي الديمقراطي يزداد عدد الأحزاب التقدمية المعارضة. أما الأحزاب السياسية الأخرى والمسماة الأحزاب التقدمية فتشمل:

- 1- الحزب الاشتراكي.
- 2- حزب الحكومة النظيفة.
- 3- الحزب الديمقراطي الاشتراكي.
- 4- الحزب الشيوعي.

وتشكل هذه الأحزاب مجتمعة نواة معارضة الحزب الحاكم أى الحزب الليبرالى الديمقراطى.

لا بد من القول أن حزب الجماهير الإشتراكى Social Mass Party كان قد تأسس عام 1932 إلا أنه أجبر مع غيره من الأحزاب على حل أنفسهم عام 1940م أى قبل دخول اليابان الحرب العالمية الثانية^(lxxvi).

1- الحزب الإشتراكى : أقوى أحزاب المعارضة ولكنه لا يستطيع أن يتقدم إلى جانب الحزب الحاكم - الليبرالى الديمقراطى - فهناك فارق كبير بينهما.

يتضمن برنامج الحزب الإشتراكى علاقات تعاونية غير عدائية مع الصين والولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى. ويحاول الحزب إحراز مزيد من التقدم والتأييد عن طريق توسيع قاعدته الشعبية. ولكن قلة موارده المالية ما زالت تقف حائلة دون تحقيق أهدافه. وتسيطر المركزية على الحزب فلا يمكن إتخاذ قرارات مهمة دون الرجوع للهيئات المركزية. وقد استعاد الحزب الإشتراكى نشاطه بعد الحرب العالمية الثانية محققاً أعلى نسبة للأحزاب المعارضة فى عام 1947م حينما حصل على 26% من أصوات الناخبين فى حين حصل الحزب الحاكم - الليبرالى الديمقراطى - على 61% من هذه الأصوات.

2- حزب الحكومة النظيفة : أو حزب كوميتو يمثل المرتبة الثانية بين أحزاب المعارضة تأسس عام 1964م ويتضمن برنامجة تحقيق الكرامة الإنسانية ويرى ضرورة الفصل بين الدين والدولة.

3- الحزب الديمقراطى الإشتراكى : تأسس عام 1961م ويمثل الجناح اليمنى من الإشتراكيين يتضمن برنامجة أن تتبنى اليابان سياسة حيادية.

4- الحزب الشيوعي : تأسس عام 1922م، ليس له أى وزن رسمى أو أى دور سياسى. يتأثر وضع هذا الحزب بالعلاقات بين الإتحاد السوفيتى واليابان.

وهكذا يتبين لنا أن الأحزاب المحافظة التى يمثلها بالتحديد الحزب الليبرالى الديمقراطى تتفوق على الأحزاب التقدمية فى إتخاذ تسيير القرار السياسى اليابانى رغم وجود تيارات فى داخل الحزب الليبرالى الديمقراطى سببها الخلافات بين زعماء الحزب الذين يشكلون أجنحة أو إنشقاقات، وقد إنتشرت ظاهرة الخلافات والإنشقاقات فى داخل كل حزب يابانى حتى أصبحت سمة من سمات الأحزاب اليابانية. فقد بلغ عدد الإنشقاقات، داخل الحزب الليبرالى الديمقراطى سبعة عشر إنشقاقات. ويعتقد البعض أن هذه الإنشقاقات دليل ديمقراطى، وأنه عندما ستظهر قوة الأحزاب الاشتراكية المعارضة فإن هذه الإنشقاقات تختفى تلقائياً.

هناك أمر لابد من التنبيه إليه وهو علاقة رجال الحزب الليبرالى الديمقراطى بالشركات الكبرى ، ورجال الأعمال ، والتجمعات الصناعية ، وهؤلاء الرجال هم المرشحون لإحتلال المراكز القيادية مستقبلاً فى الحزب. وفى المقابل نجد علاقات رجال الأحزاب الاشتراكية قوية بالنقابات العمالية، فالحزب الاشتراكى يعتمد على النقابات العمالية ، أو إتحادات العمال اليابانية التى تمد الحزب بقاعدة إنتخابية قد تجاوز نصف مجموع المؤيدين للإشتراكيين فى الإنتخابات.

فى الواقع إذا كان الحزبان الكبيران فى كل من بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية يتبادلان الحكم حسب القوة وظروف كل منهما، فإن الحكم فى اليابان تسيطر عليه الأحزاب المحافظة منذ عام 1947م، كما يسيطر عليه الحزب الليبرالى الديمقراطى منذ عام 1955م دون إنقطاع.

ويلاحظ أن قادة القوى السياسية المحافظة هم رجال لديهم الخبرة السياسية ويؤيدون الإقتصاد المختلط بين القطاع الخاص ، والمشاركة الحكومية كما أن لهم علاقات مع رجال التجارة والبيروقراطيين ، ولا يتقنون بالماركسية بل يعادونها دائماً.

أما عن أسباب سيطرة الحزب الليبرالى الديمقراطى الحاكم فعدة منها :

1- إستفادة الحزب من الناخب الريفى مقابل الناخب الحضرى. سيما وأن إتجاهات الحزب المحافظة تتفق وميول الريفيين.

2- إستفادة الحزب من الإستقرار الإقتصادى للسيطرة على الحياة السياسية، فيرى الناخبون أن الإستقرار مرتبط ببقاء الحزب فى الحكم، ويعتقد البعض بأن هذا الإستقرار لا يجرى لمصلحة الحزب الليبرالى الديمقراطى لأن الظروف المرتقبة قد تؤدى لوصول الاشتراكيين للحكم.

وبمقارنة الأحزاب اليابانية بغيرها من الأحزاب العالمية نلاحظ أن هذه الأحزاب تجمع بين النظرية الديمقراطية الغربية ، وبين التقاليد السياسية اليابانية، مع أن هذه الأحزاب تعاني من الإنشقاقات ، وخاصة ما نلاحظه فى الحزب الديمقراطى الليبرالى المكون من عدة أجنحة، ولعل ذلك يعود لإندماج الحزبين الليبرالى ، والديمقراطى المختلفين بالغاية دون أسس فكرية موحدة.

وإذا سلمنا بأسباب الإنشقاقات فى الحزب الليبرالى الديمقراطى فإننا نستغرب وجود إنقسامات أدت إلى سبعة أقسام موجودة فى الحزب الاشتراكى ، والذي يضم اشتراكيين يمينيين ، وإشتراكيين متطرفين.

إن غالبية الأحزاب اليابانية لا تعرف الإستقرار الداخلى ، ولم تحول أن تضع برامج سياسية واضحة تعمل بمقتضاها، وهدفها الوحيد هو كسب المعارك الانتخابية، وتخطى عوائقها المالية ، والتي تتجم غالباً عن عدم دفع الأعضاء المنتسبين للحزب من رسوم الاشتراكات المتوجبة عليهم.

من هنا نلاحظ أن الجهاز البيروقراطي في المجتمع الياباني هو الذي يقوم بقيادة الأحزاب، وذلك لما للبيروقراطيين من أهمية، وتعمل الأحزاب للاتصال بهم وجذبهم بعد إحالتهم على التقاعد ليكونوا أعضاء قياديين في الحزب ، وبالتالي فإن القياديين المحليين في المناطق لا يشاركون فعلياً في قيادة الحزب، وإنما الأعضاء المركزيين هم أصحاب القرار.

وهكذا تختلف الأحزاب السياسية اليابانية من أحزاب لا تتصل بالرأي العام وبالتالي فإن قراراتها فوقية وبيروقراطية كما هي حال الحزب الليبرالي الديمقراطي، وبين الحزب الاشتراكي الذي هو على علاقة وثيقة بالسو هيو وهي المنظمة التي تضم عددًا كبيرًا من نقابات العمال الكبيرة ، والتي لها مواقف عديدة معظمها يدور حول التقارب بين موسكو ، وبكين. وتقف ضد اتفاقية الأمن المتبادل بين الولايات المتحدة، واليابان أو القواعد الأمريكية في اليابان والتسلح النووي (bxxvii).

وقد ارتبط تطور الأوضاع السياسية باليابان بنزعتها العسكرية حيث أعطيت العشرينات صورة عن عصر ليبريالي أعطاه اليابانيون اسم (ديموقراطية تيشو) . ومع الثلاثينات بدأت حقبة جديدة من السياسة الاستبدادية والتوسع العسكري، وأسباب هذا التحول قد تقوت (جزئيًا) المؤرخ الذي لا يستطيع إلا أن يلجأ إلى بعض الفرضيات التفسيرية ، وأن يضع التطور الياباني في سياقه العالمي. إذ أن انزلاق اليابان إلى نظام الحكم الشمولي أتى في اللحظة نفسها التي غدت فيها دولتان كبيرتان من دول أوروبا الغربية دولتين استبداديتين، فوصول العسكريين اليابانيين إلى السلطة حدث بعد انتصار الفاشيست الإيطاليين ، وتزامن تقريبًا مع تصاعد النظام الهتلري في ألمانيا. وهذا التزامن بين هذه التطورات الثلاثة قد يبنى عن شئ من القرابة في الإحياء.

ليست النزعة التسلطية والعسكرية جديدة في اليابان، فهي تعود إلى النظام القديم حيث لم تكن الأخلاق العسكرية المبالة للخضوع إلى الأوامر المتلقاة من الأعلى تسمح بمكان لإظهار المبادرات الفردية ، والتحديث الذي جرى بعد عام 1868 والذي فهم على أنه رد على تحدي الغرب العسكري قد أشرفت عليه القيادة العليا للجيش والبحرية .

ولاشك أن نهاية الحرب العالمية الأولى أدت إلى ليبرالية في النظام ، وإلى توجه أكثر مسالمة في السياسة الخارجية، ومع ذلك فإن الكثيرين من اليابانيين بقوا أنصار للطرائق التسلطية في الحكم، والأخلاق الكونفوشيوسية القديمة التي تدعو إلى انسجام اجتماعي يفرض على الجميع لقيت ترحيبًا أكبر من الترحيب بالأنظمة الفردية الغربية ، ومن اللجوء إلى المؤسسات لحل المنازعات على المضالح في برلمان متعدد الأحزاب. وقد بقي قادة السياسة اليابانية مرتبطين بمفهوم التسلسل وأن السلطة هي للنخبة من الناس، ولم يكن أحد يفكر بانتقاد المؤسسة العسكرية لأن جماهير المواطنين مجذوبة بشعور الفخر القومي عندما تذكر الفتوحات التي قام بها جيش اليابان .

منذ العشرينات واجهت اليابان مصير أمة منقسمة على نفسها أعمق انقسام، انقسامات اقتصادية و اختلافات في العقلات وطرائق العيش بين سكان المدن وسكان الأرياف، منازعات القدامى والمحدثين حول مجهود التجديد، انقسامات ناجمة عن اختلاف مستويات الثقافة والتعليم. فالنزاعات الليبرالية كانت تنبثق من أوساط المثقفين في المدن أما في الأرياف حيث بقيت المدارس الابتدائية عامل التغيير الوحيد فقد بقيت الحياة تتابع رتابتها الأولى .

لقد نظر الفلاحون وسكان الأرياف الذين مازالوا يمثلون أكثرية سكان اليابان إلى التحول الذي طرأ على المدن بدهشة ممزوجة باللوم والنقد. والعناصر المحافظة التي تتكاثر كل يوم كانت تحتفظ من انحرافات (الموغا

MOGA) وتعزو الأفكار الليبرالية أو المتطرفة إلى قبضة من المثقفين المنحليين. وكثيرون هم ضباط الجيش ، والبحرية، وصغار الملاكين الريفين ، وصغار الطبقات الوسطى الذين رفضوا توجيه أي نقد أو اتهام للعلاقات السلطوية القديمة، وهذه الفئات تنتمي لأجيال ما بعد عصر الميجي MEIJI وتم تشكيلها وفقا للنظام التعليمي الجديد، وقد رسخت المدرسة في أذهانهم حماسة وطنية وروحًا عسكرية لم تعودا مألوفتين في الخارج، وبما أنهم قليلوا الاطلاع على التطور الحديث الذي يجري في البلاد الأخرى فإنهم ينسجمون تمامًا مع حكومة استبدادية ، ومع توسع إمبريالي شبيه بالتوسع الذي عرفه عصر الميجي، وكان رجال السياسة الليبراليون الذين ظهرت بعد الحرب يبدون لهم مدافعين عن مصالحهم ، وبدا لهم إيقاف تطوير القوات المسلحة والاستعمار عملاً ينم عن الخيانة، وقد اجتذبت فكرة التوسع العسكري الطبقات الوسطى ، وجعلتها تقف في صف القادة القدماء لعصر الميجي، ولكن التوجيه الذي كانت تقدمه المدرسة الابتدائية بدا أنه حرم المواطن المتوسط من الروح العملية ، والانتهازية اللتين عرف رجال الميجي ما لهما من قيمة وفائدة. منذ السنوات الأولى للإصلاح أصبح بالإمكان الكشف عن العلاقة المبكرة لما سيُسمى (بالقومية المتطرفة). فبعض اليابانيين لم يكن يستطيع التخلي عن ردود الفعل القومية البدائية التي تخلى عنها رجل الشارع عن طيب خاطر. بينما حملة المعارضة التي قامت على الحكومة على يد ساموراي الأطراف وتمرد البلاء الذي حدث في السبعينات من القرن التاسع عشر كانا ظاهرتين عفويتين لتيار سيصبح من مبادئ ((حزب الحرية وحقوق الشعب (JIYU – MINKEN – UNDO)). وقد انفصل هذا التيار القومي المتطرف شيئاً فشيئاً عن التيار الليبرالي الذي كان في البدء متضامناً معه ، وقد دعمه للوهلة الأولى إلى الحركات الثورية التي ترفض السيطرة الغربية في البلاد الآسيوية الأخرى ثم غدا بعد ذلك بطل التوسع الاستعماري الذي

أعبر تريباقاً شافياً من الهيمنة الأوروبية في آسيا، وبذلك تكون التطلعات الإستعمارية قد إختبأت وراء أفكار (الجامعة الآسيوية) (lxxviii).

نشطت هذه الحركة القومية المتطرفة على يد متطرفين نشيطين ينتمون إلى المقاطعات الواقعة إلى أقصى الغرب من الأرخبيل ، والتي جعلها قربها من القارة أكثر حساسية لمشاكل البلاد الآسيوية الأخرى. وفي عام 1881م تأسست في الشمال من كيوشيو (جمعية جينيوشا الوطنية) التي ستتقلب إلى (الكوكوريوكي) عام 1990. ومن أجل أن يؤثر الغربيون تأثيراً قوياً في خيال المستمعين ترجموا هذه التسمية إلى (جمعية البتين الأسود)، والواقع أن هذا التعبير المشتق من كلمة صينية معناها "نهر أمور" توحى إن الحدود الطبيعية لليابان إنما تقع إلى الشمال من منشوريا حيث يقع نهر أمور.

وبعد الحرب العالمية الأولى حصلت الدول الإستعمارية الضاغطة على نفوذ متزايد في الحياة السياسية اليابانية وخرجت من كبار الموظفين ذوى الأفكار الرجعية (جمعيات وطنية) وجهت همها ونشاطها إلى النخبة من المثقفين بينما قام مناضلون منهم يعملون في صفوف الطبقات الشعبية ، ولجأ الشعراء الشعبيون ، والمغنون يستمدون موضوعاتهم من حكايا الفلاحين القديمة ، ومن الروايات التي تروى أخبار عهود الإستبداد الماضية. وكما فعل رجال الإصلاح فإنهم تمسكوا بسلطة الإمبراطور المقدسة، وقدموا أنفسهم مدافعين عن "النموذج المثالى القومى" (كوكوتى) والمتحدثين باسم "الإدارة الإمبراطورية" هذان التعبيران اللذان استعملوهما دائماً سيكونان خطوة كبرى منذ ذلك الوقت. وقد قدمت الأوساط القومية المتطرفة شيئاً من عناصر مبدئها للنظريات الاشتراكية الغربية كالفاشيستي الإيطالية والاشتراكية القومية الألمانية، والإهتمام البالغ الذى ناله هذان النظامان الأخيران بدا كأنه إثبات على أن الديمقراطية الليبرالية ربما لم تعد طريقة للحكم ينتظرها ذلك المستقبل العظيم.

إن الحركة القومية المتطرفة أريد لها أساساً أن تكون ضد الغرب. فقد شعر اليابانيون أن بلادهم رغم كونها دولة عظمى لم تصل بعد إلى المساواة المطلقة مع الغرب. فالأمريكيون ، والأوروبيون يصعب عليهم تصور أن أمة من العرق الأصفر يمكن أن تكون على قدم المساواة مع الأمم الأخرى. وفي عام 1919م أثناء مؤتمر الصلح في فرساي طلبت البعثة اليابانية تبني بند يضمن (المساواة العرقية بين الأمم) ولكن الولايات المتحدة وبريطانيا عارضتا قبول المشروع ، وكان الرفض ينسجم مع التشريعات الأمريكية ، والكندية ، والأسترالية التي تضيق من نطاق هجرة الآسيويين إلى بلادهم. وكان العالم الغربي منذ عدة عقود من السنين ينتابه وسوس الخطر الأصفر لذلك عمدت الولايات المتحدة الأمريكية إلى المعايير العرقية لمنع الجنسية الأمريكية عن الآسيويين، وانتشر في كاليفورنيا ، وفي العديد من الولايات الغربية تمييز عنصري في المدارس، وكان السكان يرفضون بيع الأراضي إلى إناس قدموا من الشرق الأقصى. ومن أجل وضع حد لهذا المناخ من التوتر وقعت اليابان ، والولايات المتحدة في عام 1908م "اتفاق جنتلمان" للحد من الهجرة اليابانية. ولكن هذا الاتفاق لم يكن كافياً في نظر الكونغرس الأمريكي الذي تبني في عام 1924م "قانون إستبعاد" يمنع اليابانيين من الحصول على الجنسية الأمريكية. وإستقبل اليابانيون هذا التدبير على أنه إهانة لا مسوغ لها ، وشعروا بمهانة كبيرة. ولابد أن نذكر هنا كذلك بعض التصرفات التي كان لها أثر في تاريخ الولايات المتحدة ، وتاريخ اليابان على السواء مثال ذلك أن الشعور العنصري بلغ مداه في الولايات المتحدة تجاه الآسيويين في بداية الحرب العالمية الثانية، فكان إسكان الساحل الغربي من اليابانيين بما فيهم أولئك الذين ولدوا في الولايات المتحدة وأظهروا لنظامها ولاء شبه فيه وصودرت أملاكهم ، وحشروا في حظائر مع عائلاتهم في معسكرات للتجميع ولم يستثن حتى الشيوخ المسنون من هذه المعاملة اللا إنسانية.

بقى التيار القومي المتطرف فى اليابان محصوراً فى أوساط محدودة من الناحية العددية ولم تكن له الأهمية التى نالها فى كل من إيطاليا وألمانيا ، وإن آثار حركة واسعة فى رأى العام، ويمكن أن تضاف رد الفعل هذه إلى عواقب الأزمة الإقتصادية كما أنها نجمت كذلك عن الضيق الذى سببته القطيعة مع الكوادر الإجتماعية القديمة، وعن الإنحلال المتماذى لوحدة البلاد الأخلاقية. فنفور المثقفين والظروف التى يعيش فيه عمال المدن، وإفتقار الحرفيين ، وأصحاب المشروعات الصغيرة بسبب مناقسة الشركات الكبرى، والوضع اليائس للعديد من الفلاحين ضحايا إنهيار أسعار المحاصيل خلق كل ذلك فى نهاية العشرينات موجة من الإستياء العام. وكانت هذه الدول المختلفة تهاجم السيطرة الإقتصادية لأصحاب الشركات الكبرى ونفوذها على الأحزاب السياسية، وقد أصابت الخيبة كل أولئك الذين حلموا بمستقبل لعصر الميجى، وتلت الوعود حقيقة منفرة عبرت عنها المصادمات بين الرأسماليين الشرهين أو رجال السياسة الفاسدين. وكانت الرأسمالية الصناعية والنظام البرلمانى ، ومجتمع المدن تبدو لكثير من اليابانيين مشبوهة لأنها تذكرهم بعالم الغرب. وكما حدث لبلاد أخرى فى أزمان أخرى فإن اليابان مالت بكثير من الحنين إلى ماضيها ، وأملت أن تجد فى وصفاته القديمة جواباً لمشاكلها المعقدة فى عصر القلق الذى كانت تعيش فيه (lxxix)

ومن الطبيعى أن تستند رد الفعل السياسى والإجتماعى على الطبقة العسكرية. وحن نتذكر أنه بفضل ياماغاتا نجح الضباط دائماً فى المحافظة على إستقلالهم فى قلب الحكومات المتعاقبة ، وكانوا يتمتعون بحرية واسعة فى العمل. وكان الجيش فى أذهان الجميع شريكاً فى كل إنجازات عصر الميجى ، ومتوجاً بهيبة التقاليد الأرستقراطية القديمة، واليابانيون يتخيلون ضباطهم رجالاً خارج نطاق المألوف أو طبقة تشبه الكهنوت فى خدمة الدولة. ويعتقدون بأن كبار موظفى الجيش أكثر شرقاً وأمانة أو (بحسب تعبيرهم) أكثر صدقاً من الصناعيين ، أو رجال السياسة المشغولين دائماً

بمصالحتهم الأنانية والرؤساء العسكريون يوافقون بطيب خاطر على هذه الصورة المتملقة. وبما أنهم وضعوا منذ صغر سنهم فى مدارس للأحداث عزلتهم عن العالم الخارجى فقد نشؤوا على التقاليد العسكرية الكبيرة. وبما أنهم تلقوا ثقافة قومية تقارب التوجيه المذهبى فإنهم يحققون على رجال السياسة الذين حرموهم فى الماضى من ممتلكاتهم وماخيلهم. أما فى موضوع العلاقات الدولية فإنهم لم يرضوا عن إبعادهم إلى مكانة ثانوية تضعهم وراء طبقة التجار فى معالجة الأمور السياسية. وأخيراً فإنهم اتهموا رجال الميجى بأنهم حطموا حوافز الأمة الأخلاقية التى بدونها لا تكون قوة البلاد العسكرية فارتباطهم بالقيم التقليدية وإستقلالهم النسبى فى قلب الحكومة هيا الضباط لأن يكون لهم دور مميز فى رد الفعل السياسية (lxxx).

وقد مهد وصول العسكريين إلى السلطة إلى إقامة نظام الحكم الشمولى. ويذكرنا تطور اليابان فى أكثر من ناحية تطور إيطاليا الفاشية وألمانيا النازية. وكان الجيش والبحرية المتحفظين تقليدياً تجاه النظام الصناعى الرأسمالى ينظرون بتعاطف إلى المبادئ النازية التى تدعو إلى الاشتراكية الوطنية. وكان قادة (الزيباتسو) من جهتهم وكذلك المسؤولون عن الإقتصاد يتخوفون من السياسة الخارجية المغامرة التى يمارسها العسكريون، ومن تزايد النفقات التى تتطلبها، وثقل وظائفها على الميزانية. ولكن كل واحد من هذين العسكريين كان يجتهد فى تجنب التعصب أو اتخاذ مواقف مبدئية قاطمة، ويواصل أحلامه فى قيام إتفاق عقلانى قائم على أساس من المصالح المتبادلة. والواقع أن الجيش ما لبث أن بدأ عاجزاً عن تحقيق التطور الإقتصادى فى الممتلكات المنشورية، ووجب عليه اللجوء إلى رجال الأعمال فما لبثت أن ظهرت مجموعة من (الزيباتسو) المنشورية. وكان الجيش يهتم من جهة أخرى بالتطبيقات الإقتصادية للنظريات الاشتراكية، ويفكر خصوصاً بإمكان (تعبئة عامة) و(بدفاع أمة مسلحة). وكان يمكن لهذه الأهداف أن تتحقق بكل سهولة بإستخدام النظام الإقتصادى القائم بدلاً من تغييره. فاليابان

لن تعرف إذن أى حركة تأمين من أى نوع ولن يبذل أى جهد حقيقى لتعديل مصير جماهير الفلاحين الذين لفتت قضيتهم مع ذلك إنتباه العسكريين. وعندما تحولت الأزمة إلى نزاع مسلح إكتفت الحكومة بإقامة رقابة مشددة على الأنشطة الاقتصادية التى لم تكن تختلف فى شئ عن الأنشطة التى أقامها الديموقراطيون الغربيون خلال الحرب العالمية الثانية (lxxxI).

إتجاه النظام إلى (الطريقة الشمولية TOTALITAIRE) فى الحكم ظهر فى يادى الأمر فى التضييقات التى فرضت على الحريات الفردية وعلى التعبير عن الرأى. ونذكر أن (قانون حماية الأمن المدنى) الذى صدر عام 1925م كان يعاقب على مجرد إقتراح تغيير فى النظام أو إلغاء الملكية الخاصة. أما بعد عام 1931م فقد تبنى عدد من القوانين المماثلة وتأمين تطبيقها بدقة فى الأرخيل على يد "الشرطة الخاصة" (التي أطلق عليها أيضاً اسم "الرقابة على الرأى")، وطبقت فى المستعمرات على يد الشرطة العسكريين. وزج رجال اليسار ومناضلوا العمال والطلاب بالمئات فى السجون، وأنذروا بالتخلى عن (أفكارهم المؤذية). وأوقف بعض الأساتذة عن متابعة التدريس. وفى عام 1935م وجه الإتهام إلى ميذوب الذى كانت نظريته عن (الأعضاء) قد نالت بعض الخطوة فى أوساط المثقفين خلال العشرينات بأنه قدح بالذات الملكية فمنعت كتاباته وأضاع فى أن واحد منصبه الجامعى ومقعده فى مجلس الأعيان. وإلى هذا تضاف ملاحقة الساحرات التى تقوم بها عناصر متفرقة. ولجأ متعصبون من المتطرفين القوميين إلى تخويف وتجريح منظمين لإسكات المعارضين الذين لم يكونوا مع ذلك قادرين على التعبير عن آرائهم فى مجتمع خاضع ممثّل يمارس فيه الضغط الإجتماعى ثقله الباهظ على الأفراد.

والدعايا هى العلامة الثانية التى يعرف بها نظام شمولى بطريقة مؤكدة. وقد لجأت إليها الحكومة على أوسع نطاق لتحديث البلاد. وغدت تستخدم منذ

الآن طرائق للإقناع سريعة التأثير تطبقها بطريقة منهجية عن طريق المدرسة أو أجهزة الإعلام. وكان على الكتب المدرسية أن تعاد صياغتها عدة مرات لتصبح قريبة من الإيديولوجية الرسمية. على أن النظام الشمولى اليابانى لم يكن له قط كتاب مثل (كفاحى) رغم الجهود التى بذلت فى هذا الإتجاه. فقد طرح بين يدى الطلاب دليل أخلاقى وسياسى بعنوان (المبادئ الرئيسية للكوكونو) (كوكونو دوهونجى) هو مزيج من مجموعة غير متجانسة من المفاهيم البالية إلى حد بعيد بحيث نجد فيه خليطاً من قصص أسطورية تمجد التفوق اليابانى وإستمرار الأسرة المالكة اليابانية وتعظم (الإدارة الإمبراطورية) وتذكر بالفضائل الكونفوشوسية عن الولاء الشخصى وبر الأبناء بالآباء كما تذكر بقانون العصور الوسطى عن شرف المحارِف. فالكوكونو دوهونجى KOKUTAI NO HONGI ذو إيجاب مخالف قطعاً للإحياءات الغربية بتنديده بالفردية التى ينسب إليها كل رذائل الغرب بدءاً من الديمقراطية وإنهاء بالشيعية (lxxxll).

2- الأوضاع الإقتصادية

كانت سياسة حكومة الميجى ترمى فى المقام الأول إلى المحافظة على إستقلال اليابان، وكانوا بعيدى النظر إلى حد جعلهم يدركون أن القوات العسكرية للبلاد لا يمكن أن يكون لها أثر يذكر إلا إذا إعتمدت على إقتصاد حديث قوى يمكنه أن يسد مطالبها، ولهذا كانت مسألة إقامة إقتصاد عصرية، ومن أول المهام الجوهرية التى كرس لها هؤلاء الزعماء جهودهم. وكانت البداية قد وضعت فعلاً خلال عهد التوكوجاوا حيث قامت حوالى عام 1866م بإستيراد آلات نسيج القطن من إنجلترا وإستقدمت فنيين لهذه الصناعة، كما قبل عام 1880م إنشاء فرنأ عاكساً للحرارة وحوضاً لبناء السفن وترسانة بحرية. وتولت حكومة الميجى رعاية معظم هذه المنشآت وأضافت إليها بعض المؤسسات الإستراتيجية التى أقامتها بنفسها، كما أنشأت مصانع

نموذجية فى ميادين أخرى كنسيج القطن، والأسمنت، والأصواف، ولف الخيوط الحريرية، وكان الغرض الأساسى منها سد الحاجات الضرورية العاجلة، ولتكون نموذجاً تحتذى المؤسسات الخاصة.

وتمكنّت الحكومة اليابانية فى الفترة من 1872 - 1884م من بناء معظم السكك الحديدية، وأمكن لها عن طريق هذه الشبكة الحديدية ربط كافة المدن الكبرى بعضها ببعض. ولم تقتصر هذه الجهود الجبارة على السكك الحديدية وإنما شملت كذلك الخدمات التلغرافية. فما أن حل عام 1880م حتى كانت كافة المدن الهامة قد إرتبطت بخدمة تليفونية، وتلغرافية كاملة، وكان العامل الإستراتيجى قد ألقى هذه الجهود فى تقدم وسائل المواصلات والاتصالات. وكذلك ظهرت بصمات الدولة الواضحة فى إنشاء الترسانات البحرية فكانت الدولة تمتلك خمس ترسانات بحرية كبرى. كما تولت الحكومة بنفسها حفر المناجم وصناعة التعدين. وإلى جانب ذلك قامت الحكومة بمشروعات الرى، وتم إدخال وسائل التسميد الصناعى فى الزراعة. وفى جميع هذه المجالات، كان الغرب هو النموذج المثالى الذى تحتذى اليابان.

وفى 5 أكتوبر 1880م قررت الحكومة أن تنسحب من ميادين الصناعة والتعدين. حيث تم بيع كافة المشروعات التى تمتلكها الدولة للأفراد أو المؤسسات الخاصة، فيما عدا السكك الحديدية، والخدمات التلغرافية، والترسانات البحرية. وبيعت هذه المشروعات إلى المؤسسات الخاصة بأسعار منخفضة للغاية عن تكلفتها الأصلية، ولقد ثار فى الأوساط اليابانية جدلاً كبيراً حول بيع هذه المشروعات ولكن يبدو أن الحكومة اليابانية فى تلك الآونة، كانت تنظر للأمور نظرة عسكرية جعلتها تخفف من أعباء بعض المشروعات التى ترى أنه يمكن للقطاع الخاص أن يقوم بمسئوليته تجاهها. وفى نفس الوقت هيمنت الحكومة وبقوة على النظام المصرفى الأمر الذى

مكنها أن تدبر بطريقة غير مباشرة دفعة النشاط الإقتصادي إلى الوجهة التي تريدها.

وقد خلق هذا النشاط الإقتصادي بعض المشاكل المالية للحكومة تبلورت في إمكانية تركيز استثمار رؤوس الأموال داخل البلاد مع الحصول على العملة الأجنبية لتمويل صفقات المهمات والمساعدات الفنية اللازمة للمشروعات الصناعية من الخارج. ولما كان اليابان بلداً زراعياً في المقام الأول، والزراعة هي المورد الرئيسي للإيراد فقد أصبح لا مفر من فرض ضرائب باهظة على هذا الجانب من الإقتصاد للحصول على رأس المال للصناعة. وقد تيسر ذلك بفضل الاستثمار الزراعي وزيادة مساحة الأراضي المنزرعة.

ومن أبرز المشكلات الإقتصادية التي واجهت حكومة الميجي التضخم النقدي في الستينيات والسبعينيات من القرن التاسع عشر الناجم عن خروج الذهب من البلاد بكميات كبيرة عقب فتح الموانئ والترخيص للبنوك الأهلية بإصدار أوراق نقدية دون مقابل. ولمواجهة تلك الأزمة المالية، إتخذت الحكومة بعض الإجراءات وقامت بتخفيض قيمة العملة عام 1860م، الأمر الذي ساعد على استمرار التضخم النقدي وإستمرار إرتفاع الأسعار وقد عمدت الحكومة لمواجهة هذا الوضع إلى إنتهاج سياسة الإنكماش الإقتصادي في السبعينيات من هذا القرن، والتي إستمرت إلى منتصف الثمانينيات حيث عاود الإقتصاد الياباني إنطلاقه مرة أخرى (lxxxiii).

ولقد كان المورد الوحيد للأموال الذي أصرت الحكومة اليابانية على رفضه رفضاً تاماً خلال تلك الأزمة هو القروض الأجنبية، خوفاً من الوقوع تحت طائلة الديون الخارجية التي تفرض على الدول المدينة تقديم إمتيازات متعددة للدول الدائنة. ولعل اليابان كانت متأثرة بما حدث للصين حينما أغرقها الدول الغربية عمداً بالقروض والديون مما عرقل مسيرة تطورها

وإنقصر من سيادتها. ولذا نجد اليابان منذ عصر الميجى وحتى نهاية القرن التاسع عشر، لم تعقد سوى قرضين صغيرين. حيث تقدمت حكومة الميجى بطلبين للإقراض من لندن. تضمن الطلب الأول مليون جنيه إسترليني لإنشاء خط سكة حديدية يربط بين طوكيو ويوكوهاما عام 1870م وتضمن الطلب الثانى 2.4 مليون جنيه إسترليني لتصفية الزوائب المتوارثة التى كانت تتقاضاها طبقة الساموراي السابقة عام 1873م ولم تجد اليابان صعوبة فى تسديد الأصول والفوائد بسبب الجهود التى بذلتها الحكومة لتوحيد البلاد، والنهوض بالإقتصاد القومى، وتحسين الأنظمة النقدية والمالية.

وقد واصلت الحكومة الميجى سياسة التنمية الصناعية، والسير بخطى واسعة فى هذا الميدان وضار شعارها زيادة الإنتاج والنهوض بالصناعة، فاستقدمت المهندسين الغربيين واستعانت بالآلات الغربية وعملت الحكومة كذلك على إستيراد التكنولوجيا فى جميع المجالات، وسعت إلى الإستفادة من مهارات المتخصصين الأجانب فى تعليم اليابانيين. وأصبحت اليابان أشبه ما يكون بمعمل تجارب فى نظر مثقفى أوروبا فى القرن التاسع عشر، وسعى الكثيرون من المتخصصين فى مجالات العلم والتكنولوجيا إلى الذهاب إلى اليابان أثناء فترة الميجى، وفتحت اليابان أبوابها لمعظمهم دون تردد. وكانت التكنولوجيا يعتمد على عملية المحاولة والخطأ والتجريب، مما عرض حكومة الميجى بعد ذلك مرحلة إنتقاء التكنولوجيا وإختيار ما يتناسب منها مع أحوال البلاد الإجتماعية والطبيعية. وبعد مرور قرن ونصف قرن مرت خلالها اليابان بتجارب مريرة، وسلكت خلالها طريقاً شاقاً ومؤلماً، عدت اليابان تمتلك اليوم تكنولوجيا فائقة التقدم. وأصبح بمقدورها تصدير التكنولوجيا لهذه الدول التى اضطرت فيما مضى إلى إستيراد التكنولوجيا منها، ولغيرها من الدول (xiv).

ولما كانت اليابان صاحبة أعلى كثافة سكانية بين دول العالم الرئيسية، وتبلغ مساحة الأراضي الصالحة للزراعة سدس مساحة البلاد، وبالرغم من ارتفاع الإنتاج إلا أن ثلث إحتياجات اليابان الغذائية مستوردة، ويعتمد إنتاجها من المواد الغذائية على غلال المزارع الأمريكية الشمالية أكثر من اعتمادها على غلال المزارع اليابانية.

كما تستورد اليابان 85% من حاجتها للطاقة، فلا يوجد لديها بترول أو فحم حجرى أو أية ثروات معدنية أخرى، وهى تستورد أخشاباً من أمريكا الشمالية أكثر من نصف إحتياجاتها.

فى أواخر السبعينات بلغ إنتاج اليابان من الصلب تقريباً حجم إنتاج الولايات المتحدة منه، ولكن مصانع الصلب اليابانية كانت أكثر تطوراً وكفاءة. فمن بين أكثر وأحدث إثنين وعشرين فرنّاً عالياً لإنتاج الصلب فى العالم عام 1987 كان نصيب اليابان وحدها أربعة عشر فرنّاً مقابل لا شئ للولايات المتحدة، وبذلك إستطاع الصلب اليابانى بمصانعه المتطورة والأعلى فى إنتاجيتها أن يتفوق على الصلب الأمريكى فى المنافسة فى الأسواق الأمريكية فضلاً على الأسواق العالمية.

لقد غطت صناعة الساعات اليابانية على صناعة الساعات السويسرية الشهيرة وقضت صناعة الدراجات البخارية اليابانية على مثيلتها البريطانية وحتى الأمريكية وإضطرت المانيا للتخلى عن سيادتها فى صناعة آلات التصوير والعدسات لصالح الصناعة اليابانية التى فرضت سيطرتها على صناعة النظارات والبصريات أيضاً.

فى أواخر السبعينات إنخفضت تكلفة بناء السفن اليابانية الجديدة عن نظيرتها الأوروبية بنحو 20 إلى 30 % حتى إضطرت الدول الأوروبية إلى اللجوء إلى التدخل فى آليات السوق بفرض قيود للحد من عدد السفن المشتراة من اليابان، مما أجبر شركات بناء السفن اليابانية على تخفيف

إنتاجها، ومع ذلك فقد تفوق الأداء الياباني على الأداء الأوروبي الأمريكي مجتمعين في هذا المجال.

وبالنسبة لصناعة السيارات فقد بلغ إنتاج اليابان منها عام 1958م أقل من مائة ألف سيارة، في حين ظلت شركة الفولكس واجن الألمانية حتى بداية السبعينات تعتبر المصدر الرئيسي للسيارات الأجنبية في الولايات المتحدة الأمريكية.

إلا أن مبيعات شركة تويوتا، وشركة نيسان اليابانيتين للسيارات في الولايات المتحدة الأمريكية سرعان ما تفوقت على مبيعات الشركة الألمانية في السبعينات، بل أن شركة هوندا حلت عام 1987م محل شركة فولكس واجن لتصبح ثالث أكبر مصدر لسيارات الركوب للولايات المتحدة. وقد بلغ إجمالي ما صدرته اليابان للولايات المتحدة عام 1977م ما يزيد عن أربعة ملايين ونصف مليون سيارة بينما لم تصدر الولايات المتحدة لليابان إلا خمسين ألف سيارة.

ليس لدى اليابانيين أي عدااء للحضارات الأجنبية بل يمكن القول أنهم شغوفون بها، ولا يعتبرون الثقافة الأجنبية غريبة لهم، بل يأخذون منها ما يناسبهم، من هنا كان تعاملهم مع الحضارة الصينية في القديم، وكذلك مع الجيش الأمريكي في الحديث. أن عزلة الجزر اليابانية عن أنحاء العالم جعل الشعب الياباني متجانساً مؤمناً بالوحدة الوطنية، ويعلم من داخل ذاته أنه مختلف عن الدول المجاورة، فهو منفتح على كل ثقافة وسعيد بالحصول على كل شيء جديد. فقد أخذ من الصين الكتابة ومبادئ الطب والفلك، ولما حاول المبشرون نشر ديانتهم ونجحوا في جنوب اليابان، أغلقت الحكومة اليابانية الأبواب أمام الأجانب عدا قلة من الصينيين والهولنديين.

ولما جاء عصر الإمبراطور مييجي من عام 1868 حتى عام 1912م وهو العصر الذي يعتبر تحولاً حقيقياً في الحضارة اليابانية، فقد ألغى نظام

الإقطاع، ووضعت أسس الدولة الحديثة على نسق النظام الأوروبي وبدأت اليابان تقتبس الحضارة والمدنية الغربية.

واعتبر الانتصار الياباني على روسيا عام 1905 نقطة تحول في تاريخ اليابان وأصبحت اليابان بعد الحرب العالمية الأولى قوة كبرى، وساعد الاستقرار في الحياة اليابانيين على التطور، بل أن اليابان إنطلقت بعد الحرب الثانية تبنى ما خربته الحرب وتتفوق على الدولة التي هزمتها عسكرياً.

إن محافظة اليابانيين على استقرارهم جعل هذه البلاد رائدة في الإقتصاد العالمى. لقد أعاد اليابانيون المجد لبلادهم والقوة لمدينتهم التي أقيت عليها القنبلة الذرية.

لقد أصبحت هيروشيما مدينة عملاقة في المجال الصناعى تنتج السفن والسيارات والكيماويات وبعدها كانت رمزاً للدمار أصبحت رمزاً لانتصار الإرادة اليابانية (lxxxv).

أدى إنشغال الدول الأوروبية في الحرب العالمية الأولى إلى إفساح المجال أمام اليابان للتوسع في الأسواق الآسيوية، وأعتنت اليابان بسياساتها الخارجية للحفاظ على هذه الأسواق خاصة بعد التقدم الصناعى اليابانى الذى سيؤدى بالنتيجة إلى ضرورة التفتيش عن أسواق جديدة، والجواب هو القيام بالتوسع العسكرى ناحية الصين. لكن العقبة كانت في الوعى القومى الصينى المتصاعد، بل إن حكومة شيانج كاي شيك الصينية الوطنية حاولت أن تستعيد بعض المناطق الصينية التي كانت اليابان قد سيطرت عليها.

فى أيلول (سبتمبر) 1931م سنحت الفرصة الإستعمارية للتوسع اليابانى فى الصين عندما قامت مجموعة من الضباط اليابانيين بتدبير حادث على السكك الحديدية قرب عاصمة منشوريا؛ وكان هذا الحادث مبرراً لإجتياح منشوريا بأسرها وإقامة حكومة صورية فيها مؤيدة للسيطرة اليابانية.

لم تلتفت اليابان لعصبة الأمم المحتجة على هذا الإجتياح، بل انها انسحبت منها، مما جعل مكانة العصبة الدولية ضعيفة ومتأرجحة. وبالمقابل قوى الشعور الوطنى اليابانى بعد الإستيلاء على منشوريا.

وفى أوائل تموز (يوليو) 1937م نشبت معارك بين القوات اليابانية والقوات الصينية بالقرب من بكين، وطلبت حكومة شيانج كاي شك بتسوية شاملة لوقف الزحف اليابانى عليها. إلا أن اليابان ورفضت، وبدأت الحرب العالمية الثانية.

حققت اليابان إنتصارات سريعة فى الصين وسطاً، وشمالاً وسعت للإطاحة بالحكومة الصينية، ولكن الصينيين إستمروا بالمقاومة، ولم يجد اليابانيون منفذاً للخروج من هذا المستتقع إلا بتوسيع دائرة الحرب.

عارضت الولايات المتحدة الأمريكية السياسة اليابانية التوسعية، ولم تعترف بمكاسب العدوان اليابانى، وأدى توقيع المعاهدات اليابانية - الألمانية - الإيطالية إلى تزايد قلق وخشية الولايات المتحدة الأمريكية من النازية واليابانية.

وأمام توسع اليابان وإستيلائها على شمال فينتام فى عام 1940م وجنوبه فى عام 1941م قامت الولايات المتحدة بحظر شحنات النفط لليابان، الأمر الذى سيؤدى إلى تناقصه، وبالتالي تفكير اليابان بشن الحرب على إندونيسيا للإستيلاء على نفطها. وفى طريقها لذلك كان عليها الإستيلاء على بيرل هاربر لمنع البحرية الأمريكية من الوقوف حائلاً دون توسع اليابان فى الجنوب.

رغم إدراك اليابانيين للتفوق الكلى للولايات المتحدة الأمريكية إلا أنهم إعتقدوا أنهم بحربهم الخاطفة وإستيلائهم على كل غرب المحيط الهادى سيجعل إمكانية تحقيق نصر أمريكى أمراً بعيد التحقق.

دفع الهجوم على بيرل هاربر الأمريكيين للإستماتة فى الدفاع فقاموا ببناء قوى بحرية وبرية بسرعة أكبر ممن إستطاع اليابان تأمينه فى الوقت الذى كانت فيه السفن الأمريكية وغواصاتها تغرق معظم السفن البحرية التجارية اليابانية، مما جمّد اليابانيين مكانهم، وعزّ وجود المواد الخام اللازمة للصناعة، فأدت أمريكا بذلك ضربة قاتلة للصناعة اليابانية^(lxxxvi).

عرف اليابانيون بإستقلال الولايات المتحدة عام 1776 كما عرفوا بالثورة الفرنسية عام 1789م، وهذه التغيرات دفعتهم للقيام بحركة إصلاحية ثوابك الوضع العالمى، فكان لليابان عهد الميجى 1868 - 1912م والذى منه أعاد الكثير من الإقطاعيين السيادة للإمبراطور، وإعترفوا بأن اليابان يقودها الإمبراطور.

بعد قصف أقوى مركزين يابانيين فى حرب ساحقة أقام المنتصرون سلطة عسكرية، ثم بعد سبع سنوات تركت اليابان لنظام سياسى مختلف عن نظام الحكومة السابقة، فقد جرد الإمبراطور من أعلى سلطاته السياسية والعسكرية ولم يعد هو القائد الأعلى للقوات المسلحة وألغى نظام التجنيد الإلزامى، وأصبح رئيس الحكومة ينتخب مجلس النواب بدلاً من تسميته من الإمبراطور.

لقد أدخلت القوات الأمريكية تعليمات سياسية بإجراء إصلاحات شاملة، لقد كان دور الحلفاء فى اليابان نظرياً أكثر منه عملياً، فقائد قوات الحلفاء ماك آرثر الأمريكى كان يتصرف كممثل لقوى الحلفاء المنتصرة. لقد أنشئت لجنة الشرق الأقصى لوضع سياسة الإحتلال العامة، ولكن أمريكا كانت هى المسيطرة.

لقد اكتشف اليابانيون ان الأمريكيين لا يميلون للإنتقام بل أنهم كرماء، نظر اليابانيون إليهم كمرشدين لهم لأيام افضل بدلاً من ان يكون رد فعلهم لجيش الإحتلال وقائده معارضاً.

ولم يجد الأمريكيون من جهتهم في اليابانيين مقاومين حتى النهاية، بل وجدوا شعباً يحرص على التعاون لانتقاذ بلاده.

كان الهدف الأساسى للحلفاء هو نزع سلاح اليابان، لأن هذا السلاح كان يشكل مشكلة فى شرق آسيا، وتم جمع المدنيين، والعسكريين اليابانيين من المنطقة، ومن المحيط الهادى الذين بلغوا ستة ملايين ونصف، كما سرح الجيش، والبحرية ودمرت أسلحته وسفنه.

أعيد تشكيل الأحزاب القديمة بعد الحرب عام 1945 وأعيد إحياء حزبين تقليديين كانا موجودين قبل الحرب، وهما الحزب الديمقراطى، والحزب الليبرالى اللذان اندمجا تحت اسم أصبح الحزب الديمقراطى الليبرالى عام 1955م.

وبالمقابل كانت أحزاب اليسار الثلاثة وهى : الشيوعية، والإشتراكية، والإشتراكية الديمقراطية ضعيفة، وكل ما فعلته بالإضافة إلى الحزب المعارض الذى انشئ حديثاً والمسمى حزب الحكومة النظيفة، كل ما فعلته هو إبقاء أصوات المعارضة مفتتة، وضمنت بقاء الحزب الديمقراطى بالحكم لمدة طويلة، حتى قامت فى المدة الأخيرة الولايات المتحدة بالضغط على اليابان لتخفيض نسبة العجز التجارى وزيادة نفقاتها العسكرية، فجاء اليابانيون بأغلبية من الإشتراكيين إلى المجلس النيابى - الدايت - وكانهم بذلك يشيرون بطريقة غير مباشرة للأمريكيين بأن سياستهم مع اليابان قد تؤدى لوصول الإشتراكيين للحكم.

ولقد بدأ ظهرو التوتر السياسى يحيط بالعلاقات اليابانية الأمريكية منذ قامت أمريكا بالتدخل فى حرب فيتنام عام 1965م، وقد عارض معظم اليابانيون هذا التدخل، وشعروا بأن الأمريكيين أقحموهم فى هذه الحرب، وإندفع اليابانيون يطالبون بإعادة النظر بمعاهدة الأمن المعقودة مع الأمريكيين.

ومن الخمسينات وحتى السبعينات من القرن الماضي شهدت العلاقات السياسية الأمريكية اليابانية ثباتاً، ويعود سببه إلى التقدم الإقتصادي السريع ففي منتصف الخمسينات كانت اليابان قد إستعادت مستواها الإنتاجي قبل الحرب، وفي الستينات أصبحت ثالث قوة إقتصادية، وفي السبعينات إحتلت المرتبة الثانية في العالم.

نعم لقد إستغرقت عملية تحويل اليابان إلى دولة يطلق عليها اسم ((دولة صناعية)) مائة عام فقط (lxxxvii).

كانت اليابان قد وصلت في بداية القرن العشرين إلى مرحلة الإقتصاد ذي الدخل المتوسط، على أساس أنها واحدة من أشهر بلاد العالم تصديراً للنسيج مع القدرة على الإنتاج الحربي من السفن والطائرات.

وخلال منتصف القرن الماضي كان على اليابان أن تبني إقتصادها مجدداً بعد هزيمتها المروعة في الحرب العالمية الثانية، فقد شهد إقتصادها دماراً شبه كامل فعملت على إعادة بنائه عن طريق تشجيع التصدير والتصنيع، وزيادة الإنتاج الزراعي، فمن أجل تشجيع التصدير إعتمدت اليابان الحماية الجمركية، وخصصت العملات الأجنبية للإستيراد وطبقت نظام الجودة الصناعية الذي ساعد على التصدير الدائم، وصاحبت الجودة زيادة في الإنتاج الزراعي فقد إعتمدت الميكنة الزراعية بعد هجرة الشباب من الريف للمدن، وكفلت الحكومة شراء المحصول من الفلاحين بشكل يجعل دخلهم موزياً للعاملين في القطاع الصناعي.

وهنا ينبغي أن نشير إلى التطور المفاجئ الذي حصل في سياسة الولايات المتحدة تجاه اليابان قبل معاهدة الصلح معها، وذلك أن تدهور سياسة شيانج كاي شيك في أوائل عام 1949م جعل الولايات المتحدة تميل للتعاون مع اليابان كبديل لها في الشرق الأقصى مكان الصين، وأصدر مجلس الأمن القومي الأمريكي وثيقة بذلك ووافق الرئيس الأمريكي ترومان

عليها في مايو عام 1949م تلك الوثيقة التي عبرت عن رغبة أمريكا في إيجاد يابان قوية وإنهاء القيود حول تصنيع اليابان. كما أعلن الجنرال ماك آرثر في سبتمبر من نفس السنة أن اليابان صارت في وضع يسمح له بإبرام معاهدة سلام معها.

منذ منتصف السبعينات بدأت اليابان تتعرض لبعض المشاكل الطارئة التي يعود سببها الرئيس إلى أن عدداً كبيراً من السكان يعيش على مساحة ضيقة جداً من الأرض التي هي بدورها تفتقد الثروات الطبيعية، وعبرة عن جبال وغابات لا تصلح للزراعة أو السكن.

لم يكن أمام اليابان من مورد تعتمد عليه لبناء إقتصادها إلا الإنسان الياباني الذي استخدم وسيلة التصنيع ثم التصدير، وقد لعبت العوامل والظروف دورها في نجاح اليابان.

ومع تعاظم حجم الصادرات اليابانية بدأت الشركات الكبرى تفتح فروعاً ومكاتب تمثيل لها في جميع أنحاء العالم لتسهيل عمليات تصدير المنتجات اليابانية، ولم يقتصر دور الشركات التجارية على الوساطة التجارية فقط، وإنما امتد إلى كافة الأعمال الاستشارية، ودراسات الجدوى، وجمع المعلومات عن البلد الذي تتواجد فيه،

ففي معظم العواصم العالمية توجد مكاتب تابعة لوزارة الصناعة والتجارة الدولية اليابانية ومهمتها تقديم أفضل المعلومات لحكومات الدول الموجودة فيها، ودراسة أوضاعها الاقتصادية، والاجتماعية، وتقديم النصائح، والإرشاد للشركات اليابانية التي تتوى القيام بما شرع في هذه البلاد.

على الرغم من النجاح الهائل الذي تحققه الصادرات اليابانية إلا أن مستقبل اليابان الإقتصادي يتعلق بخبرائها. فمعظم الدول الأوروبية، والأمريكية ترى في التقدم الإقتصادي الياباني شبحاً يهددها. فكما فتحت

اليابان مركزاً تجارياً لبيع منتجاتها هددت معملاً منافساً لها بالإقفال. لقد بدأت نقابات العمال في الدول الأوروبية والأمريكية تطالب بفرض قيود مشددة على الصادرات اليابانية، وبدأت اليابان تشعر بخطورة الموقف فعملت على أن تحد من صادراتها طواعية منعاً لهذه المشاكل التي بدأت تتفاقم، وتتنذر بخطر أكيد.

ولا يمر موعد إجتماع السبعة الكبار دون ترقب، وحذر من اليابان، هذا اللقاء الذي هو عبارة عن محاكمة عسيرة للسياسة اليابانية الاقتصادية، ذلك أن جميع هذه الدول الصناعية تعاني من عجز في ميزانها التجاري بإستثناء اليابان، وتحاول هذه الدول حث اليابان على تقليص صادراتها، وزيادة وارداتها لتضييق فجوة العجز في ميزانها التجاري.

وعندما وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها وتركت اليابان خراباً وحطاماً، لم يفكر اليابانيون بتعمير الحجر فقط بل كانت بيد أخرى تبنى المصنع.

وقد شهدت فترة الخمسينات تغيراً بإستعمال الطاقة فقد إستعمل البترول بدلاً من الفحم الحجري، وأدى ذلك لتنمية صناعة جديدة هي البتروكيميائيات التي تزعمتها اليابان في هذه الفترة (lxxxviii).

قبل الحرب العالمية الثانية كانت الصناعة اليابانية تعتمد على النسيج، وكان الحرير الياباني الطبيعي يغزو العالم. وكانت اليابان تنظر إلى التصدير وكأنه حياتها، فاتبعت سياسة إغراق الأسواق العالمية بالسلع اليابانية ذات الجودة. وساعد على ذلك البرنامج الذي وضعت وزارة الصناعة والتجارة الدولية. كما أن ظروف الإقتصاد العالمي ساعدت اليابان على التقدم في تنفيذ برنامجها الصناعي.

وفى فترة السبعينات بدأت اليابان تعاني كغيرها من الدول الصناعية الكبرى من الظروف الاقتصادية الصعبة التى بدأ العالم يشعر بها، وخاصة من حيث استمرار تمويلها بمصادر بعد الحظر النفطى العربى عام 1967م.

إضطرت المؤسسات اليابانية إلى تبنى إستراتيجية جديدة فى السبعينات تقوم على تقليل عدد العاملين، وإعادة دراسة المواد المتوفرة، وتقليل حجم القروض. وقد نجحت هذه الإستراتيجية وحققت المؤسسات الصناعية اليابانية أرباحاً فى بداية الثمانينات هذه الأرباح أعادت الثقة للإقتصاد اليابانى بنفسه (lxxxix).

3- الأوضاع الإجتماعية

فقد جذب الإنتباه من بين هذه الأوضاع تطور التعليم فى اليابان حيث سار فى ثلاثة إتجاهات هى (xc) :

الإتجاه الأول : وقد تمثل فى الإستعانة بالعلماء والمعلمين الأوروبيين سواء أكانوا أعضاء البعثات التبشيرية أو العلماء المتخصصين فى اللغات الأوروبية وخاصة اللغتين الهولندية والإنجليزية. فعندما أمر الإمبراطور رعاياه فى ميثاق الأمة عام 1868م أن يطلبوا المعرفة فى كل مكان تدفقت أعداد من العلماء الأوروبيين إلى اليابان، ودعى إلى اليابان الخبراء الفنيين من كل الدول المتقدمة حيث وضعوا موضع الترحيب. وقد حلمت السفن القادمة إلى اليابان مئات المعلمين، والمستشارين، والفنيين الأجانب. وأصيب اليابانيون بحمى التحول إلى الغرب لدرجة أنه فى أوائل السبعينات من القرن التاسع عشر أنفقت الحكومة حوالى 30% من ميزانية وزارة التربية والتعليم على رواتب المعلمين الأجانب وعلى المعونات التى كانت ترسل للطلاب الذين كانوا يدرسون بالخارج. وكان هدف الحكومة الاسمى هو زرع الأنظمة

والمناهج الدراسية الغربية فى النظام التعليمى بدءاً بالمرحلة الابتدائية وحتى المستوى الجامعى.

الإتجاه الثانى : وتمثل فى ترجمة الكتب الاجنبية إلى اللغة اليابانية وإنشاء المدارس الحديثة، ويرجع الفضل الأول فى هذا السبيل إلى خبير أمريكى يسمى ((ماريون - سكوت)) Marion Scott أنشأ مدرسة للمعلمين للعمل بالمدارس الحديثة فى اليابان واستعان بكتبه التى تحمل أفكاره، وغيرها من الكتب الأمريكية بصفة خاصة والأوروبية بصفة عامة التى ترجمت إلى اليابانية، وكانت أهم الكتب التى نقلت العلم إلى اليابانيين مؤلفات كل من جان جاك روسو، وهربرت سبنسر، ودستوفسكى، وتولستوى الذين ساعدت أفكارهم فى زيادة وعى اليابانيين بأحوال العالم المحيط بهم.

الإتجاه الثالث : إرسال البعثات اليابانية إلى الدول الأوروبية المتقدمة لينهل أفرادها من العلوم الحديثة، وكانت وزارة التعليم تدقق فى إختيار أعضاء البعثات من أفضل العناصر الوطنية، وكانت معظم هذه البعثات يتم إرسالها إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وإلى بعض الدول الأوروبية مثل ألمانيا وفرنسا. ولقد كانت نظم التعليم فى عهدها الأول خاضعة لمؤثرات أمريكية كبيرة. ولكن هذه المؤثرات لم تلبث فى عام 1880م وما بعده أن تضاملت وحل محلها التأثير الألمانى. عندما شعر قادة الإصلاح اليابانى أن أساليب التربية الألمانية التى تركزت على الجوانب الخلفية التى تؤمن بأن هدف التعليم خلق الإدارة المستتيرة التى تميز بين الصواب والخطأ هو ما يناسب الطبيعة اليابانية الإجتماعية، فبدأت المناهج الألمانية تحل محل المناهج الأمريكية على يد أعضاء البعثات اليابانيين.

ونتيجة لتوفر العناصر الثلاثة : الإستعانة بالعلماء والخبراء الأجانب، وترجمة الكتب الأوروبية، وإرسال البعثات إلى الدول الأوروبية المتقدمة، نهض التعليم فى اليابان فى عصر الميجى فى شتى جوانبه. وقد ركزت

الحكومة جهودها فى السنوات الأولى على بناء البنية الأولى للمجتمع وهى الطفل، فاهتمت بالتعليم الإبتدائى، وأصدرت قانوناً للتعليم الإلجبارى عام 1872م وأتاحت فرص التعليم لجميع طوائف الشعب اليابانى. وتم إنشاء المدارس الإبتدائية، والمدارس المتوسطة، وقسمت البلاد إلى ثمانية مناطق تعليمية بكل منها 32 مدرسة متوسطة و110 مدرسة إبتدائية. بالإضافة إلى المدرسة الخاصة بإعداد المعلمين الوطنيين التى أنشئت بمعاونة خبير التعليم الأمريكى ((ماريون سكوت)) وتم إنشاء مدارس لتعليم البنات، وأرسلت الحكومة اليابانية بعثة من خمس فتيات إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وعند عودتهن عام 1872م، تم إنشاء العديد من مدارس البنات.

وبعد أن جعلت الحكومة التعليم إجبارياً، مضت فى تأكيدها للجانب النفسى والعملى للمعارف فأسست الجامعات. وكانت جامعة طوكيو أول جامعة قومية تقوم بتأسيسها عام 1886م وضمت كليات الآداب، والعلوم، والقانون، والهندسة، والطب والزراعة ثم إفتتحت عام 1897م جامعة ((كيسوتو)) وفى عام 1900م تأسست أول كلية للبنات لتعليم اللغة الإنجليزية، وفى نفس العام أدارت الدكتورة ((يوشيو كايابوى)) كأول طبيبة يابانية، أو كلية طب للنساء.

وإنسم التعليم فى بداية عصر الميجى بالإغراق فى الطابق الغربى، وقد بلغ هذا التأثير أقصى مدى له، وطالب البعض بضرورة إلغاء اللغة اليابانية الصعبة، وإستبدالها بلغة إنجليزية مبسطة تدرس للأطفال فى المدارس. وكان لتلك الآراء رد فعل شديد داخل اليابان تمثل فى التيار الذى ينادى بضرورة التحول، والتمسك بالطابع من أجل الحفاظ على الثقافة الوطنية اليابانية. وكانت المواجه، والتراضى، والإندماج بين تيار التحول إلى الطابع الغربى، وتيار التحول إلى الطابع اليابانى من أهم القضايا التى شغلت الأوساط التعليمية والدراسية فى اليابان خلال تلك المرحلة. وقد بدأ التعليم فى النصف

الثانى من عصر الميجى يتجه نحو التمسك بالطابع اليابانى وأصبحت كافة المواد الدراسية فى مراحل التعليم الإلزامية تدرس باللغة اليابانية. كما بدأت الجامعات تستبدل المعلمين اليابانيين بالمعلمين الأجانب إلى أن حل اليابانيون محل الأجانب فى نهاية الأمر.

وبذلك طورت اليابان نظامها التربوى إلى جانب إحتفاظها بثقافتها الوطنية، وإتجهت إلى الإهتمام بشئون العلم والتكنولوجيا التى أتاحَت للدول الأوروبية أن تصير قوى عالمية حديثة وكبيرة حتى تتمكن من اللحاق بركب التقدم الغربى وبذلك إستطاعت اليابان فى زمن قصير أن تسد الفجوة التى كانت تفصل بينها وبين الدول الأوروبية فى مجال التعليم، ويمكننا القول بأنها فاقت فى هذا المجال اليوم مثيلاتها فى الغرب الأوروبى.

وحقيقة الأمر، فإن إندفاع اليابانيين لتوسيع نطاق التعليم وتجويده كان بنفس إندفاعهم لزيادة ناتجهم القومى. وفى عام 1955م كان نصف الشبان اليابانيين يدخلون بالكاد فى مرحلة التعليم الثانوى ونسبة أقل من 10% يدخلون المؤسسات التعليمية فيما بعد المرحلة الثانوية، وعند حلول السبعينيات صار أكثر من 90% من كلا الجنسين (الذكور والإناث) يتمون مرحلة تعليمهم الثانوى مقارناً ذلك بنسبة 80% للشبان الأمريكيين. وكقاعدة عامة فإن كافة الشبان اليابانيين الذين يدخلون أية مدرسة يتمون تعليمهم فيها دون أى تسرب. وفى عام 1975م على سبيل المثال كان 97% من الطلبة اليابانيين الذين إلتحقوا بالتعليم الثانوى قد أتموا دراستهم فيه بالمقارنة بنسبة 79% فى أمريكا. وهذه نسبة مرتفعة جداً على المستوى العالمى. وبالنسبة لمرحلة ما بعد التعليم الثانوى فإن نفس العدد من الذكور والإناث يلتحقون بالتعليم العالى، ولكن الأغلب أن يستكمل الإناث سنتين أخريين فقط فى المعاهد الجامعية، ولكن يكمل الذكور تعليمهم فى كليات لأربع سنوات.

على أن الطلبة اليابانيين لا يكتفون بمجرد الحضور في فصول المدرسة لساعات أطول في اليوم، ولأيام أكثر في السنة عما عليه الحال في المدارس الأمريكية مثلاً، ولكن ما يزيد على نصف الشبان اليابانيين يلتحقون ببعض الوقت في مدراس تكميلية خاصة تسمى (الجوكو) (Juku) بالتوازي مع حضورهم سنوات الدراسة في المرحلتين الابتدائية، والثانوية لمزيد من التدريب. وهذه المدارس التكميلية لها أشكال وأحجام متعددة، والهدف منها تحسين الفرص أمام الطلاب للدخول في مسابقات تعقدها المدارس ذات الشهرة في مستوى تعليمها والتي يتوق الطلاب إلى الإثراء للدراسة فيها. وغالبية الطلاب لديهم فكرة كاملة عن أي المؤسسات التعليمية يمكن أن يقيئوا أنفسهم لدخول المسابقات اللازمة للإلتحاق بها إذا ما أعدوا أنفسهم بدقة أو عوامين. وأصبح نظام المسابقات هذا سمة معروفة في نظام التعليم الياباني. وحين ينقضى موعد إمتحانات الدخول هذه فإن حوالي 18% من الذكور، ونسبة للإناث ممن لا يحالفهم الحظ في اجتياز هذه الإمتحانات للمؤسسات التعليمية التي يتوقون للإلتحاق بها فإنهم قد يظلون بإصرار لسنة أو أكثر دون إثراء في أية مؤسسة تعليمية للتحضير لمحاولة أخرى لإمتحان مسابقة الدخول هذه (xci).

ومن العجيب أن إمتحانات المسابقات تهدف إلى قياس مدى المعلومات المكتسبة تأسيساً على فرضية تلقى قبولاً عاماً في اليابان. وهي أن النجاح لا يعتمد على الإمكانيات الفطرية للطلاب، وعلى مدى إستعداده العام ولكن يعتمد بالأحرى على مدى إستخدامه لإمكاناته الفطرية في الدراسة المنتظمة. فمن المسلم به أن تأثيرات البيئة يمكن أن تؤثر على الإمكانيات الفردية لاستيعاب المعلومة، ولكن بالنسبة لوجه النظر اليابانية فليس هناك سوى طريق واحد لتحقيق الفوز هو الإستذكار.

بيد أن تفوق الطالب الياباني في المرحلتين : الأساسية والثانوية يأتي من واقع أن هذا الطالب يحضر في المدرسة ما يزيد عن الطالب الأمريكي بمقدار الثلث فهو يحضر بالمدرسة 240 يوماً في السنة في حين يحضر الأمريكي 180 يوماً، فهذا الطالب الياباني الذي يقضى وقته في محاولات مستميتة للتفوق على نفسه عن طريق المسابقات من ناحية، والمدارس التكميلية من ناحية أخرى كان من الطبيعي أن يتفوق على نظرائه على المستوى العالمى. ولا غرابة إذن أن الشبان اليابانيين في الإختبار الدولى للعلوم (International Science Test) للشبان من أعمار عشرة إلى أربعة عشرة عاماً ويشمل 19 دولة صناعية أحرز هؤلاء الشبان اليابانيون تفوقاً ظاهراً على أقرانهم من الدول الأخرى. وقد أحرز الشبان اليابانيون من أعمار عشر سنوات الترتيب الأول في الإختبارات التمهيدية (subtests) في علوم الأرض، والكيمياء، والبيولوجى، وأثبتوا أنهم الأوائل فى الفهم والتطبيق، وفى العمليات الذهنية ذات المستوى الأعلى. أما الشبان اليابانيون من عمر 14 عاماً فقد جاءوا فى المرتبة الثانية بعد أقرانهم من المجريين فى علم الأحياء، ولكن جاء ترتيبهم الأول فى الطبيعة والكيمياء، والتطبيقات العملية.

ومن السمات المميزة لنظام التعليم الياباني هو أن المدراس فى طول اليابان وعرضها تتعهد بضمان أن كل تلميذ يكون قد حقق بالفعل فى نهاية كل مرحلة دراسية حداً أدنى من المستوى التعليمى ولا يستثنى من ذلك تلميذ واحد. وليس هناك أى تسرب تعليمى فى أى مرحلة من المراحل أو سنة من السنين رغم أن ذلك يشكل عبئاً ثقيلاً على المدرسين. ونجد الأمريكيين مثلاً أكثر استعداداً للقبول بحرمان بعض الطلبة المتعثرين من التعليم فى حين يبذل المدرس الياباني قصارى جهده ليضمن إلى أن كل طالب فى الفصل قد حقق مستوى معيناً قبل نهاية العام الدراسى، ويعمد المدرس فى هذا الخصوص إلى حشد جهد الطلبة الآخرين، وأولياء أمور الطلبة المتعثرين

لأن المدرس الياباني يعتبر نفسه ليس مسئولاً فقط عن تقديم المادة العلمية للطلاب وإنما مسئولاً كذلك عن التأكد من أن الطالب قد استوعب علومه بالفعل.

ونظراً لدرجة التجانس غير العادية في الشعب الياباني، وبالتالي في مؤسساته التعليمية يضاف إلى ذلك نوعية عالية من التعليم، والتدريب للتلاميذ في مرحلتى التعليم الأساسى، والثانوى اللذين توليهما اليابان أهمية قصوى، فإن ذلك يزود اليابان بإمدادات لا تبارى من القوة العاملة مهيأة للعمل في الشركات الصناعية التى تتلقفهم وتصلقهم بمهارات أكثر تخصصاً في مواقع العمل.

وعلى أية حال فقد درج الياباني على النظر إلى العمل اليدوى على أنه لا يتضمن أى قدر من المهانة بعكس الحال في بعض الأقطار الأخرى، فالمدارس اليابانية على سبيل المثال تستخدم أعداداً أقل في أمور النظافة بالمقارنة بالمدارس الأمريكية، وذلك لأن المدرسين والطلبة يتقاسمون العمل الخاص بالنظافة في مدارسهم.

ولكى يتضح لنا الأثر الحاسم الذى تركه النظام التعليمى في تهيئة اليابان لإنطلاقها وتحقيق ((معجزتها)) التى أثارت إنتباه الباحثين في العالم فأننا نتعرض إلى تركيبة المجتمع الياباني وكيف تأثرت تأثراً جذرياً بشكل مهد الطريق أمام إنطلاقة هذا الشعب في المجالين الصناعى والتكنولوجى وبالتالي الإزدهار الإقتصادى.

فلقد تميزت تركيبة المجتمع الياباني منذ نشأته الأولى بميل فطرى واضح إلى أن ينقسم هذا المجتمع رأسياً إلى مجموعات ((هيراركية)) هرمية على حساب العلاقات الأفقية. هذه التقسيمات الطبقية بدأت تخف حدتها منذ أجبر الغرب اليابان على فتح أبوابها للمؤثرات الغربية في منتصف القرن التاسع عشر كما رأينا في الفصل الأول. وواقع الأمر، فإن هذه التقسيمات

الطبقية الصارمة قد بدأت في التلاشي بفضل تنفيذ النظام التعليمي الموحد على مستوى اليابان بأسرها - هذا النظام التعليمي الموحد قد حول اليابان إلى واحدة من أشد المجتمعات مساواة في العالم. فالتعليم الإلزامي من ناحية، والإمتحانات الصارمة من ناحية أخرى جعل اليابان تتحول من مجتمع إقطاعي يستند على الطبقة والمحسوبية إلى مجتمع يستند على الكفاءة والمقدرة. كذلك يرجع الفضل للنظام التعليمي الذي بدأ منذ عهد الميجي إلى علو نسبة الملمين بالقراءة والكتابة بدرجة تجعل اليابان في مصاف أعلى الدول في هذا المجال. وهو الأمر الذي يسر على اليابان منذ بداية نهضتهم مجابهة التحدي أمام أساليب الغرب التكنولوجية وقدرتهم على تنويع مركز القيادة اليوم في عديد من المجالات. والحقيقة الواضحة أيضاً أنه لم يكن هناك عامل مركزي هام في نجاح اليابان الحديثة أكثر من نظامها التعليمي^(xcii).

وواقع الأمر، أنه حتى في أواخر عهد شوغونية التوكوجاوا كان اليابانيون قد تجاوزوا كلاً من الصينيين والكوريين في القراءة، والكتابة، والمؤسسات التعليمية. ولكن معظم التعليم في عهد التوكوجاوا كان تعليمياً خاصاً في غالبية. وبخلاف أواخر القرن التاسع عشر كانت معظم الإقطاعيات ملحقة بها مدارس خاصة ((بالدوميين)) الإقطاعي تخص طبقة الساموراي النبيلة، وكان هناك ما يزيد على الألف ((أكاديمية)) خاصة يلتحق بها بعض أعضاء الشعب جنباً إلى جنب مع شبان الساموراي. وإلى جانب ذلك كانت توجد عشرات الألوف من المؤسسات التعليمية التي أطلق عليها اسم التيراكويّا (Terakoya) كمدارس للمعبد نظراً لموقعها إلى جانب المعابد البوذية.

وقبل حلول منتصف القرن التاسع عشر أيضاً كان هناك أكثر من 45% من السكان الذكور يجيدون القراءة والكتابة، ونحو 15% من الإناث يجيدونها. وهذه النسب لم تكن تقل بحال من الأحوال عنها في أشد دول العالم الغربي تقدماً في ذلك الوقت. وعموماً فإنه في عام 1907م تمكنت اليابان من

إدخال كافة أبنائها إلى المدراس، وكان الإلتحاق بالتعليم إجبارياً، وبالمجان تماماً خلال السنوات الدراسية الستة بدأ يتشكل النظام التعليمي للصفوة عبارة عن خمس سنوات للمدارس المتوسطة ينفصل فيها الذكور عن الإناث، ويسير معها بالتوازي، ولمدة خمس سنوات كذلك نوع آخر مع التعليم الفني (الأدنى)، ثم بعد ذلك ثلاث سنوات للتعليم الثانوي الأعلى (High School) للذكور فقط على غرار ما كان متبعاً في مدارس الجيمنازيوم الألماني أو اليسية الفرنسية. ثم هناك مدارس للتعليم الفني (الأعلى). وفي النهاية، كان هناك التعليم الجامعي لثلاث سنوات أو أربع طبقاً لنوع التخصص. وكانت المدارس الثانوية الأعلى High Schools بمثابة فترة إعداد للتعليم الجامعي.

وبعد الحرب العالمية الثانية أعيدت بنية التعليم الياباني من جانب قوات الإحتلال لكي تتواءم مع أسلوب الفكر الأمريكي، ولكي لا تغلب على نظام التعليم الياباني سمة تعليم الصفوة مع أسلوب الفكر الأمريكي ليكون من ثم أكثر ملاءمة لنسق المجتمع الياباني الجديد الذي يولي جماهير الشعب اهتماماً أكبر. وبدلاً من نظام ستة / خمسة / ثلاثة ، الذي كان سائداً قبل الحرب فإن العدد المقابل بالنسبة لمراحل التعليم : أصبحت على التوالي : التعليم الأولي ثم الأوسط والأعلى، ثم الجامعة أي حل محله النظام التعليمي الأمريكي : ستة / ثلاثة / أربعة أي ست سنوات أولية ثم ثلاثة للمدارس الثانوية الأولى (Junior High School) وجعلته مجانياً تماماً، وحصيلة ذلك أن أصبح اليابانيون من أعلى شعوب العالم في التعليم، وعلى الرغم من أن مستوى التعليم الجامعي أضعف بعض الشيء عنه في الولايات المتحدة، فإن الشعب الياباني يستوعب أكبر قدر من التعليم الرسمي في المتوسط عما يستوعبه أي شعب آخر. ورغم أن المستويات العامة للإنجاز التعليمي لا يتسنى بسهولة قياسها على مستوى العالم نظراً للحواجز اللغوية فإن اليابانيين مع ذلك وبخاصة في مجالي الرياضيات، والعلوم يحتلون المركز الأول في غالبية مباريات الإنجاز الدولية في هذين المجالين.

والآن تؤكد الإحصائيات الرسمية أن الهيكل التعليمى المدرسى اليابانى الإجمالى الذى يتكون من نحو 1.3 مليون مدرس يتولون التدريس لنحو 27 مليون تلميذ تضمهم 66.000 مدرسة تقع بكاملها تحت السيطرة الدقيقة والصارمة لوزارة التعليم من ناحية، ووضع البرامج الدراسية، والكتب المدرسية، ومرتبات المدرسين ومكافآتهم وعلى الرغم من تلك الصرامة، ووحدة المناهج مما قد تجده كثير من المجتمعات الأخرى كنوع من القهر - إلا أن الحقيقة، أن الكل يسعى إلى التوصل إليها. ومما يدل على العناية الفائقة بالتعليم هو أن الغالبية الساحقة من الأطفال اليابانيين (92%) منهم يحضرون دوراً للحضانة حيث تبدأ العملية التعليمية فى مرحلة مبكرة. وكل فرد يابانى يتلقى على أقل القليل تسعة سنوات من التعليم الأساسى الإجبارى. ثم تتخرط الغالبية العظمى فى التعليم الثانوى، وهى نسب تتفوق على كل الولايات المتحدة وبريطانيا، وغالبية الأقطار الصناعية المتقدمة الأخرى، ونتيجة ذلك هو أن ليس من اليابانيين الآن من لا يجيد القراءة، والكتابة سوى نسبة شديدة الضالة تبلغ 0.7%.

ومرة أخرى فإن حصيلة هذا النظام التعليمى الصارم فى المرحلتين الابتدائية والثانوية هو أن الشبان اليابانيين يحققون فوزاً ساحقاً فيما يسمى الآن بالإختبارات العالمية ذات القياس الموحد (International Standardized Tests) التى تقيس القدرات الحسابية أو العلمية (خصوصاً وأن جانباً كبيراً مما يدرسه فى هذه المجالات وحتى فى مستويات إختبار الذكاء الموحد، فإن الطالب اليابانى المتوسط يسجل 117 نقطة بالمقارنة بما يسجله الطالب الأمريكى والأوروبى وهى 100 نقطة.

يلاحظ أنه بالنسبة للتعليم العالى فى اليابان أن الإهتمام لم يكن بنفس القدر الذى وجه للمراحل التعليمية الأولى، فلم يكن نصيبه فى مجمل ما تم تخصيصه للتعليم إجمالاً يمثل ما تخصصه الدول الصناعية الكبرى من

إجمالي ميزانية التعليم لديها للتعليم العالي. لذلك فإن الجامعات اليابانية لم تحرز تفوقاً مبهرًا في الأبحاث. ممثلًا في عام 1987م لم تحصل اليابان إلا على أربعة جوائز نوبل في العلوم مقارنةً بذلك بما حصلت عليه الولايات المتحدة وهو 142 جائزة من هذا النوع. على أن الأمر قد يشهد تغييراً في المستقبل القريب بدأت اليابان تخصيص مبالغ أضخم للأبحاث الصرف عما كان عليه الحال فيما مضى (xviii).

وفي الوقت الذي نرى فيه الحركة عازمة لمحاكاة الحضارة الغربية بأجلّ معانيها فإن ذلك لم يشمل المسائل السياسية من قريب أو بعيد ولم يكن يسمح لأحد بأن يمارس الحريات سوى حرية التعبير، أما باقي الحريات الأخرى التقليدية بالنسبة للعالم الغربي، فلم يكن يتسنى الاعتراف بها، بل إن حق الانتخاب العام (Sufrage Universet) لم يصبح حقيقة واقعة سوى في عام 1925م.

أما عن الدين والدولة فحقيقة الأمر أن الديانة حسب مذهب ((الشنتو)) قد تم إعلانها ديانة رسمية لليابان عام 1868م، وأصبح الإمبراطور شخصية مقدسة، كما صارت اليابان ((أرض الآلهة)) في نظر اليابانيين كناية عن تقديس توابها، ولقد كان مذهب الشنتو في أصله عبارة عن مزيج من عبادة الطبيعة والسلف، ثم تطور ليقوم على نظريات توضح كيف أن ((إيزانا)) أبو السماء، و((إيزامي)) أم الأرض قد أنجبا جزر اليابان المقدسة كما أنهما أنجبا كذلك عدداً لا حصر له من الآلهة، وتضمن مذهب الشنتو كذلك أن ((أما تيراسو)) أو ((ميكامي)) إحدى بناتها - إلهة الشمس - أرسلت حفيدها فيما بعد ليؤسس أسرة تتولى حكم اليابان إلى الأبد.

وعندما دخلت الديانة البوذية أرض اليابان في القرن السادس الميلادي أخذت الشنتو في الانحسار حتى أصبحت معابدها تحت إدارة البوذيين وإشرافهم، وإستطاع كهنة البوذية أن يربطوا هيئات الشنتو ببعض المقدسات

تتنمى إلى طقوسهم ولكن ذلك لم يكن يعنى القضاء الكامل على مذهب الشنتو، وإنما استمرت أغلب المعابد الكبرى تتلقى الدعم والمساندة من الهيئات المختلفة. وحدث فى نهاية عهد ((شوجنية)) التوكوجاوا حركة إنتعاش ماذى تأسست على أثره عدة طوائف فى أوساط الشعب اليابانى عدين لمذهب الشنتو بالولاء.

ومما يجدر ذكره أن إنتعاش مذهب الشنتو خلال عهد شوجنية التوكوجاوا كان وبالا عليهم، وصار هذا الإنتعاش عنصراً هاماً من عناصر الإطاحة بالشوجنية ذاتها، إذ أن مذهب الشنتو كان يؤكد على الحق الإلهى للإمبراطور فى حكم اليابان وهذا وفر السند الشرعى فكان الإطاحة بحكم الشوجنية بسهولة ويسر، وذلك حينما أعلن الإمبراطور أنه سوف يحكم البلاد حكماً مباشراً دون الإستعانة بخدمات الشوجنية.

ولكن روى لكى يكون مذهب الشنتو عقيدة رسمية للدولة أن يتم فصله عن البوذية، وفروصها، وكانت الخطوة الأولى فى هذا السبيل هى توخى الدقة والعناية بفصل طوائف الشعب اليابانى المعتقدين لمذهب الشنتو عما سواهم. وعلى أن حكومة الميجى أخذت بإتجاه مناهض البوذية فانسحب أعضاء أسرة الإمبراطور من الطوائف البوذية وصدرت التعليمات الإمبراطورية بمنع حفلات البوذية داخل القصر الإمبراطورى وإعتدى الغوغاء على معابد البوذية. ولكن منذ عام 1872م تولد لدى اليابانيين إقتناع بتغلغل البوذية، وتمشيها بالتوازي مع مذهب الشنتو بل وإمتزجت العقيدتان فى عقلية الرجل اليابانى العادى إلى الحد الذى لا يمكن فيه المساس بإحدهما دون الإضرار بالأخرى.

لذلك رأت الحكومة التخلّى عن سياسة القمع التى كانت نتهجها شوجنية التوكوجاوا إزاء البوذية، ونشير فى هذا الصدد إلى أن موقف الدولة فى عصر الميجى من المسيحية لم يكن أقلّ عداء من العصر الذى سبقه إذ

واصلت الحكومة اليابانية سياسة القمع التي كانت تتتهجها التوكوجاوا. ولكن الحكومة اليابانية رأت بثاقب نظرها أن هذا الموقف إزاء المسيحية سوف يضر بالعلاقات الخارجية لليابان خاصة مع الغرب لذلك عمدت إلى الإفراج عن الأربعة آلاف مسيحي الذين كانوا معتقلين في السجون اليابانية.

ثم تخلت الحكومة اليابانية تدريجياً عن قمع الديانات الأخرى في سبيل تركيز جهودها نحو إنشاء نظام ديني رسمي للدولة. وحتى حلول عام 1930م كانت الحكومة اليابانية تتولى بنفسها أمر 50.000 كاهن وترعى شئون نحو مائة ألف معبد كانت مرتبة في 12 طبقة يتبوا أعلاها المعبد الأكبر في ((إيز)) وكان مكرساً لآلهة الشمس. وعملت حكومة الميجي من جهة أخرى على استخدام نظام التعليم الذي أنشأته حديثاً بالإضافة إلى سائر وسائل الدعاية لنشر العقائد الثلاثة للنظام الديني الجديد من أجل تعميق فكرة تقديس اليابان، وكانت هذه المرتكزات العقائدية الثلاثة هي :

أ- أن الإمبراطور إله مقدس لأنه إمتداد لأجسام وأرواح الآله العظيمة الماضية، وخاصة تلك التي تنتمي إلى روح الشمس.

ب- أنا اليابان تحظى بالرعاية الخاصة من لدن الآلهة ولهذا فإن ترابها وأهلها ومؤسساتها فريدة من نوعها وتسمو على ما سواها.

ج- إن لليابان رسالة مقدسة وهي : ((جمع العالم بأسره تحت سقف واحد)) (هاكو - ايشي - يو).

وبذلك يتاح لسائر البشرية ميزة التمتع بحكم الإمبراطور، وسارت الحكومة في عام 1869 على سياسة تقديس أرواح كافة من ماتوا في سبيل الإمبراطور (xciv).

وكان من الطبيعي أن التغييرات التي أصابت الحياة بمختلف جوانبها في اليابان تنعكس على الحياة الاجتماعية فظهرت المطاعم الجديدة التي تقدم

الاطعمة الغربية مثل لحوم البقر وبأدوات مائدة غربية، بعد أن كان اليابانيون يحرمون أكل لحوم البقر لكونه يتنافى مع التعاليم البوذية، كما ظهر الشباب الياباني مرتدياً الملابس الأوروبية. كما ظهرت الملابس الأوروبية فى مراسم البلاط والحفلات الرسمية منذ عام 1872م.

ومن المظاهر الغربية فى الحياة الإجتماعية اليابانية ظهور الطراز الأوروبى فى البناء. وشجع الإمبراطور الناس على ذلك بدعوى أن الطراز التقليدى اليابانى لم يعد صالحاً مع التطور الحادث فى شتى نواحي الحياة اليابانية، كما بدأت تدخل التعبيرات الغربية فى أحاديث الناس، والتأثيرات الغربية فى عادات اليابانيين التى جعلت العادات المتأثرة بالطقوس البوذية تضعف أمامها.

ولقد كانت المشكلة الكبرى التى صاحبت دخول الثقافة الغربية هى اضطراب القيم حيث شهدت اليابان فترة من الزمان كان الشعب خلالها يقلل من شأن التراث الثقافى التقليدى، ولا يقنع إلا بما هو جديد. وكان الحظر الكامن فى هذه العملية يهدد بالقضاء على الوحدة الإجتماعية، والثقافية، والروحية للبلاد.

وقد حاول قادة الفكر فى مواجهتهم لهذا الخطر، أن يجدوا المخرج فى الشعارات التالية : ((الروح الشرقية والفنون الغربية)) و((الروح اليابانية والعلوم الغربية)) ولكن هذه الشعارات فى الواقع لم تكن ذات أثر كبير نظراً لأن الحضارة أو الثقافة كل لا يتجزأ، وأنه من المستحيل تبنى الواجهة العلمية أو الفنية لتلك الحضارة، واستيفاء الباقي ولهذا السبب كان من المحتم عند إدخال الثقافة الغربية إلى اليابان أن تتصارع القيم الواردة من الغرب مع قيم الثقافة اليابانية التقليدية، وقد أدى ذلك إلى الإضطراب. ولما كانت القيم ذاتها نتاج تاريخ طويل، فإنه لم يكن من السهل خلق قيم جديدة الأمر الذى أدى إلى تفسخ الأوضاع القديمة تدريجياً ومن ثم ((ضياع ضمير الشعب

الياباني وإخلاصه)) على حد تعبير الكاتب الياباني الشهير ناتسومي سوسيكى (1867-1916) وبالرغم من ذلك فقد كان دخول الثقافة الغربية إلى اليابان مسألة حيوية للغاية حتى ولو كان ثمن ذلك حدوث بعض الإضطرابات فى القيم، إذ لم يكن هناك مجال للتراجع على الإطلاق، وقد أثبتت النتائج النهائية نجاح تلك السياسة نجاحاً منقطع النظير، حيث ساهمت فى إنطلاق المجتمع اليابانى نحو التقدم.

ومن إيجابيات هذه التغييرات فى الحياة الإجتماعية إنتشار حركة التعليم ومحو الأمية بين اليابانيين، وظهور فكرة تحرير المرأة على النسق الأوروبى، وظهور أفكار تحررية للمثقفين اليابانيين على صفحات الصحف، وظهور محلات بيع الكتب وشيوع مبدأ التسامح الدينى، وغير ذلك من مظاهر اجتماعية حديثة، وقد أحدثت هذه التغييرات هزة فى عقول ونفوس اليابانيين ووجدت رفضاً وإنكاراً من البعض الذين ساروا ضد المبادئ والعادات المستورة ولكن عجلة الحياة الحديثة إستمرت فى طريقها لتصبح اليابان قوة عظمى فى شرق آسيا تتطلع لجيرانها^(xcv).

رابعاً: التوسع اليابانى فى الصين

1- الحرب اليابانية - الصينية (1894-1895م)

كانت أولى المعارك التى إستخدمت فيها القوة اليابانية الحديثة هى الحرب مع الصين بشأن كوريا. إذ حدث فى عام 1894 أن تدخلت الصين تدخلاً عسكرياً لإخماد الثورة فى كوريا نظراً لأن كوريا كانت تابعة لإشرافها، ولكن اليابان لم تقبل هذا التدخل الحربى من قبل الصين خصوصاً وإن اليابان بعد الانقلاب الصناعى الكبير وجدت حاجة الأراضى اليابانية لا تستوعب كل هذا الإنتاج الضخم من المصنوعات ووجدت أنها فى حاجة إلى

إيجاد أسواق خارجية لتصريف تلك المنتجات، ولهذا فإنها في حاجة إلى التوسع، والفتح، وكانت الأزمة الكورية فرصة ذهبية لليابان لتحقيق تلك السياسة. فدخلت في حرب مع الصين، وانتصرت انتصارًا حاسمًا بسرعة مذهلة أرغمت الصين على الاعتراف باستقلال كوريا وعلى التنازل عن جزيرة فرموزا، وميناء بورت آرثر (على رأس شبه جزيرة لياونجتج) وغرامة حربية قدرها 200 مليون من الينيات وذلك بمقتضى معاهدة شيمونسكي Shimonseki 17 أبريل 1895، ولكن ضغطت الدول الأوروبية وهي ألمانيا وروسيا وفرنسا على اليابان للتنازل عن ميناء بورت آرثر في نظير زيادة في الغرامة الحربية فاضطرت اليابان إلى الرضوخ لمشورة تلك الدول .

وبعد أن فرغت اليابان من صراعها مع الصين أخذت تستعد للصراع المتوقع بينها وبين روسيا نتيجة لتنافسها على المصالح في الشرق الأقصى . وأرادت اليابان أن تحمي ظهرها وأن تضمن معاونة إنجلترا أو وقفها على الأقل على الحياد في الصراع المتوقع بينهما وبين روسيا، ونجحت في عقد تحالف مع إنجلترا مدته عشرين عاما في سنة 1902 تعهدت فيه الدولتان بمساعدة الأخرى في حالة دخولها في حرب مع دولة أخرى .

وقد ساعدت الظروف الدولية على إخراج هذا التحالف إلى حيز الوجود، فإنجلترا قد وجدت نفسها في عزلة سياسية بعد إحتلالها لمصر سنة 1882 وفرنسا قد غضبت لإنفراد إنجلترا بهذا العمل دون إشراكها فيه، فالعلاقة بين الدولتين ساءت إلى حد كبير، وبلغت ذروتها في حادثة فاشودة سنة 1898م. وفي نفس الوقت فشلت الحكومة في عقد إتفاق مع ألمانيا التي بدأت في تحدى سيادة إنجلترا الحربية بزيادة عدد قواتها البحرية، وإنشاء أسطول حربي قوى ينافس قوة إنجلترا البحرية في بحر المانش.

هذا من ناحية الموقف السياسى فى أوربا، أما إذا إنتقلنا إلى منطقة الشرق الأقصى نجد أن اليابان بدأت تظهر كقوة لها خطرها فى توجيه سياسة تلك المنطقة، وفى محاولة السيطرة على إقتصادياتها على حساب المصالح الإنجليزية. وفى نفس الوقت فهى تتظر بعين القلق إلى تقدم روسيا نحو الشرق الأقصى، وتدخلها فى شئون الصين، ومحاولة بسط نفوذها على تلك المنطقة. وقد أثر هذا بطبيعة الحال على مصالح إنجلترا فى الشرق الأقصى.

ولما كانت اليابان تتفق مع إنجلترا فى نظرتها إلى خطورة توغل النفوذ الروسى فى الشرق الأقصى على مصالحها الإقتصادية والسياسية، رأت الدولتان ضرورة الدخول فى حلف مشترك لحماية تلك المصالح. وكان هدف إنجلترا من عقد هذا الحلف دفع الخطر الروسى من ناحية، وتأمين مصالحها فى الشرق الأقصى ضد اليابان نفسها من ناحية ثانية، وتدعيم مركزها فى أوربا عن طريق سحب بعض قواتها البحرية من الشرق الأقصى، والإنتفاع بها قريباً من تلك المعاهدة الإعتماد على حليف قوى ضد تتدخل أية دولة أوربية فى صراعها المقبل مع روسيا.

وتلى تلك الخطوة إعلان الحرب على روسيا فى عام 1904، فقامت إنجلترا وأمريكا بتمويل اليابان لمساعدتها على مواصلة الحرب، فاستولت اليابان على بورت آرثر ومالت كل من ألمانيا وفرنسا إلى التدخل لصالح روسيا أسطولاً حربياً مكوناً من 29 سفينة حربية عبر قناة السويس لمواجهة الأسطول اليابانى فى المياه اليابانية، وحدثت بين الأسطولين معركة فاصلة تسمى معركة بحر اليابان فى مايو سنة 1905م إنتصر فيها الأسطول اليابانى على الروسى وكانت خسارة الأسطول الروسى كبيرة بلغت 4 آلاف قتيل و7 آلاف أسير ولم ينجوا من الأسطول الحربى الروسى سوى ثلاثة سفن حربية فقط. وإنتهت بعقد معاهدة بورتسموث فى 5 أغسطس سنة 1905م بين الطرفين.

وبهذه المعركة الحربية ظهرت اليابان أمام العالم كقوة حربية خطيرة في الشرق وكانت بحق نقطة تحول في تاريخ اليابان الحديث. وقد وضعت تلك الحرب حداً لمطامع روسيا في الصين، وكذلك للتدخل الأوروبي في الشرق الأقصى فاعترفت روسيا بمركز اليابان المتفوق في كوريا، وكانت هذه خطوة أولى لضمها نهائياً في عام 1910م.

ترتب على إنتصار اليابان على روسيا نتائج خطيرة بالنسبة للموقف الدولي في كل من أوربا والشرق الأقصى ففي أوربا ضاعت هيبة روسيا كدولة كبيرة لها وزنها في السياسة الأوروبية والعالمية، فلم تصبح العقبة في سبيل ألمانيا والنمسا في شئون البلقان، فروسيا كانت تدعى بصفتها الدولة الصقلبية الكبرى بحماية مصالح البلقانيين أو الصقلابة كما كانت تطلق عليهم. كما أن فرنسا التي كانت تعتمد على تحالفها مع روسيا في مقاومة الإحتلال الإنجليزي لمصر، وفي دفع الخطر الألماني عن نفسها، وجدت أن الأهمية إمكان تغيير سياستها الخارجية بحيث لا تدخل في إعتبارها الإعتماد على مساعدة روسيا. وفي نفس الوقت لابد من وضع حد سياستها العدائية ضد إنجلترا. فمن مصلحتها التقرب من إنجلترا والإتفاق معها على حل المشاكل المتعلقة ليتفرغ الطرفان لمواجهة الخطر الألماني الذي ظهر بجلاء ووضوح، وخصوصاً بعد أن أصبح لألمانيا أقوى جيش في أوربا، وبعد أن دخلت في سباق بحري مع إنجلترا.

فهذا الموقف الدولي، والخطر المحدق بالدولتين الإنجليزية والفرنسية قد دفعهما إلى عقد الوفاق الودي Entente Cordiale بينهما في عام 1904م. هذا الوفاق الذي أطلق يد إنجلترا في مصر في نظير إطلاق يد فرنسا في مراكش والذي وضع حداً للنزاع بين الدولتين الكبيرتين الذي إستمر فترة طويلة من الزمن (xcvi).

وترتب على تصفية الجو بين إنجلترا وفرنسا أخذت الحكومة الفرنسية تعمل من جانبها على تقريب شقة الخلاف بين إنجلترا وروسيا، فدخلت الدولتان في مفاوضات طويلة لحل المشاكل المعلقة بينهما. وخصوصاً ما يتعلق منها بمصالح روسيا في أواسط آسيا على وجه الخصوص. وكانت المشكلة الإيرانية من أعقد المشكلات التي إعتضت طريق المفاوضات، فإنجلترا لها مصالح حيوية في جنوب إيران حيث توجد حقول البترول الإيرانية التي تستغلها الشركات الإنجليزية، وبالإضافة إلى ما تقدمه الموانئ الإيرانية على الخليج العربي من إمداد الأسطول الإنجليزي بما يحتاج إليه من وقود. وفي نفس الوقت إيران مجاورة لروسيا، وتستطيع أن تضغط عليها من حين إلى آخر تحقيقاً لمصالحها ومطامعها

وفي عام 1922م إعترفت اليابان بسياسة الباب المفتوح وإتفقت فيما بينهما وبين الولايات المتحدة الأمريكية، على أن تكون حمولة الأسطول الياباني 60% في حمولة الأسطول الإنجليزي أو الأمريكي وبذلك أصبحت اليابان القوة الآسيوية الأولى في الشرق الأقصى، وبدأ منذ ذلك الوقت النفوذ الأوروبي في الإضمحلال نتيجة لنهضة اليابان، وتلتها بعد ذلك الصين، ثم سائر الدول الآسيوية في الشرق الأقصى (xcvii)

2- الحرب اليابانية - الروسية

لقد نجحت اليابان في إثارة مخاوف إنجلترا من احتمال أن يمتد التوسع الروسي إلى الهند، فأبرمت مع إنجلترا ، سيدة البحار حينذاك تحالفاً (1902 - 1922) تعهدت بمقتضاه كل من الدولتين بمساعدة الدولة الأخرى إذا ما دخلت في حرب مع دولة ثالثة. ويلاحظ في هذا الصدد أن اليابان ورطت سياسة الإنجليز في التوقيع على وثيقة قلما أمكن استدراجهم للتوقيع على مثلها لأنها تحد من حريتهم في الحركة. لذلك لما بدأت الحرب اليابانية - الروسية

في عام 1904 بادر الممولون الانجليز بإقراض اليابان أموالاً طائلة لكي يتسنى لها تحقيق النصر على القيصر الروسي .

واقع الأمر أثبت فكرة هذا التحالف قد راودت اليابانيين في منتصف التسعينيات وتم طرحها على جوزيف تشمبرلين عام 1897، ولقيت الفكرة استحساناً شديداً في كلا البلدين باعتبارها تخدم مصالحهما في اختواء التوسع الروسي في المنطقة. فلقد نظر البريطانيون إلى هذه الاتفاقية المنشودة كوسيلة لتقادي تزايد التزاماتهم للحفاظ على السلم من ناحية، وضمان إنسياب تجارتهم بحرية في منطقة الشرق الأقصى، أما اليابانيون فقد أدركوا قيمتهما فيما تحققه لهم من ضمان في حالة نشوب حرب بينهم وبين الروس، وعدم مواجهتهم من ناحية أخرى بحالة من العداء من جانب الدول الأوروبية الأخرى بالإضافة إلى الاعتراف الرسمي من جانب بريطانيا بالنسبة لمصالح اليابان السياسية، والتجارية والصناعية في كوريا^(xcviii).

على أن منشوريا هي التي لعبت دوراً هاماً في إنكفاء حدة التنافس الدولي بين كل من اليابان، وروسيا، والصين إعتباراً من نهاية القرن التاسع عشر حيث تحتوى أراضيها على احتياطات ضخمة من الذهب، والحديد، والفحم وغير ذلك من المعادن. وكانت اليابان قد شرعت في التفاوض المباشر مع روسيا عام 1903 من أجل الحصول على موافقتها على الاعتراف بحقوق اليابان في حرية التصرف في كوريا ولكن اليابان وهي تسعى إلى هذا التفاهم مع الروس كانت واقعة تحت الضغط البريطاني، لذلك فقد كانت تسعى في نفس الوقت إلى تحجيم نطاق النفوذ الروسي في منشوريا لكي لا يتعدى منطقة السكك الحديدية فقط على أن يظل المتبقى من منشوريا تحت السيطرة الصينية.

وبينما كان التفاوض يجرى بين البلدين على قدم وساق إذ بالقيصر نقولا الثاني يبعث بقوات ضخمة باتجاه الشرق عبر خطوط حديد سيبيريا، فقامت

اليابان بقطع المفاوضات في فبراير 1904م، ووجهت ضربة مفاجئة إلى الأسطول الروسي المتمركز في ميناء بورت آرثر في جنح الظلام، ونجحت اليابان في حصار سفن الروس في الميناء. وسرعان ما قامت في جنح الظلام، ونجحت اليابان في حصار سفن الروس في الميناء. وسرعان ما قامت المشاة اليابانية بإخترق الحدود المنشورية الكورية عند نهر يالو في حين قامت قوات يابانية أخرى بإحتلال ميناء دايرين (Dairen) وحاصرت ميناء بورت آرثر من جهة البحر أيضاً، وأجبرت اليابان الروس على الإنسحاب ناحية الشمال على طول الخط الحديدي بضرب متكرر، ومكثف على الأجانب وسقط ميناء بورت آرثر في يد اليابانيين في يناير 1905م وفي هذه الأثناء سارع الروس إلى إرسال أسطولهم في بحر البلطيق لتعزيز وجودهم في ميناء فيلاديفستيك. ولكن بريطانيا رفضت السماح للأسطول الروسي باستخدام قناة السويس أو حتى الموانئ البريطانية الواقعة على الطريق فكان على القائد الروسي أن يمر عبر رأس الرجاء الصالح. وهنا أدرك الأدميرال الياباني توجو أن الروس سوف يلجأون إلى أقرب السبل داخل الجزر اليابانية ولهذا ظل متربصاً بأسطول حربي قوى في مضيق تسوشيما الياباني الذي يقع بين كوريا واليابان، وإستعان الأدميرال توجو لأول مرة في تاريخ الأساطيل البحرية بالأسلحة الذي مكنه من متابعة سير الأسطول كل تلك المسافة^(xcix).

وبأغت توجو الأسطول الروسي بكيفية عسكرية ماهرة جعلت الأسطوليين الروسين في مواجهة كل من الآخر غير قادرين على إطلاق النار تماماً، وعلى الفور أطلقت اليابان زوارق الطوربيد لتوجه ضربة نهائية للأسطوليين.

ولقد كانت نتيجة هذه المعركة كارثة ضخمة للأسطول الروسي ويكفي تدليلاً على ذلك بأنه تم تدمير 32 سفينة حربية من جملة الأسطول وعدد

سفنه 35 سفينة وعلى ذلك فإن هذه المعركة البحرية الشهيرة قد أنهت الحرب بين البلدين في مايو 1905. وفقدت روسيا أربعة آلاف من جنودها إلى جانب أسر أربعة آلاف آخرين في حين لم يفقد اليابانيون سوى 116، وجرح 538 مقاتلاً.

وتجدر الإشارة إلى أنه حينما نشبت هذه الحرب الروسية - اليابانية حاول الرئيس تيودور روزفلت (Theodore Roosevelt) ألا يمتد لهيبها إلى الصين من ناحية، وأن تقف الولايات المتحدة موقف الحياد من ناحية أخرى مع ميل أمريكي مشوب بالعطف مع اليابان، ومن ذلك فإن الرئيس الأمريكي بادر بتوجيه إنذار إلى كل من ألمانيا وفرنسا بالوقوف على الحياد بعدم التدخل لصالح روسيا، معلناً أنهما إن تدخلتا فليسوف تتدخل الولايات المتحدة بتقلها إلى جانب اليابان.

ولما حققت اليابان في حربها مع روسيا النصر تلو النصر كان في مخيلتها ما حدث في عام 1895م حين سلبتها الدول التي أطلقت على نفسها اسم ((أصدقاء الصين)) ثمرة انتصارها، لذلك إتجهت اليابان في هذه المرة نحو الولايات المتحدة تطلب وساطتها في حل الأزمة. ورغم أن الحكومة الروسية رفضت هذه الوساطة الأمريكية في بادئ الأمر ورغم نصيح الرئيس روزفلت لها بقبولها مبينا لها أنها اليابان قد تعتمد إلى إحتلال أجزاء أخرى من ممتلكات روسيا إلا أن الرئيس الأمريكي لم ييأس من معاودة الكرة خصوصاً بعد أن سقطت بورت آرثر في أيدي اليابانيين. ثم تلتها موكدن ولكن روسيا أبت وأصرت، وإستكبرت إستكباراً، وقررت كما رأينا إستدعاء أسطولها الأوروبي في بحر البلطيق.

وتجدر الإشارة في هذا المقام إلى التهنئة التي بعث بها الرئيس روزفلت لممثل اليابان في الولايات المتحدة بقوله ((إن إنتصار إنجلترا في الطرف

الآخر على قوات نابليون البحرية، وعلى الأرمادا (قوات أسبانيا البحرية) لا يعدل الانتصار العظيم الذي أحرزه أمير البحر توجو (C) .

إستطاع إذن الرئيس الأمريكى فى 8 يونيو من عام 1905 إرسال مذكرة لكل من المتحاربين يطلب منهما ضرورة وضع حد لهذه الحرب، وعاد القيصر الألمانى إلى تأييد روزفلت لاسيما فى إقناع الروس بضرورة التسليم بمطالب اليابان، ودعا روزفلت الدولتين إلى سفينة ما فلاور (May Flower) وبدأت المناقشات فى بورتسموث الأمريكية.

وكما حسمت معاهدة شيمونوسيكي نتيجة الحرب الصينية - اليابانية لعام 1894م فإن معاهدة بورتسموث (Portsmouth) (الولايات المتحدة) الموقعة فى 5 سبتمبر 1905م فعلت نفس الشئ بالنسبة للحرب اليابانية - الروسية نتيجة تدخل الولايات المتحدة للتوسط بين الدولتين. وقد تضمنت بنود المعاهدة تحقيق توسع للممتلكات اليابانية على النحو التالى :

- 1- حصلت اليابان على ميناء بورت آرثر بما فى ذلك الخط الحديدى الذى يربط هذه المنطقة بموكدن.
- 2- حصول اليابان على حق الصيد فى مياه سيبيريا.
- 3- ضم كوريا لليابان (وإن كان ذلك لم يتحقق بصفة نهائية إلا فى عام 1910م).

4- سيطرة المشروعات اليابانية فى منشوريا وأهمها الخط الحديدى الشهير فى جنوب منشوريا الذى تم تسليمه بكامله إلى اليابان.

وكيفما كان الأمر. فإن هذه الأوضاع الجديدة قد وفرت لليابان مكانة ضخمة فى آسيا. كما أن حركة القومية اليابانية الوليدة صارت تجد فى هذه الواقعة الجديدة منشطاً غير عادى جعل اليابان تتطلع إلى دور شرطى فى آسيا كلها، وجعل الدول الأوروبية تتخوف من هذا العملاق المتعظم. وكان

من نتيجة هذا الانتصار الياباني أن بريطانيا بدأت تشعر أن تلامذتها من ضباط البحرية اليابانية حققوا النصر على الروس. ولكن الأهم من ذلك أن الدول الغربية قد أصابها الصدمة أن ترى أمة أوروبية تنهزم بهذه السهولة. أما عنصر آسيوى وكان على الغرب أن يعيد تقييم نظرتة لليابان بسرعة. وعلى الفور دعا الرئيس الأمريكى تيودور روزفلت لعقد مؤتمر سلام فى بورتسموث كما أسلفنا.

كانت معاهدة بورتسموث فى عام 1905م نجاحاً لسياسة الولايات المتحدة فى منطقة الشرق الأقصى فى مستهل القرن العشرين والتي حدها وزير الخارجية الأمريكى جون هاى (John Hay) فيما سمي بمذكرات الباب المفتوح فى المجال التجارى، وسلامة أراضى الصين وكذلك حماية جزر الفلبين من المطامع اليابانية^(٢١).

ولكن يلاحظ أن اليابانيين حينما أحرزوا نصرهم الرائع فى ربيع 1905 كانت إمبراطوريتهم الناشئة قد أصابها الإعياء مما دعا اليابان إلى دعوة الرئيس روزفلت للتوسط، ولكن المندوب اليابانى مع ذلك لم يكن قائماً بالسيطرة على جنوب منشوريا، وكوريا، والنصف الجنوبى من سخالين من يد الروس لذلك فقد طالب أيضاً بتعويضات مالية ضخمة، وقد تسبب ذلك فى امتناع الأمريكيين ولذلك رأى اليابانيون التخلّى عن هذا المطلب. وعلى ذلك فإن معاهدة بورتسموث تكون قد حافظت على توازن القوى الذى كاد الروس أن يطيحوا به فبقيت روسيا دولة هامة من دول المحيط لكن اليابان ظهرت إلى جانبها بمثابة النذ القوى، وكان هذا يتماشى مع وجهة النظر الأمريكية.

ومع ذلك، فقد شعرت جماهير الشعب اليابانى بالإحباط لما أسفرت عنه المعاهدات من مكاسب ضئيلة فى نظرهم، وأنحو باللائمة فى ذلك على الأمريكيين. وكان هناك حشد جماهيرى فى طوكيو عام 1905م نظم عدداً من مظاهرات الإحتجاج على طول البلاد وعرضها يستنكر ذلك ((السلام

المهين)). وسرعان ما ردت الجماهير الأمريكية بالمثل، وإن كان لأسباب مغايرة. فقد كانت الهجرة اليابانية تسبب بعض المشكلات للأمريكيين. وفي عام 1906م أصدر ((مجلس فرنسيسكو للتعليم)) قراره يحظر الحضور على أبناء اليابانيين في المدارس الحكومية الأمريكية (وإن كان هذا الحظر قد أبطل فيما بعد) (cii).

الفصل الرابع

سياسة اليابان الخارجية (1945 – 1970م)

أولاً – الولايات المتحدة الأمريكية.

ثانياً – كوريا.

ثالثاً – الاتحاد السوفيتي.

رابعاً – مكانة اليابان عالمياً.

الفصل الرابع

سياسة اليابان الخارجية

أولاً: الولايات المتحدة الأمريكية :

إستطاع اليابانيون أن يسيطروا على مساحات واسعة من الصين وخصوصاً منشورياً، وشمال الصين، ثم تقدموا نحو منطقة البحر الجنوبي، وكانوا إمبراطورية واسعة تكفى لمد اليابان بالغذاء، والمواد الأولية.

لكن العسكريين اليابانيين نسوا القاعدة التى تقول أن قوة المرء هى فى قدرته على معرفة حدوده، وتناسوا القوة الأخرى الموجودة على الطرف الثانى للمحيط الهادى والتى لم تكن لتسمح لهم بالتعاضد، والتوسع.

لقد قدم الأمريكيون المعونة المكثفة لليابان لتكون حارسة للمصالح الأمريكية ضد التمرد الشيوعى، وذلك بعد أن فقدت الولايات المتحدة كل أمل فى صمود الصين الوطنية بعد قيام الصين الشعبية عام 1949م، لذلك ستعمل أمريكا على تغيير العقليّة العسكرية اليابانية بعقليّة ديمقراطية معارضة للتفكير الفاشى..:

وأول مرة تعرضت جزر اليابان للقوات الغازية فى تاريخها كان يوم 28 أغسطس 1945م وتم ذلك بدخول قائد القوات الحليفة ماك آرثر أرض اليابان فى 8 سبتمبر من نفس السنة. وبقي الإمبراطور على عرشه، ولكنه وجه خطاباً دعا فيه شعبه للحفاظ على الإستقرار الإجتماعى وإرساء مبادئ الديمقراطية.

وطبقاً لإنذار بوتسدام فإن ((القيادة العليا للقوات المتحالفة)) بدأت بتسريح الجيش اليابانى، وتصفية الشركات الكبرى للسيطرة على النواحي الإقتصادية، ونزعت السلاح لإقرار النظام الديمقراطى.

وفى موسكو عقد فى ديسمبر 1945م مؤتمر لإنشاء ((مجلس متحالف لشؤون الشرق الأقصى)) ولكن سلطة الجنرال ماك آرثر بقيت مطلقة ومؤثرة (CIII)، وأصبحت السيادة اليابانية محصورة فقط فى جزرها الأربعة.

وعام 1945م نشأ الحزب الليبرالى المعتدل برئاسة يوشيدا الذى استطاع التفاهم مع الأمريكيين، وترتيب الأوضاع اليابانية كإعادة البناء الإقتصادى. تقدم هذا الحزب على منافسيه من الأحزاب الأخرى، وخاصة الإشتراكي، والشيوعى اللذان لم يعد لهما نفس الأهمية فى اليابان.

بقيت الولايات المتحدة الأمريكية تعتمد على سياستها لإيقاف المد الشيوعى فى الصين على شيانج كاي شك لكن فشل الزعيم الصينى وتدهور الصين الوطنية وعدم إحراز نتائج مرضية تقف بوجه المد الشيوعى دفع الولايات المتحدة الأمريكية لتغيير سياستها فى المنطقة بدلاً من الإعتماد على الصين الوطنية تحولت إلى اليابان، ووضعت ثقلها هناك بتغييرات ديمقراطية وتخفيف قيود الإحتلال الأمريكى، فسمحت أمريكا لليابان باستخدام الصناعات الحربية القديمة لأغراض مدنية، وصارت اليابان هى الخليف المستقبلى للولايات المتحدة الأمريكية بدلاً من الصين.

بدأت السياسة الأمريكية بإعطاء اليابان حريتها، ولكن ضمن قيود حتى إذا أردنا مقارنة الإحتلال الأمريكى لألمانيا بإحتلالها لليابان نجد الفرق شاسعاً، فقد كان الإحتلال الأمريكى لليابان بسيطاً، ولم تعمل أمريكا على تحطيم الإقتصاد اليابانى كما حصل للألماني، كما أن اليابان لم تقسم بين الطامعين من قوات الإحتلال.

هذه السياسة أدت لأن تسير اليابان شيئاً فشيئاً فى طريق السيادة الإقتصادية، ف وقعت إتفاقيات تجارية مع ألمانيا، بل أن عدد الدول التى وقعت إتفاقيات خاصة ولها تمثيل مع اليابان جاوز العشرين دولة كانت لها حق

الإتصال المباشر مع اليابان، ولكن طبعاً عن طريق الجنرال ماك آرثر الذي كانت تقدم له أوراق المعتمدين الأجانب^(civ).

وقد توصلت الولايات المتحدة إلى أهدافها من عملية الإحتلال بسرعة. وكان الهجوم الشيوعي على كوريا قد دفعها في عام 1950 للرد بسرعة على هذا العمل العسكري ودفع الأمريكيين للإعتماد أكثر فأكثر على اليابان، وجاء هذا الإعتماد مكشوفاً عندما دخلت الولايات المتحدة في صراعها علناً مع الشيوعيين.

هذه السياسة أوجدت ميلاً واضحاً عند الأمريكيين لعقد صلح منفرد مع اليابان، وكان الطلب الياباني الوحيد لتقديم الضمانات الأمريكية لليابان بالوقوف إلى جانبها ضد أي هجوم شيوعي. وفي 20 يونيو - حزيران - 1951م وجهت الولايات المتحدة دعوة إلى إحدى وخمسين دولة حيث تم توقيع معاهدة في 8 سبتمبر 1951م جاء فيها تخلى اليابان عن سيطرتها على كوريا، وهرموزاء، وجزر كوريك، وسخالين، بل أن معظم جزر المحيط الهادى. أصبحت تحت الوصاية الأمريكية. وتخلت اليابان عن حقوقها فى الصين.

بالنسبة للإحتلال الأمريكى لليابان، فقد تعهدت الدول الحليفة بإجلاء قواتها خلال فترة تسعين يوماً، مع إمكانية عقد إتفاقيات، ومعاهدات للتمديد لها بناء للرغبة اليابانية، ريثما تتمكن اليابان من تحمل عبء الدفاع عن نفسها.

وفى نفس اليوم 8 سبتمبر 1951م وقعت اليابان معاهدة مع الولايات المتحدة أعلنت فيها اليابان عن عدم قدرتها على الدفاع عن نفسها، وعن رغبتها ببقاء القوات الأمريكية على أراضيها. وهذه المعاهدة عرفت باسم معاهدة الأمن ((Security Treaty)).

هنا لابد من الإشارة إلى أن الولايات المتحدة من ألمانيا، وموقفها من اليابان هو واحد، ففي سياستها مع الأولى كانت ترغب بإيقاف المد الشيوعي في أوروبا، وكانت ألمانيا هي المعقل الرأسمالي الكفيل لذلك، وكذلك بالنسبة لليابان، فقد لعبت الدور الذي لعبته ألمانيا في أوروبا، ولكن على الأراضي الآسيوية، وذلك بإيقاف المد الشيوعي في الصين، وكان على الولايات المتحدة أن تقدم المعونات اللازمة لكلا البلدين لنجاح سياستها.

لقد كانت سياسة ماك آرثر في اليابان تعتمد على ثلاثة أهداف وهي :

1- نزع السلاح الياباني.

2- غرس الديمقراطية في الحياة السياسية اليابانية.

3- إستعادة الإقتصاد الياباني لنشاطه، لتصبح اليابان سويسرا الشرق الأقصى^(cv).

إن السياسة التي إتبعها الولايات المتحدة الأمريكية في اليابان في المرحلة الأولى من إحتلالها، سمحت بالأحزاب الجديدة والليبرالية بالظهور وحدثت من نشاط الأحزاب الاشتراكية، والشيوعية. وظهرت في البلاد خمسة أحزاب سياسية هي الحزب الليبرالي والحزب التقدمي، اللذان يعتبران إمتداداً لحزبي السيوكاي والمنسيتو، وكذلك كان للإشتراكيين والشيوعيين أحزابهم، مثل الحزب الديمقراطي الاشتراكي، والحزب الشيوعي والحزب التعاوني، كما شهدت اليابان إنشاء 363 حزباً سياسياً تنافست للدخول إلى المجلس النيابي خلال المعركة الإنتخابية، ولو كانت النتيجة دائماً لصالح الحزب الليبرالي^(cvi).

بعد عام 1948م عملت اليابان على التخلص من آثار الحرب العالمية الثانية وبدأت سياسة الولايات المتحدة الأمريكية تميل لمنح اليابان مساعدات تخلصها من الفاشية العسكرية التي كانت متحكمة لسياساتها قبل وخلال

الحرب. وعندما قدمت أمريكا هذه المساعدات كانت مصممة على نزع سلاح اليابان، وإرساء قواعد الديمقراطية الغربية فيها.

وإذا كانت السياسة الأمريكية لدعم اليابان تعتمد بداية على تقديم المساعدات المالية، رأت أمريكا في الخمسينات ضرورة التخلي عن هذه الطريقة بتقديم المساعدات والمضى بتنمية الإقتصاد اليابانى ليدعم نفسه بنفسه.

ومما ساعد على نجاح خطة التعاون اليابانى الأمريكى لبناء سياسة إقتصادية ثابتة فى اليابان تقوم على أسس صناعية، قيام الحرب الكورية.

ففى يونيو 1950م وصل جون فرستر دالاس مستشار وزير الخارجية الأمريكية إلى اليابان وبدأ بدعوة حكومتها لتسليم نفسها لإعادة الإستقلال إليها، وعدم الإعتماد على المظلة الأمريكية للدفاع عنها، لكن اليابان رفضت ذلك خاصة وإن الشعب اليابانى ما زال يعانى من هزيمته العسكرية وأثارها، فى هذه الظروف شهد الشيوعيون ما يعرف بالحرب الكورية. هذه الحرب أتت فى ظروف نشأة الصناعة اليابانية التى إستطاعت التقدم بقوة سريعة لتلبية متطلبات القوات العسكرية للأمم المتحدة التى تحارب فى كوريا.

وفى خلال عام واحد من إندلاع الحرب الكورية إزدادت الطاقة الإنتاجية للمصانع اليابانية بنسبة خمسين بالمائة. كما عملت الحكومة اليابانية لتدبير الأسس اللازمة والبنية الأساسية للإقتصاد للتوسع ولبذل المعونات للصناعات الهامة كالصلب وبناء السفن وبناء السدود، والمحطات المائية.

وفى خلال الخمسة عشر عاماً من النمو الإقتصادى بعد الحرب الكورية عملت الولايات المتحدة على إرخاء قبضتها، وسمحت بتنمية الصناعات الاساسية، فاحتلت اليابان عام 1966م المركز الأول فى الصناعات البحرية

كما إحتلت المركز الثانى فى صناعة الإلكترونيات، والمركز الثالث فى إنتاج الصلب، والمركز الرابع فى الصناعات الكيماوية.

وفى أوائل السبعينات حققت اليابان معجزتها الإقتصادية، وأصبحت ثالث أكبر قوة إقتصادية فى العالم، وبدأ الأمل بأن يلعب الشعب اليابانى دوراً قيادياً، وبدأ الشعب اليابانى يشعر أن معاهدة الأمن Security Treaty التى عقدها مع الولايات المتحدة الأمريكية هى بمثابة مشكلة لسياستها الخارجية، فاليابان لا تزال تحتوى بأمريكا ومضطرة للسير فى ركابها مع أنه لا علاقة لها بالتنافس النووى بين أمريكا والسوفييت أو بالمواجهة بين السوفييت والصين، أو بالحرب القائمة فى فيتنام، والتى عارضها اليابانيون بمظاهرات ضد الدور الأمريكى فى فيتنام، لدرجة أن التيار الشيوعى بدأ يجد تجاوباً عند اليابانيين، وساد القول بأن حرب فيتنام قد تمتد إلى الصين، وبعد ذلك إلى اليابان نفسها (cvii).

كانت سياسة اليابان الخارجية مع الولايات المتحدة الأمريكية نسبية مع تقدمها الإقتصادى، فكلما أحسّت اليابان بقوتها الإقتصادية كلما اعتبر اليابانيون وجود القوات الأمريكية فى اليابان وتبعيتهم لها، يشكل جرحاً فى كرامتهم السياسية، وبالتالي فإن الإتفاق مع أمريكا لم يعد يتمشى ومصلحتها. وقد ولدت المشكلات العالقة بين اليابان والولايات المتحدة الأمريكية هذا الشعور، ومنها مشكلة أوкинаوا، والمطالبة بإلغاء معاهدة الأمن (cviii).

وبمقتضى معاهدة 1952م بين اليابان والولايات المتحدة الأمريكية وعدت اليابان بأن تكون أوкинаوا أحد الاقاليم التابعة لوصاية الولايات المتحدة الأمريكية وبالتالي لم يرض هذا الأمر اليابانيين سكان الأقليم فبدأوا يطالبون بالإنضمام لبلادهم، وقد ثارت ثائرة الأهالى بعد حرب فيتنام. وشعر اليابانيون أن حكم الأمريكين لبلادهم قد جعل منها المستعمرة الوحيدة فى العالم بعد الحرب العالمية الثانية.

إنتهت هذه المشكلة بموجب إتفاق تضمن إعادة أو كيناوا لليابان فى عام 1972 مع إستمرارية إستخدام القواعد الأمريكية فيها للدفاع عن كوريا الجنوبية وعن تايوان، لأن ((أمن كوريا يعتبر أساسياً بالنسبة لأمن اليابان ذاتها)).

وقد عادت جزر أو كيناوا لليابان فى 15 أيار (مايو) 1972 (cix).

2- المطالبة بإلغاء معاهدة الأمن .

خلال الخمسينات، وحتى أواخر الستينات كان الإهتمام اليابانى يدور حول القواعد العسكرية الأمريكية، ومعارضة معاهدة الأمن.

وقد جرى تعديل هذه المعاهدة وجعلت مدتها عشر سنوات إعتباراً من عام 1960م، وكان هذا التعديل يجيز للقوات الأمريكية داخل اليابان التحرك لقمع الإضطرابات إذا دعتها الحكومة اليابانية لذلك. أما بالنسبة للمسألة النووية فقد نصت المعاهدة على عدم قيام الولايات المتحدة الأمريكية بأية تغييرات دون الرجوع إلى الحكومة اليابانية، وبالتالي حظرت المعاهدة على الولايات المتحدة تكديس أسلحة نووية فى اليابان. وتكثفت الأعمال لإلغاء هذه المعاهدة إثر الحرب الفيتنامية، وقام الطلاب بالتظاهر، وأصدرت الحكومة اليابانية قوانين تحد من هذه التحركات بل أنه عملت أيضاً على وضع قيود على طلاب، وأساتذة الجامعات التى تسودها الإضطرابات.

وسمى حل موعد تحديد مصير المعاهدة، ولم يتقدم أى طرف بإلغائها ظلت المعاهدة نافذة المفعول.

وبدراسة هذه المعاهدة يتبين أنها كانت على شكل إتفاقية بين واشنطن وطوكيو وكانت تعتبر نوعاً من أنواع الإحتلال الأمريكى. وقد قامت المظاهرات فى اليابان تطالب بإلغائها، ولكن الحكومتين كانتا تعبران عن رضائهما التام لمضمون ومحتويات معاهدة الأمن المشترك، فمن جهة أمريكا

كفتتدري في وجودها في اليابان تأكيداً وضمانة لعدم نشاط النفوذ العسكرى اليابانى من جهة، وكذلك في الحد من الأطماع السوفيتية أو الصينية فيها من جهة ثانية. وبالنسبة لليابان فإن هذه الإتفاقية كانت تحدد ميزانية الدفاع بحدود لا تتجاوز الواحد في المائة من الدخل القومى، الأمر الذى ساعد على إنصراف الإقتصاد اليابانى نحو النمو والزيادة دون تحمل أعباء عسكرية. لقد كانت الولايات المتحدة الأمريكية هي المكلفة بهذه الأعباء وكان للأعمال العسكرية نصيب كبير في موازنتها.

واقع الأمر لم يكن في صالح أى من الدولتين إعادة النظر في معاهدة الأمن، ولكن الكونغرس الأمريكى بدأ يناور في نهاية عام 1981م لإعادة النظر في المعاهدة، وذلك كوسيلة تهديدية لإرغام اليابان المتفوقة إقتصادياً على صرف جزء من أموالها على القضايا الدفاعية، الأمر الذى تأمل الولايات المتحدة الأمريكية بنتيجته أن يتأخر التقدم الحاصل في الميزان التجارى اليابانى، مع أن ذلك يعنى تخلى الولايات المتحدة الأمريكية عن إلتزاماتها العسكرية تجاه اليابان، ويعنى أيضاً أن اليابان التى قد تجد نفسها وحيدة تضطر للتفتيش عن بديل، وقد يكون الإتحاد السوفيتى هو ما لا ترضاه واشنطن.

بدأت اليابان تتطلع لبناء قوة عسكرية عام 1989م بعد أن تأكدت أنها الأولى في العالم إقتصادياً، وإن هذا المركز لأبد له من قوة دفاعية للحفاظ على المكاسب الإقتصادية.

ومقارنة بما تتفقه اليابان على دفاعها نجده لا يتجاوز 1% من الدخل القومى في حين أن هذه النسبة تبلغ 7% عند الولايات المتحدة، وهذا يؤدى للقول بأنه لم تزد اليابان من قدراتها الدفاعية فإنها ستبقى معتمدة على الآخرين أى الولايات المتحدة.

بالمقابل فإن الشعب الأمريكى لم يعد يقبل أن يدفع الضرائب إلى مبالاة من أجل حماية الشعب اليابانى خصوصاً إذا اعتبرنا أن المنتجين الأمريكيين يعتبرون أنفسهم مهددين بالمنتجات اليابانية، وأنه لا يجوز أن تركز اليابان كل همها على الإنتاج الإقتصادى فى حين تقوم الولايات المتحدة بالدفاع عنها.

ونظراً لأن اليابان تعتمد على طاقتها من البترول الذى يصلها من الخليج العربى وبما أن هذه المنطقة تعرضت مؤخراً لمضاعفات سياسية - سقوط شاه إيران - والحرب العربية الإسرائيلية - وغزو السوفييت لأفغانستان؛ كل هذه المضاعفات دفعت اليابان لتعديل سياستها الدفاعية فوضعت خطة خمسية 1986 - 1990م بنتيجتها أصبحت ميزانية اليابان ثالث أكبر الميزانيات الدفاعية، فقد تجاوزت بريطانيا وفرنسا وألمانيا وبلغت 30 مليار دولار فى حين لم تصل ميزانية الدول المذكورة هذا الرقم (cx).

وبعد تورط الولايات المتحدة الأمريكية فى حرب فيتنام، وإضطرارها للخروج من هذا المستنقع عام 1968م وبعد أن أخذ الرئيس جونسون عدد القوات الأمريكية فى فيتنام وتلاه إعلان الرئيس نيكسون الإنسحاب البطئ عام 1969م، بدأت الشكوك تراود اليابانيين تجاه هذه السياسة، وبالتالي بدأت خشيتهم تزداد من اتباع الأمريكيين سياسة العزلة، ومبدأ مونرو القديم، والذى سيدفع اليابانيون ثمنه غالباً لإضطرارهم لتسليح أنفسهم أما قوى الجبروت المجاورة.

زادت هذه الخشية عند إعلان الرئيس الأمريكى نيكسون مبدأه فى 25 يوليو 1969م بأنه لن تكون هناك فيتنام أخرى، وإن الولايات المتحدة الأمريكية تتوقع من الدول الآسيوية أن تتحمل العبء الأكبر من مسؤولية الدفاع عن نفسها.

هذه الخشية إزدادت أكثر عندما بدأ وزير خارجية أمريكا هنرى كيسنجر يتفاوض سرّاً مع الصينيين، وبدأت الزيارة المرتقبة للرئيس نيكسون للصين ظاهرة للعيان. وإذا كان اليابانيون قد إعتبروا فى التقارب الأمريكى الصينى إمتهاناً لهم، إلا أن مرونتهم السياسية ظهرت بتجاوز محتهم الناتجة عن التقارب الأمريكى الصينى، والإلتفاف عليها بالتقارب هى أيضاً مع الصين. حتى أن رئيس الوزراء اليابانى لم يجد حرجاً فى 29 سبتمبر 1972م من إعتراف اليابان بالصين الشعبية خاصة وأن اليابان لم تعتقد بقوة دورها العسكرى المستقل، لأنه مهما بلغت اليابان من القوة فلن تستطيع مجاراة الإتحاد السوفيتى، أو الصين الشعبية، وبالتالي كانت المظلة الأمريكية لليابان تقنع اليابانيين بأن أى محاولة لغزو بلادهم ستؤدى إلى حرب عالمية ثالثة خاصة وأن الأسطول السابع الأمريكى موجود فى المياه اليابانية^(cxi).

كما إن سياسة اليابان الخارجية التى تدور فى فلك الولايات المتحدة الأمريكية دفعتها للتعامل مع دول دون أخرى فهى تتعامل مع كوريا الجنوبية وليس الشمالية، وتعاملها مع تايوان أكبر بكثير من تعاملها مع الصين الشعبية.

تحيط باليابان دولتان هما : كوريا والإتحاد السوفيتى، ونذكر بما يحمله العنصر الكورى من حقد على اليابان التى إحتلت أرضه فى الحرب العالمية الثانية، نضيف إلى ذلك الشعور بالخوف الذى يشعر به اليابانيون من الإتحاد السوفيتى^(cxii).

ثانياً- كوريا

لقد حظيت شبه الجزيرة الكورية بالوحدة خلال الألف عام الماضية حتى مزقتها الحرب العالمية الثانية، ثم قامت الحرب الكورية تزيد من هذا التمزق.

ويعيش حوالى 20 مليون كورى فى الشمال فى نظام شيوعى يسانده
الإتحاد السوفيتى والصين، ويعيش نحو 42 مليون فى الجنوب تحت نظام
دكتاتورى لا يعترف بحقوق الإنسان ولكنه يتمتع بحماية الأمريكين الذين
يملكون قواعد جوية وبرية فى المنطقة.

الإنقسام فى كوريا أبقى هذه المنطقة ساخنة خلال الحرب الباردة التى
دامت حوالى نصف قرن، ولكن كوريا الجنوبية وبدعم أمريكى إعتمدت
المنهج اليابانى فى التطور الصناعى فأصبح لها قوتها الصناعية.

يوجد حالياً صراع فى كوريا الجنوبية بين النظام الدكتاتورى الحاكم
وبين فئة المتقنين التى تطالب النظام باحترام حقوق الإنسان وبممارسة
الديمقراطية بطريقة أفضل.

ينظر اليابانيون إلى الوجود العسكرى الأمريكى فى كوريا الجنوبية
كضمان لهم يمكنهم من عدم الإهتمام كلياً بالمشاكل الداخلية فى كوريا
الجنوبية، وبالنزاع القائم بين الكوريين.

أما العلاقات اليابانية الكورية فلا تزال تحكمها العقد القديمة الناجمة عن
المرارة التى عاناها الكوريون من الإحتلال اليابانى لبلادهم قبل الحرب
العالمية الأولى، والذى إستمر حتى الحرب العالمية الثانية. ويكفى هذا المثال
لنبيين مقدار الحقد بين الشعب الكورى والشعب اليابانى : فعند تجدد الصراع
بين الكوريين مثلاً، وظهر إقتراح بحل قوات الدفاع الذاتية ككل وسط
مكان القوات الأمريكية الموجودة فى الجنوب نتساءل ما هو موقف الكوريين
؟ يجيب على هذا التساؤل رئيس إحدى الجامعات فى كوريا الجنوبية: ((فى
هذه الحالة سوف ننضم إلى كوريا الشمالية لنحارب اليابانيين)) (cxiii).

3- الإتحاد السوفيتى

أما الدولة الأخرى التى تشعر اليابان تجاهها بالخوف فهى الإتحاد السوفيتى الذى كان يتمتع بقوة عسكرية هائلة، والذى ما زال يرغب ببرد إعتبار روسيا بعد الحرب الروسية اليابانية (1904 - 1905م). أن مشاعر العداء ازدادت عند اليابانيين عندما دخل الإتحاد السوفيتى الحرب ضد اليابان حينما أشرفت هذه الحرب على نهايتها عام 1945م فاحتفظ بمئات الألوف من الأسرى اليابانيين فى سيبيريا وهلك العديد منهم تحت أعمال السخرة.

وإذا بدا الإتحاد السوفيتى وكأنه حامى السلام فى العالم، مما سمح للحزب الشيوعى اليابانى بالإنعاش بعد الحرب العالمية الثانية، ولكن ذلك ما لبث أن أخذ منحى العداء ضد السوفيت، حتى أن الحزب الشيوعى اليابانى أدار ظهره للإتحاد السوفيتى، بل أن الإشتراكيين اليابانيين دهشوا عندما تبينوا موقف الإتحاد السوفيتى من التسليح النووى وسياسته العنيفة مع الدول التى تدور فى فلكه.

كان الإتحاد السوفيتى هو الدولة التى تحظى بأقل درجة قبول عند اليابانيين الذين قد يقبلون الصين، بإعتبار أن اليابان والصين يكونون الإحترام للعوامل التاريخية القديمة المشتركة؛ الكونفوشياسية والبوذية ولكنهم يرفضون السوفييت.

إلا أن العلاقات بين اليابان والإتحاد السوفيتى ما لبثت أن تحسنت فى السبعينات حينما ظهر وكأن اليابان ستقوم بمشاريع عملاقة فى سيبيريا، لكن هذه المشروعات لم تتم، ولم تتحقق الأحلام التى بنيت عليها.

أن أسباب عدم الرضى فى العلاقات اليابانية السوفيتية يعود لضخامة التعزيزات العسكرية السوفيتية فى شرق آسيا وكذلك لبقاء السوفيت فى أراضى اليابان الشمالية المتمثلة بجزر كوريل الأربعة.

بالنسبة للتعزيزات السوفيتية، فإن الوصول للمياة الدافئة لا يمكن أن يتم إلا عبر مضائق تقع معظمها تحت سيطرة اليابانيين. ولكن السوفييت اللذين لديهم شمالي جزيرة هوكايدو يستطيعون من هناك التحرك، وما يضايق اليابانيين أن قوات الدفاع الذاتي التي يملكونها لا تستطيع حمايتهم طويلاً عند وقوع عدوان سوفيتي عليهم لحين وصول الإمدادات الأمريكية.

أما بالنسبة لجزر الكوريل الأربعة، فقد إحتلها السوفييت عام 1945م وطرد اليابانيين الموجودين فيها، وقد بدأ اليابانيون يطالبون على الأقل بالجزء الجنوبي منها الذي يمكن رؤيته من هوكايدو. وقد بقيت هذه المشكلة قائمة حتى الآن (cxiv).

رابعاً: مكانة اليابان عالمياً

بدأت اليابان من أواخر الستينات وأوائل السبعينات تبحث عن دور سياسي عالمي مستقل بها، فقد بدأت تتخلى عن سياسة العزلة، وحاولت أن تجد لها دوراً يتناسب ومكانتها الإقتصادية التي وصلت إليها.

وتجلى ذلك في سياستها لاستعادة جزيرة أوكيناوا من الولايات المتحدة الأمريكية التي كانت قد إعتمدتها لإقامة قواعدها العسكرية عليها، ولبناء خطها الدفاعي في المحيط الهادئ. وبالفعل وقعت فنى 21 نوفمبر 1969م إتفاقية بشأن عودة الجزيرة إلى اليابان، ونصت الإتفاقية على أن اليابان بتحالفا مع الولايات المتحدة الأمريكية قد أصبحت متأهبة للدخول في مرحلة سياسية جديدة تتناسب وقوتها الإقتصادية والصناعية الهائلة. وإن عودة جزيرة أوكيناوا لليابان يجب أن لا يمنع الولايات المتحدة من القيام بدورها السياسي، والعسكري في الدفاع عن الشرق الأقصى بما في ذلك اليابان نفسها.

وهكذا فإنه بالرغم من سعى اليابان من أجل القيام بدور سياسى مستقل فى المنطقة إلا أنها لا زالت تابعة بصورة أو بأخرى للمصالح، والسياسات الأمريكية الخارجية.

شكّلت اليابان قوة إقتصادية عالمية، وبالتالي أصبح الظن السائد عند أغلبية اليابانيين ضرورة إيجاد نظام عسكرى يابانى بدلاً من معاهدة الأمن مع الأمريكيين ولكن ليس بوسع اليابانيين تشكيل قوة عسكرية كافية تقدر على حماية مصالحها العالمية، صحيح أن اليابان تملك القوة التكنولوجية والإقتصادية الكافية لإيجاد قوة نووية لها، ولكن ضيق مساحة أراضيها، وكثافتها السكانية العالية جعل تكوين القوة النووية أمراً متعذراً.

وعلى الرغم من عدم الرضى للروابط العسكرية مع أمريكا، فإن ذلك كان هو الحل الأمثل لسد إحتياجات اليابان الدفاعية، ولكن هل ستقوم العلاقات الأمريكية اليابانية إلى الأبد ؟

إن التقدم الإقتصادى اليابانى بطريقة هائلة جعل المواطن الأمريكى يقول بأن هذا الأمر يعود إليه، فهو الذى يدفع الضرائب، فى حين تقوم حكومته بتسهيل الدفاع عن اليابان، التى ينصرف شعبها لبناء قوتهم الإقتصادية، وهذا يعنى أنه يتوجب على الشعب الأمريكى الدفاع عن أراضيه، وأراضى الآخرين. هنا لم يكن أمام اليابان إلا أن تقوم ببناء قوة دفاع ذاتى لها (cxv).

تتجاوز ميزانية هذه القوة ثلاثة مليارات دولار فى السنة وتحتل المركز السادس فى العالم من حيث حجم الإنفاق فهى تأتى بعد الولايات المتحدة الأمريكية، والإتحاد السوفيتى السابق، والصين، وبريطانيا، وألمانيا الغربية.

والقوة عبارة عن حوالى 260 ألف جندى متركزين فى جزيرة هوكايدو فى شمالى البلاد لدرع أى عدوان سوفيتى محتمل، كما تشمل القوة 575 سفينة بالإضافة إلى 16 غواصة تدعمها 300 طائرة معظمها مضاد

للغواصات. أما السلاح الجوي فيضم 600 مقاتلة نفائة من بينها خمسون طائرة من طراز فانتوم، وطائرات الإستطلاع وطائرات التدريب.

والملاحظ أن إهتمام اليابان ينصب حول نوعية التسليح، والتدريب أكثر مما ينصب على زيادة القوات المسلحة التى أشير هنا إلى أن نسبة الضباط عالية جداً فيها، مما يعنى أن هذا الجيش هو نواة الجيش الذى قد يضم عديداً من الإحتياطيين.

وإذا كنا نتكلم عن مكانة اليابان عالمياً لابد من الإشارة إلى القروض الضخمة التى قدمتها اليابان للدول النامية.

ترجع سياسة الإقراض المالى التى إتبعتها اليابان لعام 1970م أما قبل ذلك التاريخ فكانت اليابان دولة مقترضة.

ومما ساعد اليابان على تقديم القروض، والدعم المالى للدول النامية فيعود إلى فائض ميزان المدفوعات اليابانى الذى تضخم، وبلغ عشر مليارات دولار خلال عام 1977م، لذلك كانت الحلول المطروحة تعتمد على تقديم قروض طارئة للدول النامية.

وقد بلغ إجمالى المعونات الرسمية، والخاصة التى قدمتها اليابان خلال الثلاث سنوات الأولى بعد عام 1970م ما يزيد على نصف مليار دولار. وكانت قد إحتلت فى عام 1973 المركز الرابع بعد الولايات المتحدة الأمريكية، وفرنسا، وألمانيا، بل أنه فى عام 1974م إحتلت اليابان المركز الأول بين الدول المقرضة للبنك الدولى بزيادة قدرها 214% عن قروضها فى السنة السابقة. وقد بلغ إجمالى القروض اليابانية للبنك الدولى فى عام 1980م حوالى 450 مليار ين.

وفى عام 1985م كانت اليابان أكبر دولة دائنة فى العالم إذ بلغت أصولها فى الخارج 130 مليار دولار بينما تراجعَت الولايات المتحدة فأصبحت مدينة للخارج بحوالى 107 مليار دولار.

يعانى الإقتصاد العالمى من عدم الإستقرار الناجم عن الفائض التجارى الذى تحققه اليابان، وبين العجز فى ميزانيات دول العالم. وقد أدى ذلك إلى أزمة إقتصادية شهدتها الأسواق المالية فى الشرق الأقصى مؤخراً.

لذلك كان على اليابان أن تخفض من حجم صادراتها وتزيد من وارداتها، بل أن الحكومة اليابانية عملت على رفع سعر صرف الين بالنسبة للدولار، ولكن هذه السياسة لم تأت بالنتيجة المرجوة؛ فقد كان من المتوقع أنه فى حالة إرتفاع سعر الين سيؤدى ذلك إلى زيادة أسعار السلع الأجنبية فى مواجهة السلع اليابانية، ولكن المستهلك بقى على السلع اليابانية إما لجودتها، أو لأن اليابانى أعرض عن شراء منتج بديلاً لسلعها، وإن كان أرخص سعراً.

وأخيراً لابد من القول أن المنافسة من جانب بعض الدول الآسيوية ممن أطلق عليهم النمر الآسيوية مثل كوريا الجنوبية، وسنغافورة، وتايلاند، وتايوان، وماليزيا والتي تنتج سلعاً قريبة فى جودتها من السلع اليابانية ولكنها تختلف عنها برخص أسعاره نظراً لإنخفاض الأجور. إلا أن المؤشرات تبين بقاء التفوق اليابانى على مثيلاتها من الدول الصناعية الكبرى

الفصل الخامس

الصين واليابان (1931 – 1978)

أولاً- الحرب اليابانية الصينية الثانية 1931 – 1945

ثانياً- معاهدة السلام والصداقة بين البلدين 1978.

الفصل الخامس

الصين واليابان (1931 - 1978)

أولاً-الحرب اليابانية الصينية الثانية(1931-1945)

تضرب المشكلة الصينية - اليابانية بجذورها إلى ما قبل الحرب العالمية الأولى، وسبب هذه المشكلة هو أن اليابان قد أصبحت دولة كبرى على النسق الأوروبي وتزايد عدد سكانها تزايداً لا يتناسب بحال من الأحوال مع العدد القليل من المستعمرات الذي ورثته عن الألمان في منطقة الشرق الأقصى ، أو في فرموزا ، أو في كوريا. بيد أن إستيلاء اليابان على ميناء بورسب - آرثر فتح أعينها على عملية التوسع الإستعماري في منشوريا، ولقد كانت منشوريا أرضاً صينية، وكانت حكومة الصين الوطنية بزعامة تشيانج كاي شيك قد خرجت لتوها كما أسلفنا من حروب أهلية طاحنة في نفس الوقت الذي بدأت اليابان في شن حملة إقتصادية على منشوريا تحسباً للإستيلاء عليها.

لقد نمت صادرات اليابان ووارداتها مع منشوريا ، وقام اليابانيون بتنفيذ مشروعات إقتصادية ، وخطوط حديدية واسعة النطاق. وفي نفس الوقت هاجر إلى منشوريا عشرات الألوف من اليابانيين. ومن ناحية أخرى نجد أن القيادة العسكرية اليابانية شديدة الحمس لتحقيق التوسع الياباني في منشوريا خلال العشرينات والثلاثينات من القرن العشرين.

ونرى الوضع الداخلي في اليابان قبيل اندلاع الحرب ممثلاً في إجراء إنتخابات عامة في عام 1925م قبل تولى الإمبراطور هيروهيتو الحكم بعام واحد. وظل ذوو الإتجاهات المعتدلة ممسكين بزمام السلطة بزعامة شيديهارا

.. (Shididi). ولكن بعد أن حل البارون تاناكا رئيساً للوزارة تصاعدت
جدة الإتجاهات الفاشية بشكل واضح. وقد ورد فى ((مذكرة تاناكا))
الشهيرة والتي تمت ترجمتها - ما يؤيد الأحداث التي وقعت عام 1941،
1944م فهناك مقتطفات من هذه المذكرة تتم عن فحوى هذه المذكرة بإجمالها
مثل: ((من أجل أن تتولون جلالتم المهمة التي أنيطت بكم فى بعث عهد
جديد فى الشرق الأقصى ، وإنشاء إمبراطورية على مستوى القارة ... فإنه
بمجرد غزو الصين، فإن كافة أقطار آسيا الأخرى سوف تستسلم أمامنا،
ولسوف يفهم العالم أن آسيا لنا، ولسوف لا يجرؤ أحد على التدخل وحين
نصبح سادة الصين تغزو الهند وآسيا الصغرى وآسيا والوسطى .. وأوروبا،
وأن أول ما ينبغى عمله هو ضمان السيطرة على منشوريا ومنغوليا...)).

ولن نستطيع بطبيعة الحال أن نرى المشكلة فى إطارها الصحيح،
والمزاج السياسى الدولى الذى تحكم فيها دون أن نرى ما كانت عليه الأحوال
فى أوروبا فى تلك الأوبة. لقد إنشغلت أوروبا منذ عام 1935م بمشكلة إثيوبيا.
وظهور الفاشية فى إيطاليا، وظهور هتلر على المسرح الأوروبى، فضلاً عن
الحرب الأسبانية، لذلك فإن إهتمامات أوروبا بما يجرى فى منطقة الشرق
الأقصى لم يلفت نظر أوروبا بالقدر المطلوب. ولم يكن يدور بخلد أحد ما
كان يحدث داخل الصين، وكيف كان الشيوعيون هناك يعدون جيشهم فى
تكتّم شديد، لذلك لم يكن هناك أى رد فعل أوروبى سريع إزاء سيطرة اليابان
على منشوريا ، وإقامة حكومة منشوكو.

وقامت الحكومة الأمريكية بتقديم إحتجاج ولفت الإنتظار إلى سياسة الباب
المفتوح ولكن الولايات المتحدة وجدت من الإحصاءات أن اليابان أكثر أهمية
عن الصين بثلاثة أضعاف بالنسبة للتجارة الأمريكية. لذلك لما قامت اليابان
بالتحلال من معاهدة واشنطن لعام 1922م التى كانت تنص على تحديد نسبة
القوة البحرية فى المحيط الهادى، كما خرجت كذلك من مؤتمر لندن الذى

كان يطالب اليابان بتحديد حمولة أسطولها، فإن بريطانيا هي الأخرى لم تحرك ساكناً.

لقد كانت الدولة الوحيدة التي إنزعجت إيماناً من التقدم الياباني هي روسيا السوفيتية. ولعلنا نذكر أن الدولتين كانتا قد تصادمتا منذ عام 1894م وهذا التنافس الياباني - الروسي أثار انتباه الدول الأوروبية كما أثار الولايات المتحدة بنفس القدر. وسوف نرى أن الدول الغربية بدأت تدرك أن قيام اليابان بدور الشرطي في المنطقة لن يخضع بصفة دائمة للدول الأخرى ، وأن اليابان ستحاول لا محالة أن تحظى بنصيب الأسد.

وقد حاولت الحكومة الصينية جاهدة - وكانت قد أصبحت عضواً في عصبة الأمم - جذب انتباه الدول الكبرى إلى المخططات التوسعية اليابانية دون أن تتحرك هذه الدول أى تحرك إيجابى ، وذلك بسبب الأزمة الاقتصادية التي اجتاحت العالم عام 1929م، من ناحية بالإضافة إلى نمو الفاشية في إيطاليا والنازية في ألمانيا من ناحية أخرى هذا فضلاً عن إشغال الاتحاد السوفيتى بمشكلاته الداخلية، وعدم إنضمامه إلى عصبة الأمم، يضاف إلى كل ذلك أن عصبة الأمم قد تدهورت مكانتها بوجه عام، وخاصة بعد انسحاب ألمانيا منها عام 1933م ، وانسحاب إيطاليا منها عام 1936م. ومن جهة أخرى نجد أن نسبة الصينيين إلى جميع سكان منشوريا البالغ عددهم 30 مليوناً عام 1931م قد بلغت نسبة 90% وهكذا تكون الصين قد احتفظت بمنشوريا ليس فقط بحق السيادة القانونية، وإنما كذلك بحق الإستيطان العنصرى.

ولقد تجلى الصراع الإقتصادى بين كل من الصين واليابان حول خطوط سكك حديد منشوريا. ففي حين تمسكت اليابان بموافقة الصين فى معاهدة 1951م المبرمة بينهما ألا تقوم بإنشاء خطوط حديدية فى منشوريا تتنافس الخطوط الحديدية التي تمتلكها اليابان، فإن الصين أنكرت هذا الإدعاء،

وشرعت فى بناء خطوط حديدية تنافس الخطوط اليابانية فى كل شئ فيما عدا نقل المنتجات الداخلية إلى الموانئ التى تسيطر عليها الصين، وكذلك نقل هذه المنتجات خارج بورت - آرثر.

وبتزايد المنافسات الإقتصادية بين اليابان والصين فى منشوريا تعددت فرص الإحتكاكات بين الشعبين فى منشوريا ، وتصاعدت الدعوة بين التوسعيين اليابانيين لإستغلال هذه الإحتكاكات من أجل شن هجوم شامل ضد الصين. وقويت هذه الدعوة فى أعقاب إرتفاع نسبة البطالة فى اليابان بسبب الأزمة الإقتصادية الدولية. وهكذا أصبحت الحرب ضد الصين علاجاً مرتقياً لمشكلتي البطالة ، والكساد الإقتصادى القومى اليابانى، وبخاصة لخلق مجالات لإستيعاب الفائض البشرى اليابانى المتراكم (cxvi).

- بداية الصراع -

لقد إستغلت حكومة اليابان وقوع حادثة تخريب وقعت عند الخط الحديدى اليابانى فى منشوريا، وبدون إعلان الحرب زحف الجيش اليابانى فى كوانتونج ليعتولى على المواقع الإستراتيجية الرئيسية فى جنوب منشوريا فى شهر سبتمبر 1931م.

وإستجذبت الصين بعصبة الأمم مستندة إلى نص المادة 11 من الميثاق التى تحت على إتخاذ الإجراءات الكفيلة بمنع وقوع عدوان على سلامة إحدى الدول، كما إستنجدت بالولايات المتحدة إستناداً إلى ميثاق عام 1928م الذى كانت قد وقعتة الولايات المتحدة، وفرنسا، وإيطاليا، وألمانيا، والإتحاد السوفيتى، واليابان الذى يقضى بمنع الحروب، والعمل على تسوية المشكلات بين الدول بالطرق السلمية، وهو الميثاق الذى عرف باسم ميثاق برياند كيلوج (Briand Kellog Pact).

ولما تقدم تشيانج كاي شيك بشكوى إلى عصبة الأمم، صدر قرار العصبة فى 30 سبتمبر 1931م بإلزام اليابان بسحب قواتها من الأراضى

التي إحتلتها مع تلطيف عبارة الإلزام هذه بتحفظ تقليدى يقول ((على ان يكون ذلك بالكيفية التي تكفل سلامة الرعايا اليابانيين))، مما قلل من فاعلية القرار. ثم ما لبث أن صدر قرار آخر فى 24 أكتوبر يقضى بسحب القوات اليابانية، الأمر الذى رفضته اليابان.

وأثناء إعادة طرح القضية فى جنيف تفاقم الصراع بين الصين واليابان نتيجة مقاطعة البضائع اليابانية، وتم قتل بعض اليابانيين فى شنغهاى. وخاب ظن تشيانج كاي شيك فى الداخل، ولكن تشيانج كاي شيك كان يرى دوماً أن ينهى الوضع مع الشيوعيين قبل التصدى للغزاة اليابانيين. لذلك كان أسلوبه هو السعى للتفاهم مع العدو اليابانى، ولذلك أيضاً عرض فى 31 مايو 1933م أن يجرى إبرام هدنة بين الصين واليابان تقضى بانسحاب القوات اليابانية والقوات الصينية من على جانبي السور العظيم تاركة فيما بينهما مساحة من الأراضى يمكن أن يقال أنها ليست ملكاً لأحد حسب التعبير المشهور (No Man's Land).

وفى هذا الوقت بالذات تسرب الشيوعيون إلى هونان والحوض الأدنى لنهر اليانجسى وصارت نانكين مهددة أيضاً. وظل تشيانج كاي شيك حتى نوفمبر عام 1939 أمام عدو متربص لا قبل له عن صده مباشرة لذلك فإنه عمد إلى اللجوء إلى فرض حصار قوى على الشيوعيين بعد أن ضيق عليهم الخناق فى نفس المناطق التي إختاروا إحتلالها ، ولكنها لم تكن توفر لهم فى نفس الوقت المواد الغذائية اللازمة لحياتهم.

وخرج الشيوعيون جماعات صغيرة، الواحدة تلو الأخرى من دائرة الحصار المضروبة عليهم ، وشرعوا فيما سمي فى التاريخ الصينى بالمسيرة الطويلة التي طوقت أنباؤها الآفاق بما تضمنته من مشقة بالغة، ونظراً لعدد من قاموا بها، والمسافة الهائلة التي قطعوها فى هذه المسيرة التي سنعرض لها مرة أخرى فى مكان آخر من هذا المؤلف وإتخذت المسيرة إتجاه الجنوب

أولاً على أمل أن تتلقى بعض الدعم من إقليم فوكين ثم انحرفت المسيرة ناحية الغرب لتصعد بعد ذلك ، ومعها سلاحها ، وأمتعتها ونساؤها وأطفالها نحو الشمال عشرة آلاف كيلو متراً سيراً على الأقدام ، وإستمرت ما يزيد على سنة حافلة بالكوارث والمصاعب فى مقاطعة شانسى (Chensi).

وتابعت القوات اليابانية زحفها للإستيلاء على كل منشوريا، وبعد أن تحقق لها ذلك عملت على تكوين حكومة محلية، وأعلنت إستقلال منشوريا تحت اسم جديد هو اسم منشوكو فى عام 1932م. ووضع اليابانيون على رأس هذه الدولة المصطنعة إمبراطور الصين السابق بو - يى (Pou-yi). ولم تكتف اليابان بذلك. فتابعت توسعها، وإستولت على إقليم جي هول (Jehol) الذى يقع بالقرب من بكين.

على أنه تجدر الإشارة إلى أن تدهور قوة عصبة الأمم كان فى حد ذاته سبباً فى تزايد أطماع اليابان ، وعدم إكترائها بالمجتمع الدولى ، لوتجلى ذلك فى إنسحابها من العصبة فى 28 مارس 1933، وشرعت فى القيام بدور سياسى كبير فى منطقة شرق آسيا مشابه لدور الولايات المتحدة الأمريكية، ومبدأ ((مونرو)) فى العالم الجديد، وذلك بإدعائها بأنه لا يحق لدولة غير أسيوية أن تتدخل فى شئون الشرق الأقصى. وفى سبيل ذلك عملت على تنمية أسطولها البحرى ليكون نظيراً للأسطولين الأمريكى والإنجليزى، فخلق ذلك التصرف من جانب اليابان تسابقاً رهيباً فى القوة البحرية بين هذه الدول.

ولكن كما رأينا فى حملة سيبريا، ولما لم تنته الحرب العالمية الأولى بعد، فإن هذا النمو الإستعمارى اليابانى أدى إلى قيام الولايات المتحدة بتعديل سياستها تجاه الشرق الأقصى، وخصوصاً تجاه الإتحاد السوفيتى، والتي وضعت اليابان كحاجز فى مواجهته فى أول الأمر درءاً لمخاطر الشيوعية،

ثم بعد ذلك تعترف الولايات المتحدة بالإتحاد السوفيتي تمهيداً لوضع سياسة مشتركة أمريكية - روسية لمحاربة الخطر الياباني المشترك.

ومع ذلك. فإن الولايات المتحدة طلبت من اليابان أن تبقى على سياسة الباب المفتوح في الصين أمام الجميع لكي تستفيد الدول الغربية من هذه السياسة على قدم المساواة. ولذا نجد الخطوات التي اتخذت لمناهضة اليابان ظلت لها صفة السلبية - الأمر الذي جعل اليابان تقدم على خطوة جديدة أكثر خطورة على نفسها، وهي محاولة وضع الصين بكاملها تحت السيطرة الإقتصادية اليابانية طوعاً أو كرهاً (cxvii).

ورفضت الصين أن تصبح بمحض إختيارها بمثابة مستعمرة يابانية، لذلك وقعت الحرب الصينية - اليابانية في عام 1937م ولقد تعللت اليابان في ذلك بأن أرواح اليابانيين تتعرض للخطر، كما عمدت اليابان إلى مباغطة الصين بضربة قبل أن تستكمل استعداداتها العسكرية بقيادة تشيانج كاي شيك الذي كان عدواً لدوداً لليابانيين. ولما وقعت الحادثة على الحدود بين القوات الصينية والقوات اليابانية عند مدينة أوين - بنج (Ouen - Ping) في شهر يوليو 1937م طالبت اليابان بسحب الجيوش الصينية من الشمال ، وكان معنى ذلك أن مصير الشمال الصيني سوف يكون شبيهاً بمصير منشوريا، فرفضت حكومة تشيانج كاي شيك هذا الطلب. وزحفت الجيوش اليابانية إلى بكين وإستولت عليها في 18 يوليو 1937م، وعلى شنغهاي ، ونانكنج في السنة التالية، بل وعلى شمال الصين بأسره وجانب من الصين الوسطى، وشواطئ الصين الجنوبية، فيما لجأت حكومة تشيانج كاي شيك منطقة تشونج كينج (Tochung - King) لتعاود القتال بعد ذلك.

لقد كانت الصين تركز في حقيقة الأمر في مجابهتها لهذا الغزو الياباني على عدة مرتكزات منها :

أ- أن اليابان تود الانتصار في حرب خاطفة للقضاء على قوة الكفاح الصيني وإرغام الصين على قبول شروطها، وإذا باليابان تجد نفسها متورطة في حرب طويلة المدى ، وعلى مساحات مترامية.

ب- أن القوات اليابانية عمدت إلى السيطرة على المدن ، وعلى المواقع الإستراتيجية فقط ، ولكن الريف الصيني ظل بكامله تقريباً تحت سيطرة الصينيين بما يهدد اليابان بحرب عصابات تستنفد قواها.

ج- أن اليابانيين كانوا يعتقدون أن حكومة تشيانج كاي شيك سوف تسقط بعد الضربات الأولى، ولكن القائد العسكري ظل مسيطر على المقاومة الشعبية رغم التفوق الياباني الساحق في المعدات العسكرية.

د- أن سياسة اليابان الإقتصادية في الصين بدأت تهدد إمتيازات الدول الأوزوبية فيها - الأمر الذي يدعو إلى زيادة تحرك هذه الدول ، ومعها الولايات المتحدة ضد اليابان.

ولقد إستمرت هذه الحرب بين الصين واليابان إلى أن وقعت الحرب العالمية الثانية لتصبح هذه الحرب جانباً من جوانب الحرب العالمية ، وجزءاً مهماً للغاية بعد قيام اليابان بضرب بيرل هاربور في عام 1941م.

فقد ظلت اليابان تسعى جاهدة للخلاص من الموقف المتأزم في حربها مع الصين. وكان هناك عدد من القادة اليابانيين يرون أن تحسين الأوضاع مع بريطانيا وأمريكا هو أفضل حل لإيجاد نوع من التوازن إزاء التهديد الروسي. كذلك كان هناك فريق مقتنع بأن ألمانيا سوف تكسب الحرب. وكان على رأس هؤلاء وزير الخارجية كوني (Kenoe). وكانت الشواهد على ذلك متمثلة في عملية إجتياح المدرعات الألمانية المشهورة (Blitzkrieg) بسرعة البرق ، والتي تمكنت فيها هذه المدرعات من إجتياح هولندا ،

وبلجيكا ، وفرنسا في الفترة من 15 مايو حتى 4 يونيو 1940 - الأمر الذي بلغ ذروته في تمكن المانيا من إرغام الحلفاء على إخلاء دنكرك.

كذلك نجد أن الغارات الجوية الألمانية على بريطانيا قد استمرت في الفترة من أغسطس حتى نوفمبر 1940م، وبلغت هذه الغارات ذروتها في شهر سبتمبر 1940م حينما أخفق جورنج ، وسلاح الطيران الألماني بالكساد - بعد أن كان على مقربة من حافة النصر - في تحقيق تحطيم السلاح الجوي البريطاني. وبذلك لم يتحقق الحلم الألماني في غزو الجزر البريطانية الأمر الذي لو كان قد تحقق فلربما إنتهت الحرب لصالح الألمان.

لذلك جاءت الخطوة المتسارعة التي خطاها وزير الخارجية الياباني ماتسوكا (Matsuka) بالإقدام على توقيع الميثاق الثلاثي (Tripartite Pact) مع كل من إيطاليا وألمانيا في نفس شهر سبتمبر 1940. وقد رأينا فيما سبق أن اليابان قامت بعقد إتفاقية حياد مع روسيا في إبريل 1941 وظنت اليابان أنها سوف تتنفس الصعداء مرة أخرى. ولكن في شهر يونيو من نفس العام وبعملية مفاجئة تماماً وجه هتلر إهتماماته لمهاجمة روسيا دون أن يخطر اليابان بذلك وبصرف النظر عن دوافعه لهذا التكتّم فقد أسقط في يد اليابان إذ وجدت نفسها أمام أحد أمرين : إما أن تحترم إلتزاماتها طبقاً للميثاق الثلاثي مع المانيا ، وإما أن تحترم حيادها مع روسيا. وفضل اليابانيون أن يتمسكوا بإتفاقهم مع الروس ، وحدث تعديل حكومي ياباني أسقط ماتسوكا من الحكومة ، وقد كان من أشد اليابانيين تعاطفاً مع ألمانيا.

وفي هذا الظرف ظهر عامل اقتصادي دفع الأمور دفعا نحو معركة بيرل هابور. لقد تسببت الحرب الصينية - اليابانية التي استطال أمدها شدة احتياج اليابانيين للبترول في حين أن الولايات المتحدة قد فرضت حظراً في عام 1940 على تصدير عدد من المواد الاستراتيجية لليابان بدأتها بالحديد

الخرقة ثم اتبعت ذلك بالصلب وأخيرا عمدت إلى حظر تصدير البترول لليابان .

وحدث توتر في اليابان بين دعاة الحرب ، ودعاة التفاوض . وقد استقر الرأي على بدء الاستعدادات الحربية في شهر سبتمبر 1941. وذكرنا أن نومورا (Nomura) وزير الدفاع الياباني كان يجري المباحثات في واشنطن في تلك الأثناء. وفي 17 أكتوبر أعلن توجو التعبئة العسكرية . لقد كانت الشروط الأمريكية التي تلقاها نومورا متشددة فليس هناك أقل من انسحاب كافة القوات اليابانية من الهند الصينية ، والصين، ومنشوريا، وفي أول ديسمبر اجتمع المجلس الإمبراطوري للدخول في الحرب مع الولايات المتحدة إذا ما كان ذلك ضرورياً .

وتم الهجوم المرتقب على بيرل هاربور من جانب الاسطول الياباني ، والطائرات اليابانية صبيحة يوم الأحد 7 ديسمبر 1941. وكان ذلك الهجوم مفاجأة كاملة حتى أن نومورا نفسه لم يحط علمه بما أقدمت عليه حكومته إلا بعد أن عاد إلى السفارة اليابانية في واشنطن بعد انقضاء إحدى جلسات المباحثات مع وزير الخارجية الأمريكي كورديل هل، الذي ظن بطبيعة الحال أن الأمر كان يتضمن خديعة للأمريكيين .

وكانت حصيلة هذا الهجوم: تمكن الأسطول الياباني من ضرب ميناء بيرل هاربور في سرعة مذهلة . والغريب أن الأمريكيين لم يعيروا التفاتاً للتحذيرات التي سجلتها أجهزة الرادار الأمريكية من اقتراب بعض الطائرات . وتم تدمير سبعة مدمرات حربية أمريكية إلى جانب عدد كبير من الزوارق، كما أمكن لليابانيون في نفس الوقت بهجمات مركزة على كل من الفلبين ، وهونج كونج ، والملايو. ففي الفلبين تم ضرب الطائرات الأمريكية وهي جاثمة على ممراتها وأمكن تدميرها تماماً، وفي سنغافورة تم إغراق المدمرة البريطانية الشهيرة "برنس أوف ويلز" والباخرة الحربية "ريبالص" .

وبعد أن صارت اليابان الآن حرة طليقة من أي تهديد بحري أمريكي تحركت بسرعة فائقة على اتساع المحيط الهادي فسقطت هونج كونج في أيديهم يوم 25 ديسمبر. ومانيللا في 2 يناير 1942 وباتان في إبريل، وكوريجييدور في مايو. وتم الاستيلاء على سنغافورة في 15 فبراير. كذلك تم الاستيلاء على جزر الهند الشرقية الهولندية (إندونيسيا) في أوائل مارس 1942، وبورما في نهاية إبريل 1942. وفي خلال ستة شهور فقط من الهجوم الأول على بيرل هاربور كانت اليابان تعد العدة للتقدم نحو استراليا. ولكن خطوط مواصلاتها أصبحت ممتدة كما كانت استعدادات الولايات المتحدة تجري على قدم وساق للهجوم المضاد (cxviii).

ولقد يتبادر إلى الذهن التساؤل عما كان يدور في أذهان القادة العسكريين اليابانيين حينذاك . لقد كان في ظنهم أن يبادورا بعد ذلك باحتلال منطقة شرق آسيا ثم يتوقفون بعد ذلك لإلتخاذ موقف دفاعي بعد تثبيت مواقعهم. وكان في تصورهم أن أمريكا وبريطانيا سوف لن يتسنى لهما النهوض من هذه الصدمة قبل انقضاء بضعة سنوات ، وبذلك تكون اليابان قد تمكنت من تنظيم مواردها لمواصلة الغزو وبناء قوة اقتصادية عسكرية تكفي لإرغام أعدائهم للسعي نحو الصلح، كذلك كان هناك الأمل في انتصار الألمان على الساحة الأوروبية الأمر الذي يسفر بالتالي عن انهزام بريطانيا فتصبح عاجزة عن مساندة أمريكا في المحيط الأطلسي، الأمر الذي يشغلها هي الأخرى عن المحيط الهادي .

ونتيجة لذلك فإن قوة الاقتصاد الأمريكي قد وفرت للأمريكيين قوة صاربة وجبارة، وتمكن الجنرال ماك آرثر من الاندفاع في فبراير 1945 من غينيا الجديدة التي توقف عندها الزحف الياباني إلى مانيللا. وما لبث القوات الأمريكية أن تمكنت من الوصول إلى أوكيناوا بفضل مجهود الأدميرال نيميتز واحتلاله جزيرة بعد أخرى في المحيط الهادي خلال الفترة من إبريل

إلى يونيو 1845 وبذلك فإن قوة الاقتصاد الأمريكي انقذت أمريكا من الانهيار ، وكان اليابان قد نسيت شعارها القديم وهو "فيكوكو — كيوهي". أي أن الدول الغنية هي التي تبني الجيش القوي .

وبهنا الآن الحديث عن انعكاسات هذه الانتصارات اليابانية السريعة في مستهل نشوب الحرب . بادئ ذي بدء فإن أسطورة سيادة العنصر الأبيض قد انهارت من أساسها وإلى الأبد وبدأ اليابانيون وقد هزتهم نشوة هذه الانتصارات السريعة الحاسمة في معاملة الهولنديين ، والبريطانيين ، والأمريكيين الذين وقعوا في الأسر باحتقار ومهانة متعمدة أمام سكان البلاد الأصليين على اتساع منطقة المحيط الهادي في كل من إندونيسيا، وتايلاند، والملايو، وهونج كونج، والفلبين، وفي مناطق أخرى .

والمهم أنه بعد معركة بيرل هاربور اكتسح اليابانيون أمامهم كل شيء في الجزر القريبة من الشاطئ الآسيوي ، واستولوا على جزر الفلبين نفسها ، وسنغافورة ، وبورما ولم ينته صيف عام 1942 إلا وقد أصبحوا على مرمى حجر من أستراليا وبذلك زال النفوذ الأمريكي ، والإنجليزي من النصف الغربي للمحيط الهادي في ظرف سنة واحدة.

وتجدر الإشارة إلى أن اليابانيين طرحوا منذ نوفمبر 1938 فكرة إقامة نظام جديد في شرق آسيا (Order nouveau en Asie Orientale) وأرادوا لهذا النظام أن يضم بين جناحيه كلا من الصين ، ومنشوكو ، واليابان، الأمر الذي يعني تكريس الزعامة اليابانية في تلك المنطقة من العالم ، وسرعان ما قام الحكام اليابانيون بصياغة عبارة جديدة وهو إيجاد "منطقة الرخاء المشترك لشرق آسيا" (Sphere de Co-prosperite d'Est Asiatique) وذلك في الوقت الذي أنشأ اليابانيون وزارة جديدة على نحو ما تفعل الدول الاستعمارية أطلقوا عليه اسم وزارة آسيا الشرقية العظمى

(Ministere de la grande Asia Orientale) وأصبح حلم الزعامة حقيقة واقعة على الأقل أمام أعين اليابانيين (cxix).

وتنبغى الإشارة إلى أن النصر العسكري الصاعق الذي حققته اليابان في بيرل هاربور قد أحدث أثراً سيكولوجياً ضخماً انعكس أثره سلباً على اليابانيين فقد تسببت كارثة بيرل هاربور في تلاحم الشعب الأمريكي الذي لا يزال حتى تلك اللحظة منقسماً حول دخول الحرب العالمية أو عدم التورط فيها، وصار الشعب الأمريكي موقناً بضرورة حمل السلاح بسحق اليابان والألمان على حد سواء .

وقد انهمكت الولايات المتحدة في ديسمبر 1941 في إعادة بناء قواتها العسكرية. وفي مايو 1942 تمكنت الوحدات الأمريكية ، والاستراتيجية من الاشتباك في معركة "مرتجفة" مع الأسطول الياباني . وفي يونيو من نفس العام تمكنت إحدى الأسراب الأمريكية من إلحاق هزيمة شديدة بالأسطول الياباني لأول مرة. وكان هذا الأسطول يزعم السيطرة على جزيرة ميداوي (Midway) في المنطقة الواقعة غرب هاواي .

وفي سبتمبر 1942 كان اليابانيون يعبرون أدغال غينيا الجديدة للوصول إلى طرفها الجنوبي لكن زحفهم توقف بمعركة شرسة استمرت حتى شهر فبراير 1943. وفي نهاية الأمر أرغم اليابانيون على التوقف عند وادي قنال في شمال شرق استراليا، وبذلك يكون الغزو الياباني قد وصل إلى منتهى اتساعه منذ السنة الأولى من الحرب .

على أنه ينبغي ملاحظة أن اليابان منذ دخولها الحرب ضد الولايات المتحدة في عام 1941 كانت تستخدم أقصى طاقاتها الاقتصادية ، وكانت قبل ذلك قد أجهدت قواها في محاولة السيطرة الكاملة على الصين منذ أن احتلت أراضيها منذ عام 1937. وقد استخدمت الصين لأول مرة حرب العصابات لإنهاك اليابانيين. وعلى ذلك فإنه كان على اليابان أن تجند كافة مواردها من

الطاقة البشرية، وكان عدد سكان الولايات المتحدة ضعف عدد سكان اليابان من جهة كما كانت طاقتها الاقتصادية عشر أضعاف طاقة اليابان من جهة أخرى .

وكان من المستطاع في المراحل الأولى للحرب أن تعوض الروح القومية لليابان عن النقص في الوسائل المتاحة . لكن استمرار الانهك أثر ولاشك على الروح المعنوية . ومع ذلك فلقد حارب اليابانيون بشراسة مذهلة، ولم يترددوا أمام الموت. لكن تفوق العتاد الأمريكي كان أكبر من شجاعة الجنود، فقد استخدمت الولايات المتحدة الغواصات، وعمدت إلى بث الألغام في الموانئ الإستراتيجية، وقرب نهاية عام 1944م كان قد تم عزل معظم الحاميات اليابانية، وأصبحت هدفاً سهلاً للقصف الأمريكي وإشتد شعور اليابانيين بنقص الإمدادات من المواد الخام.

لقد كانت المعركة الكبرى التي تعتبر نقطة تحول في مسار الحرب هي التي تمت في ليتي (Leyte) في وسط الفلبين في 20 أكتوبر، والتي تمكن الحلفاء فيها من إنزال ربع مليون جندي، وخسرت اليابان في هذه المعركة الحاسمة أغلب ما تبقى لها من أسطولها في محاولة لصد هذا الغزو المضاد. وفي يناير 1945م نزلت القوات الأمريكية بالقرب من مانيلا، وإستولى الأمريكيون على مانيلا بعد معركة شرسة، وتجمعت القوات الأمريكية في أوكلندا.

ولما شعر اليابانيون بقرب غزو بلادهم لم يترددوا في قذف آخر ما لديهم من طائرات على السفن الأمريكية، وكما حدث لليابانيين في تاريخهم القديم بهبوب الأعاصير التي أنقذت بلادهم من الغزو المغولي عام 1281م والذي أطلق اليابانيون عليهم إسم الكاميكاز Kamikaze قام الطيارون اليابانيون بطلعات إنتحارية مذهلة أطلق عليها نفس الإسم تبركاً بها. ولكن التفوق العسكري الأمريكي إنتهى بالتغلب على هذه البطولة الخارقة، وتم

الإستيلاء النهائي على جزيرة أوكيناوا في يونيو 1945م ،وقد خسرت اليابان في هذه المعركة نحو 110.000 جندي.

في هذا الطرف كانت ألمانيا قد إستسلمت في 7 مايو، وأصبح واضحاً أن اليابان لن تكسب الحرب ، ومع ذلك ظلت الروح المعنوية بين المدنيين عالية، وظل الشعب الياباني يقبل كافة أنواع الحرمان والكوارث فجاء تصميمه على النضال حتى النهاية.

والحقيقة أنه منذ حلول عام 1944م كانت حاشية الإمبراطور تدرك تفاقم الوضع العسكري، وتسعى إلى إبرام هدنة. وفي يوليو 1944م تمكنوا من إجبار الجنرال توجو على التنازل عن رئاسة مجلس الوزراء.

ومنذ شهر يونيو 1944م دعا الإمبراطور إلى عقد مجلس أعلى للحرب للنظر في وقف القتال، وطلب وساطة الإتحاد السوفيتي. ولكن الولايات المتحدة أعلنت عدة مرات عن إصرارها على التسليم غير المشروط لكل من اليابان، وألمانيا ثم أكدت ذلك في إعلان بوتسدام في 26 يوليو الذي حدد التسليم غير المشروط.

وكان على اليابان أن تفقد كل ممتلكاتها الإستعمارية، وأن تشرب من نفس الكأس ويجرى إحتلال أراضيها حتى تصبح دولة مسالمة تماماً ومنزوعة السلاح. وهكذا إقتربت الحرب العالمية الثانية من نهايتها المحتومة. ولكن الأمريكيين دون تفكير عميق في عواقب قرارهم ألغوا قنبلتين ذريتين على كل من هيروشيما، ونجازاكي في 6، 9 أغسطس 1945م على التوالي. ويكفي أن نشير إلى حجم الدمار الذي ألحقه إسقاط هاتين القنبلتين، وهو فقد اليابان 200.000 نفس بشرية، وإدخال العالم كله إلى العصر النووي. وتجدر الإشارة في هذا المقام إلى مؤتمرين هامين في تاريخ الحرب العالمية الثانية بوجه عام، وبمصير اليابان بوجه خاص وهما مؤتمر القاهرة لعام 1943م ومؤتمر بالتا لعام 1945م^(xxx).

وبعد أن منيت اليابان كما رأينا خلال عام 1943م بالهزائم المتلاحقة التقى تشيانج كاي شيك في القاهرة بكل من ونستون تشرشل رئيس الوزراء البريطاني والرئيس الأمريكي روزفلت، وتمخض هذا اللقاء عن إعلان القاهرة في أول ديسمبر 1943م. وقد تضمن الإعلان تأكيد هؤلاء القادة لإرادتهم على مواصلة الصراع ضد اليابان، حتى يتسنى إستعادة كافة الأراضي التي إستولت عليها بالقوة، مثل منشوريا، وفرنموزا وجزر البسكادور ((حتى ينبغي إعادتها إلى الصين)). وكذلك تحرير كوريا ((التي ينبغي أن تصبح مستقلة)). ولم تشارك روسيا في هذا اللقاء الهام. ولكن توافرت في حقيقة الأمر فرصة سانحة أمام الزعيم السوفيتي ستالين في 4 يونيو 1944م. وهذه الفرصة تمثلت نزول قوات الحلفاء في نورماندى، وأصبح وضع القوات الألمانية مزعزعا، ومن ثم أصبحت اليابان هي العدو الوحيد المتبقى أمام الحلفاء. ومع ذلك فإن الصين لم تكن في وضع يحقق لها القيام بالهجوم. وكان ماوتسنى تونج قد أكد في 12 يونيو من نفس العام لمنافسه تشيانج كاي شيك مساندته غير المشروطة للصراع ضد اليابان، كذلك عاجلت المنية وانج تسينج (Wang Tsing) في 10 نوفمبر 1944م وكان مواليا لليابان مخلفاً حكومة قد أصابها الوهن. كل ذلك مهد الطريق أمام ستالين لحبك مناورة سياسية غاية في البراعة والدهاء بالدعوة إلى مؤتمر يالتا.

وإختار ستالين هذا الظرف المناسب لتوجيه الدعوة إلى مؤتمر يالتا في 3 فبراير 1945م، فدعا حلفاءه البريطانيين، والأمريكيين لهذا المؤتمر في حين لم يوجه الدعوة إلى الصين وكان ذلك أمراً مقصوداً لأن ما سيتمخض عنه المؤتمر سوف يكون على حساب الصين، الأمر الذي يبدو واضحاً من إستعراض شروط يالتا التي كانت كما يلي: (إن زعماء القوى الكبرى الثلاث، الإتحاد السوفيتي، والولايات المتحدة الأمريكية، وبريطانيا العظمى قد إتفقت على أنه بعد إنقضاء ثلاثة أشهر من إستسلام ألمانيا وإنهاء

المعارك فى أوروبا يدخل الإتحاد السوفيتى الحرب ضد اليابان إلى جانب الحلفاء بشرط (cxxl).

1- أن يظل الحفاظ على الوضع الراهن فى منغوليا الخارجية ((أى جمهورية منغوليا الشعبية).

2- أن يستعيد الإتحاد السوفيتى الحقوق السابقة التى إغتصبت منه عن طريق الهجوم اليابانى الغادر لعام 1904م أى :

أ- أن يعاد الجزء الجنوبى من سخالين والجزر المجاورة إلى الإتحاد السوفيتى.

ب- أن يجرى تدويل ميناء دايرين التجارى، وإن يجرى الحفاظ على المصالح المتعاضمة للإتحاد السوفيتى فى هذا الميناء وإن يعاد إستجار ميناء بورت آرثر كقاعدة بحرية للإتحاد السوفيتى.

ج- أن يعاد إستغلال الخط الحديدى لشرق الصين، والخط الحديدى لجنوب منشوريا بإعتبارهما منفذاً لميناء دايرين ، وذلك عن طريق إنشاء شركة صينية - سوفيتية على أساس أن يجرى الحفاظ على المصالح المتعاضمة للإتحاد السوفيتى، وإن تحتفظ الصين بكامل سيادتها على منشوريا.

د- أن يجرى تسليم جزر الكوريل إلى الإتحاد السوفيتى ويبقى مفهوماً أن الشروط المتعلقة بمنغوليا الخارجية، وكذلك الموانئ والسكك الحديدية المشار إليها بعاليه تستلزم موافقة الجنرال تشيانج كاي شيك، وطبقاً لما يراه المارشال ستالين يسعى الرئيس ((روزفلت)) للحصول على هذه الموافقة.

ويتفق زعماء القوى الكبرى الثلاث على أنه يجب تحقيق مطالب الإتحاد السوفيتى ((دون مناقشة)) بمجرد أن تحقق هزيمة اليابان.

ويعلم الإتحاد السوفيتي من جانبه إستعداده لأن يبرم مع حكومة الصين ((الوطنية)) ميثاق للصدقة والتحالف من أجل تقديم المساعدة للصين بقواتها المسلحة لتحريرها من نير اليابانيين.

على أن السياسة السوفيتية كانت تهدف من وراء عقد مؤتمر يالتا إلى تحقيق هدفين على مرحلتين : أولهما القطيعة مع اليابان وإدارة ظهرها إليها ثم إبرام معاهدة جديدة مع الصين من أجل تثبيت أقدامها في منشوريا.

فأما بالنسبة للمرحلة الأولى، فإن معاهدة عدم الإعتداء التي كان الإتحاد السوفيتي قد أبرمها مع اليابان، ومدتها خمس سنوات يمكن التحلل منها بإشعار يبلغ لليابان قبل إنتضاء هذه السنوات الخمس بعام واحد أى في 13 أبريل 1945. وهذا ما بدا واضحاً حيث قام وزير الخارجية السوفيتي مولوتوف بإستدعاء سفير اليابان في موسكو لوضح له أن الأمور قد تغيرت تغيراً جذرياً منذ توقيع المعاهدة المذكورة في عام 1941م. ذلك أن ألمانيا قد هاجمت الإتحاد السوفيتي الذي وجب عليه التحالف مع إنجلترا والولايات المتحدة، وهاتان الدولتان تعتبران في حالة حرب مع اليابان ... وإن الإتحاد السوفيتي قد أصبح والحالة هذه يتمسك بحقه في فسخ المعاهدة طبقاً للمادة الثالثة من الميثاق المذكور.

وأما بالنسبة للمرحلة الثانية - هي تحقيق التقارب مع الصين من أجل ترسيخ أقدام السوفيت في منشوريا - فإن الأوضاع دفعت بهذا التقارب دفعاً. ففي مؤتمر سان فرانسيسكو في أبريل 1945م حيث كان الحلفاء يسعون إلى إرساء قواعد منظمة الأمم المتحدة، قام السوفيت بعقد عدد من الإجتماعات الودية مع الصينيين، وعملوا على تشجيع إطلاق العنان للشائعات القائلة بأن الإتحاد السوفيتي ينوى القيام بإعلان الحرب على اليابان. ولما إستسلمت ألمانيا في 7 مايو 1945م كان الأمر يقتضى الإسراع في تحقيق هذا الهدف، لأن اليابان طلبت من روسيا السوفيتية التوسط بينها وبين الحلفاء، لما

لاحظت أن الإتحاد السوفيتي لم يكن ضمن الحلفاء الثلاثة الآخرين المجتمعين في برلين، وأنه لم يوقع على إعلان بوتسدام في 26 يوليو 1945م ذلك الإعلان الذي أعلنت فيه كل من الصين وإنجلترا والولايات المتحدة لا يرضون بديلاً عن تسليم اليابان تسليماً غير مشروط. ولذلك فمنذ حلول 8 أغسطس أعلن مولوتوف للسفير الياباني أن تحالف الإتحاد السوفيتي مع الحلفاء يستلزم إنضمامها إلى إعلان توتسدام - الأمر الذي يعنى أن الإتحاد السوفيتي يعتبر نفيه منذ 9 أغسطس في حالة حرب مع اليابان.

وإذا علما أن القنبلة الذرية الأولى ألقيت في هيروشيما في 6 أغسطس وإن القنبلة الثانية ألقيت على نجازاكي في 9 أغسطس، وإن المعاهدة الصينية - الروسية أبرمت في 14 أغسطس 1945م، فإن حرب السوفيت ضد اليابان تكون لم تستغرق ستة أيام كاملة حققت فيها توقيع المعاهدة المنشودة مع الصين. وقد نصت المعاهدة أن تكون مدتها 30 عاماً، ولم تتضمن سوى ثمانية مواد تضمنت ضرورة مواصلة النضال، وعدم توقيع أى سلام منفرد إلخ. ولكن ملحقات المعاهدة هي التي كانت أكثر أهمية من المعاهدة ذاتها، إذ أنها تضمنت تقديم المساعدة العسكرية، والمادية، والمعنوية لحكومة الصين ((الوطنية)) (فقط). أما بالنسبة لشرق الصين وميناء بورت آرثر، فكانت تشغل ثلاثة ملاحق تحوى عشرين مادة عن ((الملكية المشتركة))، و((الإدارة المشتركة)) لخط السكك الحديدية.

ولقد كانت الصين يراودها الأمل أن تتضمن المعاهدة تحديداً حول التاريخ الذى تجلو فيه القوات الروسية عن منشوريا. ولكن الملاحق لم تشر من قريب أو بعيد إلى ذلك، وإن كان الجلاء الروسى لم يتم إلا في 3 مايو 1946م - أى بعد ثمانية شهور من إستسلام اليابان.

بعد الإشارة إلى مؤتمر يالطا، فقد يحسن الإشارة أيضاً إلى مؤتمر بوتسدام وإنذار بوتسدام الشهير، فرغم وفاة الرئيس روزفلت تم إفتتاح مؤتمر

سان فرانسيسكو فى موعده المحدد فى 25 ابريل 1945م - لوضع ميثاق الأمم المتحدة وبعد إفتتاح هذا المؤتمر بوقت قصير سلمت المانيا تسليماً بدون قيد أو شرط. وفى 26 يوليو 1945م أذاعت أمريكا ، وبريطانيا ، والصين بيان بوتسدام الذى دعت فيه هذه الدول اليابان إلى الإستسلام دون قيد أو شرط وإلا واجهت الدمار العاجل والشامل. ولكن اليابان تباطأت فى الإستجابة لهذا النداء - الأمر الذى أسفر عن إلقاء القنبلة الذرية الأولى على هيروشيما فى 6 أغسطس 1945م ، والقنبلة الثانية فى 9 أغسطس 1945م. وفى خلال الفترة بين إلقاء القنبلة الأولى والقنبلة الثانية دخلت روسيا الحرب ضد اليابان وبدأت فى مهاجمة منشوريا.

وإنعقد مؤتمر إمبراطورى يابانى فى ساعة متأخرة من ليل 9 أغسطس للنظر فى أمر قبول بيان بوتسدام، وإنتهى الأمر إلى أن قبلته اليابان بشرط واحد هو ألا يتضمن المساس بسلطات صاحب الجلالة الإمبراطور بإعتباره السيد الأعلى للبلاد. ولكن الرد الأمريكى كان عنيفاً، إذ تضمن القول ((أنه من اللحظة التى يتم فيها الإستسلام يصبح الإمبراطور والحكومة اليابانية خاضعين للقائد العام للحلفاء)).

وما لبث أن إنعقد مؤتمر إمبراطورى آخر صباح يوم 14 أغسطس أصدر فيه الإمبراطور أوامره بقبول العرض الأمريكى برغم معارضة العسكريين اليابانيين لذلك. وفى ظهر اليوم التالى أذيع بيان الإستسلام على الأمة اليابانية. ثم فى 30 أغسطس بدأ الأمريكيون فى الوصول إلى أرض اليابان نفسها. وفى سبتمبر 1945م أقيم الإحتفال الرسمى لإستسلام اليابان على ظهر الباخرة الأمريكية ميسورى فى خليج طوكيو. وهكذا كتب على اليابان أن تندحر فى الحرب العالمية الثانية.

لقد رأينا اليابان فى أقل من أربعة شهور خلال عام 1942م قد أصبحت مسيطرة على إمبراطورية إستعمارية يقطنها حوالى 500 مليون نسمة توفر

لها معظم إنتاج العالم من المطاط، 75% من القصدير، وكميات هائلة من البترول والتانجستين، وغير ذلك والكثير من المعادن، والمواد الإستراتيجية الأخرى، الأمر الذى جعل طوكيو تقوم بإنشاء وزارة جديدة ((لآسيا الكبرى)). وعلى الرغم من هذه الانتصارات فإن اليابان ترددت كثيراً أمام غزو الهند. وقد كان ذلك هو الوقت الذى تعد فيه المانيا لهجومها بإتجاه القوقاز. وكان من المتصور أن يكون هناك جهد يابانى - المانى مشترك تتصل فيه القوات اليابانية مع القوات الألمانية فى مكان ما يقع ما بين البحر الأسود والهند، وكان اليابانيون - والحالة هذه - قد تقدموا على الألمان فى الوصول إلى تلك المنطقة المنشودة. ولكن الألمان أمكن صدهم فى ستالينجراد، لذلك فإن أى تفكير من جانب اليابان لمهاجمة الهند تبدد تماماً.

نقطة أخرى نود أن نشير إليها فى ختام حديثنا عن إنحدار اليابان فى الحرب العالمية الثانية وهى أن اليابان فى مخططها الإستعمارى وأحلامها الواسعة تجاهلت عدة حقائق وأسست خططها على عدة إحتتمالات، فاما عن هذه الحقائق التى تجاهلتها فهى أنه ما كان لليابان أن تحتفظ بمستوى مجهودها الحربى لمدة طويلة نظراً لأن الإقتصاد اليابانى كان يعتمد بصفة أساسية على وارداتها من البترول والفحم، والحديد الخام، والبوكسيت، ومواد إستراتيجية أخرى كثيرة. ولم يغيب عن ذهن الولايات المتحدة هذه الحقائق فقامت القوات البحرية، والجوية الأمريكية بإقامة نطاق حول جزر اليابان بلغ من القوة حداً منع هذه الواردات من الوصول إلى اليابان. والحقيقة الثانية التى تجاهلتها وما كان ينبغى أن تغيب عن ذهنها تمثلت فى قوة الإقتصاد الأمريكى كعمق إستراتيجى للقوات الأمريكية الضاربة ونسبت اليابان ((فوكوكو - كيوهى)) ذلك الشعار الذى طالما رددته.

أما الإحتتمالات التى أسست عليها اليابان خططها فقد كانت متمثلة فى ظننا بإحتمال هزيمة الروس فى أوروبا فى خريف عام 1941م - الأمر

الذى دعا اليابان إلى إتخاذ موقفها المتشدد تجاه الولايات المتحدة، كذلك كان يراودها الأمل فى أن تحرز ألمانيا نصراً ساحقاً على الساحة الأوروبية وهو ما لم يتحقق.

وهكذا نجد اليابان قد فقدت فى ظل الإحتلال كل ما كان لها من ممتلكات وعادت أراضيها إلى ما كانت عليه عام 1894م، على الرغم من أن عدد سكان اليابان كانوا حينذاك 42 مليوناً، ولكنهم فى ظل الإحتلال بلغوا 70 مليوناً، فاسترجعت روسيا ممتلكاتها التى فقدتها فى عام 1905م مثل بورت آرثر ، وجزر الكوريل ، والجزء الجنوبى من سخالين. أما كوريا فقد جرى تقسيمها إلى قسمين، القسم الشمالى ويحتله الإتحاد السوفيتى، والقسم الجنوبى وتحتله الولايات المتحدة. أما جزر المحيط الهادى التابعة لليابان فقد ضمتها الولايات المتحدة إلى ممتلكاتها^(cxxxii).

ثانياً- معاهدة السلام والصداقة بين البلدين 1978

وقد أسفر تفاعل تطوير العلاقات فى النصف الأول من عام 1978م عن إقتراح السفير اليابانى فى بكين يوم 31 مايو إستئناف المباحثات بخصوص معاهدة السلام بين البلدين. ويمكن إستخلاص أبرز العوامل التى أدت لهذا التطور الجديد فى الآتى :

1- إستقرار القيادة الصينية وإتجاهها للإعتدال بعد الصراع الذى ساد منذ وفاة ماوتسى تونج، وتركيز القيادة على التنمية الداخلية ، وإستيراد التكنولوجيا.

2- إحساس الصين بأن الإتحاد السوفيتى دائب العمل على محاصرتها، ومن ثم تحركت بسرعة للتغلب على حادثة الصيد مع اليابان.

3- يأس القيادة اليابانية من محاولة إنتزاع أية تنازلات من الإتحاد السوفيتى تؤد إلى إستعادة الجزر الشمالية الأربع.

4- ضغط رجال الأعمال في اليابان من أجل التطبيع الكامل بتوقيع المعاهدة.

5- إستعداد اليابان لانتخابات ديسمبر 1978م وكان ينافس فوكودا المستر أوهيرا وهو من المؤيدين للصين.

وفي 12 أغسطس عام 1978م تم التوقيع في بكين من قبل وزيرى خارجية اليابان والصين على معاهدة السلام والصداقة بين البلدين بعد ثلاث سنوات من توقف المفاوضات الخاصة بها. وعندما استؤنفت المفاوضات فى الأسبوع الأخير من يوليو فإن عملية الصياغة استغرقت ثلاثة أسابيع وتولى ذلك السفير اليابانى فى بكين ونائب وزير الخارجية الصينى. وينقسم هذا المطلب إلى ثلاثة أقسام :

1- معاهدة السلام - تحليل ومقارنة.

2- زيارة تنج هسياوينج وتبادل وثائق التصديق.

3- النتائج.

وتتكون المعاهدة من ديباجة وخمس مواد. تشير الديباجة إلى أن المعاهدة عقدت فى إطار البيان المشترك بين البلدين عام 1972، ووفقاً لمبادئ الأمم المتحدة، وأن الهدف من عقدها تنمية علاقات السلام والصداقة بين الدولتين. وتطلع كل منهما للمساهمة فى السلام والاستقرار فى آسيا والعالم.

وتوضح المادة الأولى أن الطرفين سيطوران علاقات الصداقة والسلام بينهما على أساس مبادئ الإحترام المتبادل لسيادة وسلامة أراضي كل منهما، وعدم التدخل فى الشؤون الداخلية، وعدم الاعتداء والمساواة والمنفعة المتبادلة، والتعايش السلمى، وتسوية الخلافات بالطرق السلمية، وعدم اللجوء للقوة أو التهديد بها.

أما المادة الثانية فتتص على ((يعلن الطرفان المتعاقدان بأن أيًا منهما لن يسعى للهيمنة في منطقة آسيا الباسيفيك أو على أية منطقة أخرى، وأن كلا منهما يعارض جهود أية دولة أخرى أو مجموعة من الدول لإقامة مثل هذه الهيمنة)) وهذا هو الشرط الخاص بمناهضة الهيمنة، والذي كان العقبة الكؤود في توقيع المعاهدة وأثار نائرة الإتحاد السوفيتى.

والمادة الثالثة تتعلق بسعى كلا الطرفين لتطوير العلاقات الإقتصادية، والثقافية والإتصالات بين الشعبين.

والمادة الرابعة تنص على ((أن هذه المعاهدة لن تؤثر على موقف أى طرف متعاقد ازاء علاقاته بدول أخرى)) وقصد بهذه المادة التخفيف من وقع المادة الثالثة بتوضيح أنها ليست موجهة ضد أى طرف ثالث وبخاصة الإتحاد السوفيتى.

أما المادة الخامسة فهي تتعلق بتبادل وثائق التصديق وبالمدة المبدئية للمعاهدة وهي عشر سنوات وأن تظل سارية بعد ذلك مالم يخطر أى من الطرفين الطرف الآخر، عند إتمام المرحلة المبدئية أو فى أى وقت بعدها على أن يكن الإخطار كتابة قبل عام من الإلغاء (cxiii).

والنظرة المتأنية للمعاهدة يمكن أن تكشف النقاط التالية :

1- المبادئ التى أشارت إليها المعاهدة مثل الإحترام المتبادل للسيادة وسلامة الأراضى، وعدم التدخل فى الشؤون الداخلية، والمساواة والمنفعة المتبادلة والتعايش السلمى، وعدم اللجوء لإستخدام القوة فى المنازعات التى تنشأ من علاقاتها الثنائية والتعايش السلمى لم يأت بجديد فهي مبادئ عامة، وإن كان القصد منها ربما إرساء هذه المبادئ فى ضمير كلتا الدولتين، والعمل بها فى علاقاتها مع الدولة الأخرى، ومن ثم التوصل بطريق غير مباشر لحل المشاكل التى لم تتم تسويتها بعد مثل الخلاف حول السيادة على جزر سنكاكو أو الوضع النهائى لتايوان بإعتبار أن اليابان ذكرت فى البيان

المشترك لعام 1973م أنها تتفهم تماماً، وتحترم وجهة نظر الصين في هذا الشأن ولم تذكر أنها تعترف أو تقبل بها.

2- أن المادتين الثانية والرابعة وهما الخاصتان بما سمي بالشرط المناهض للهيمنة - وهو التعبير الصينى الموجه ضد الاتحاد السوفيتى وسياسته خاصة فى الباسيفيك الآسيوى - ليستا جديدتين فقد سبق أن تضمنهما البند (7) من بيان عام 1972م مع إختلاف طفيف فى التعبير إذ نص ذلك البند على ((أن تطبيع العلاقات بين الصين واليابان ليس موجهاً ضد دولة أخرى. ولا يجب على أى من الدولتين أن تسعى للهيمنة فى إقليم الباسيفيك الآسيوى وأن كلاهما يعارض جهود أية دولة أخرى أو مجموعة من الدول لإقامة مثل هذه الهيمنة)). والإختلاف مع نص المادتين 2، 4 يتمثل فى :

(أ) إضافة عبارة ((أو على أية منطقة أخرى)) فى المادة الثانية وهذه الإضافة تنازل صينى لإرضاء اليابان لتواجه الاتحاد السوفيتى بأن المقصود من تعبير الهيمنة ليس هو وليس سياسته فى آسيا وإنما هو مبدأ سياسى عام إلا أن هذا النص لم يخدع أو يرضى الاتحاد السوفيتى الذى كان يدرك معنى الإصرار الصينى وراء النص، ومن ثم هدد بإتخاذ رد فعل إنتقامى ضد اليابان لحماية مصالحه وإن كان البيان الذى نشرته وكالة ناس فى 15 أغسطس 1972م ترك الباب مفتوحاً بقوله ((أن المستقبل سيظهر ما إذا كانت اليابان ستكون قادرة على إتباع سياسة خاصة مستقلة)).

وصرح نائب رئيس الوزراء الصينى تنج هيساوينج فى 6 سبتمبر 1978م بأن الصين ستنتهى معاهدة التحالف مع الاتحاد السوفيتى قبل أبريل 1979م وأنه يؤيد إحتفاظ اليابان بقوة الدفاع الذاتى. وهذا التصريح منطقى لأن المعاهدة الصينية السوفيتية كانت موجهة ضد اليابان والعسكرية اليابانية ولو من الناحية القانونية على الأقل.

(ب) وفي مقابل التنازل الصيني قدمت اليابان تنازلاً في المادة الرابعة إذ نصت على ((أن المعاهدة لن تؤثر على موقف أى طرف)) بينما كان البيان المشترك لعام 1972م ينص على ((أن تطبيع العلاقات غير موجه ضد دولة أخرى)) وكانت اليابان تطالب بأن يكون نص هذه المادة ((بأن المعاهدة غير موجهة ضد دول أخرى)).

(ج) بينما تضمن البند 7 من البيان المشترك كلا المبدأين فإن معاهدة السلام خصصت لهما مادتين ليس فقط مستقلتين بل وأيضاً منفصلتين بالمادة الثالثة التي تتناول العلاقات الثنائية بينهما. وكأنه قصد بطريق غير مباشر أضعاف الرابطة بين مبدأ مناهضة الهيمنة ومفهوم كون أن المعاهدة لا تؤثر على علاقات أى طرف بالدول الأخرى. وبعبارة أخرى فإن المفهوم المتضمن في المادة الرابعة يمكن القول بأنه من قبيل تحصيل الحاصل إذ أنه من المبادئ القانونية المقررة ألا يؤثر تعاقد دولة على تعاقدها مع دولة ثالثة ليست طرفاً في التعاقد الأول لأن العقد شريعة المتعاقدين، كما أن فكرة عدم التأثير نابعة من مبدأ إحترام سيادة كل طرف فلو إفترضنا تأثر علاقات اليابان بالدول الأخرى بالمعاهدة مع الصين فإن ذلك معناه أن الصين لا تلتزم بإحترام مبدأ السيادة وعدم التدخل في الشؤون الداخلية لليابان أو أن دولة ثالثة ليست طرفاً في تعاقد يترتب عليها إلترام أو يقع عليها ضرر ومن ثم فإنها تستطيع أن تطالب بتعويض عن مثل هذا الضرر الناتج عن تعاقد ليست طرفاً فيه ولا تعترف به.

والخلاصة أن تعصر مباحثات معاهدة السلام بين اليابان والصين بسبب ما سمي بشرط مناهضة الهيمنة لم يكن له مبرر منطقي أو قانوني فليس هذا الشرط بجديد، وأنه يمكن إرجاع هذا التعثر إلى رغبة اليابان في تطوير علاقاتها مع الإتحاد السوفيتي وتوقيع معاهدة سلام معه تؤدي لإستعادة الجزر الشمالية، وعندما لم تتمكن من ذلك قبلت بما سبق أن وافقت عليه في البيان

المشترك مع تعديل طفيف لكي تحتج به في مواجهة الاتحاد السوفيتي بأنه ليس مقصوداً به وكانت اليابان تفسر رفضها قبول الشرط الخاص بالهيمنة بأن هذه معاهدة ثنائية ولا معنى للإشارة لطرف ثالث فيها لأن مثل هذه الإشارة مخالفة للممارسة الدولية^(cxxxiv).

3- يثور تساؤل حول معاهدة السلام والصداقة بأنه إذا كان بيان عام 1972م قد أنهى الحالة الشاذة في العلاقات بين البلدين وأصبحت الصين واليابان على علاقات حسنة فما هو الداعي لمثل هذه المعاهدة؟ وللرد على ذلك يرى البعض أن المعاهدة تعد بالنسبة لليابان تكملة وخروجاً من سآزق معاهدة السلام السابق توقيعها مع حكومة الصين الوطنية (فرموزا) بعد الحرب العالمية الثانية والتي لم تعترف بها الصين الشعبية، ولا تود اليابان إلغائها رسمياً - رغم ما صرح به وزير خارجيتها عام 1972م من أنها ((فقدت سبب وجودها وإنتهت)).

ولكن مثل هذا التصريح من قبل وزير الخارجية لا يلغى من الناحية القانونية معاهدة دولية، وافق عليها البرلمان دون أن يقرر إلغائها حتى الآن، ولا ترغب الحكومة في إثارة القضية في البرلمان حتى لا يعترض أنصار تايوان.

4- أن مقارنة معاهدة السلام والصداقة مع الصين الشعبية بمثلتها مع تايوان والمسماة معاهدة ((السلام)) فقط الموقعة في 28 أبريل 1952م، توضح عدة فروق تتمثل في :

(أ) أن معاهدة السلام والصداقة مختصرة وعامة بعكس معاهدة السلام مع الصين الوطنية (تايوان) فقد تضمنت ديباجة وأربعة عشر مادة عرضت تفصيلاً لوضع العلاقات الذي ساد بين الصين واليابان كذلك نصت على كيفية تسوية أي إختلافات في التفسير أو منازعات ناشئة عن تطبيق المعاهدة كما نصت على أنها حالة الحرب. والحق بالمعاهدة بروتوكول يوضح مفهوم كل

من الطرفين لبعض بنود المعاهدة فيما يتعلق بالأراضي والتجارة. ولعل هذا الاختلاف في حجم المعاهدة ومضمونها مرجعة لعدة اعتبارات :

الأول : أن معاهدة السلام مع تايوان كانت بالفعل بعد فترة من الحرب الحقيقية بين الصين واليابان بعكس معاهدة السلام مع بكين فكانت بعد أكثر من ثلاثين عاماً من الإنتهاء الفعلي للحرب وأن لم تقم العلاقات الرسمية سوى عام 1972م فإن هناك علاقات غير رسمية كانت قائمة بل وذات فعالية فضلاً عن أن العلاقات الرسمية الثنائية تطورت في الفترة من 1972 حتى 1978م إذ تم نقد إتفاقات تجارية، وصيد، وطيران ونحو ذلك.

الثاني : أن معاهدة السلام مع بكين يمكن إعتبارها وحدة مكملة لبيان إقامة العلاقات عام 1972م بعكس معاهدة السلام مع تايوان التي كانت أول إتصال حقيقى بين الدولتين.

(ب) أن معاهدة السلام مع تايوان كانت مرتبطة بمعاهدة السلام اليابانية مع الدول الغربية الموقعة في سان فرانسيسكو بتاريخ 8 سبتمبر 1951م، كما أنها مرتبط من الناحية السياسية بالعلاقات اليابانية مع الولايات المتحدة بعكس معاهدة السلام مع بكين التي تعكس الإستقلال الحقيقى لكلا البلدين عن القوتين الأعظم بل أن الإتحاد السوفيتى كان يعارض أحد بنود هذه المعاهدة والخاص بالهيمنة حيث اعتبره موجهاً ضده.

(جـ) أن المعاهدة مع بكين سميت ((معاهدة السلام والصداقة)) بعكس معاهدة تايوان سميت ((معاهدة السلام)) فقط وهذا الاختلاف في التسمية ليس شكلياً بل أنه يعكس الرغبة الحقيقية لكلا الدولتين في بناء علاقات متينة من الصداقة وهذا هو ما جعل الدول الأخرى وخاصة الإتحاد السوفيتى يتخوف بصورة واضحة من تلك المعاهدة أما الولايات المتحدة وإن لم تعلن تخوفها فهي تخشى من أن تتطور العلاقات بين الصين واليابان إلى علاقات تحالف في المستقبل يد ن أن تؤثر على مصالحها في المنطقة.

(د) أن المعاهدة مع الصين الوطنية وقعت في طوكيو وتم تبادل وثائق التصديق في تايبيه بعكس المعاهدة مع الصين الشعبية التي وقعت في بكين وتم تبادل وثائق التصديق في طوكيو وهذا يمكن تفسيره على أنه يعكس نقل الطرف الذي وقعت المعاهدة في عاصمته في مواجهة الطرف الآخر.

(هـ) أن المعاهدة مع الصين الوطنية أعدت بلغات ثلاث اليابانية والصينية والإنجليزية وفي حالة الخلاف يحتكم للنص الإنجليزي (المادة 14) أما المعاهدة مع الصين الشعبية فأعدت بالصينية واليابانية ولم يشر لكيفية الإحتكام في حالة الخلاف في أى نص لها. ولعل مرجع ذلك أمرين :

أولهما : إعتداد كل من الدولتين بلغتها الوطنية في حين أنه في حالة الصين الوطنية كان النفوذ الأمريكى هو السائد في كلا الدولتين آنذاك.

ثانيهما : أن معاهدة السلام والصداقة مع بكين تضمنت مبادئ عامة بعكس معاهدة السلام مع تايوان فكانت تفصيلية الأمر الذى يجعل الخلاف يمكن أن يثور بصدد تفسير المعاهدة الثانية وليس الأمر كذلك بالنسبة للمعاهدة الأولى.

(و) أن معاهدة السلام والصداقة مع بكين مدتها عشر سنوات مع إمكان إستمرارا سريانها ما لم يخطر أحد الطرفين برغبته في إنهاؤها كتابة قبل سنة من الإلغاء. أما معاهدة السلام مع تايوان فلم يحدد لها مدة معينة ولم ينص على كيفية إلغائها وهذا منطقي فلا يمكن أن يكون هناك سلام بين دولتين يحدد بأجل معين وإلا كان هدنة وليس سلاماً. وربما يمكن تفسير المدة الزمنية في المعاهدة ليس تحالفاً ضد أى دولة وإنما هي أشبه ما تكون بإعلان نوايا للتنمية وتطوير العلاقات (cxxxv).

وقام المستر تتج هسياو. ينج نائب رئيس الوزراء الصينى بزيارة لليابان لمدة ثمانية أيام في الفترة من 22-29 أكتوبر 1978م حيث قام وزيراً

خارجية الصين واليابان بتبادل وثائق التصديق على معاهدة السلام والصداقة بين البلدين في حضور رئيس الوزراء الياباني، ونائب رئيس الوزراء الصيني.

وألقي المستر فوكودا كلمة ذكر فيها أن تطبيع العلاقات بين اليابان والصين عام 1972م قد فتح صفحة جديدة في تاريخ الاتصالات الوثيقة المستمرة بين البلدين والتي ترجع لأكثر من ألفي عام، وأن توقيع معاهدة السلام والصداقة أضاف صفحة جديدة أكثر إشراقاً لهذه العلاقات وسيكون لها تأثيرها بعيد المدى ليس فقط على تقوية العلاقات بين الدولتين بل أنها تعكس أيضاً الآمال المشتركة لكلاهما نحو المساهمة في السلام والاستقرار في آسيا والعالم. وما إعتري تلك العلاقات في بداية هذا القرن داعياً إلى عدم السماح لما حدث بأن يتكرر أبداً. ورد تنج هسياو ينج بكلمة أشاد فيها بالعلاقات القوية بين البلدين عبر التاريخ وكرر ما نصت عليه المعاهدة بأن كلتا الدولتين تعهدتا بعدم السعي للهيمنة ومعارضة مثل هذه الجهود من قبل أية دولة أخرى، وأبرز أن المعاهدة ضربة قوية ضد سياسة الهيمنة التي تمثل التهديد الرئيسي للأمن، والسلام للدولتين.

وقد دعا فوكودا للحفل الذي أقامه لتنج هسياو ينج جميع زعماء الأحزاب المعارضة إلا أن رئيس الحزب الشيوعي الياباني المستر كينجي Kenji لم يحضر، أما الحفل الذي أقامه تنج هسياو ينج فلم توجه فيه الدعوة لرئيس الحزب الشيوعي الياباني. كما رفضت اليابان السماح لإثنين من المراسلين التايوانيين المعتمدين في طوكيو بحضور الحفل أو تغطية الزيارة.

وقد عقد فوكودا وتنج جولتين من المباحثات. الأولى يوم 23 حيث شرح فيها فوكودا موقف اليابان مؤكداً أن سياستها الخارجية المتعددة الاتجاهات لا تعنى الحفاظ على علاقات متساوية مع الجميع ولكن فقط مجرد تجنب

العلاقات العدائية مع أية دولة. وأكد أن معاهدة السلام والصداقة لا تعنى علاقات خاصة بين الدولتين من أجل التواطؤ.

كما لا تعنى أنها تؤثر عكسياً على علاقات أى منهما بالدول الأخرى. وفى الاجتماع الثانى يوم 25 أكتوبر تحدث تنج حيث أبرز الحاجة لإنسحاب القوات الأمريكية من كوريا الجنوبية وذلك لتسهيل الحوار بين الكوريين بما يؤدى لتوحيد البلاد. وإن الإنسحاب الأمريكى لن يؤثر بدرجة ملحوظة على الوجود الأمريكى فى الباسيفيك الغربى فهو إنسحاب فقط لمسافة 200 ميل. كما وعد بأن الصين لن تتخذ إجراءات ملموسة فى كوريا لتأييد الشمال، كما وافقت الصين على الترتيبات الدفاعية اليابانية فى ظل معاهدة الأمن مع الولايات المتحدة وأيضاً السياسة اليابانية الخاصة بتقوية دفاعها الذاتى.

وإستقبل إمبراطور اليابان ((هيروهيٲو)) نائب رئيس الوزراء الصينى يوم 23 أكتوبر حيث تحدث الإمبراطور فى المقابلة عن الصداقة التاريخية الطويلة بين البلدين رغم الأشياء السيئة التى وقعت فى فترة ما، وهى جميعاً تعتبر أحداثاً مضت ((ورد تنج بأن)) ما حدث فى الماضى إنتهى وأنه يجب أن نأخذ الإتجاه بالنظر نحو المستقبل لبناء علاقات سلمية بين بلدينا. ((وعلقت مجلة النيوزويك الأمريكية على لقاء تنج مع الإمبراطور كان بمثابة مانح الصفح والغفران عن الماضى العدوانى اليابانى. وفى محادثاته مع فوكودا المفاوض البارع، وفى جولاته فى المصانع اليابانية للصلب، والسيارات كان التلميذ اليقظ المتطلع لمعرفة التكنولوجيا الحديثة، وفى زيارته للعواصم اليابانية القديمة مثل كيوتو ونارا Kyoto & Nara كان سائحاً ممتازاً.

ومما لفت الأنظار أن تنج هسياو ينج كان فى غاية التواضع فى مؤتمره الصحفى فإعترف بأن بلاده متخلفة، وأن أمامها الكثير يمكن أن تتعلمه من

التكنولوجيا اليابانية وذكر بأنه ليس على درجة كبيرة من الذكاء، وأنه إذا كان غير واضح في حديثه فينبغي أن يصححوه أو يستوضحوه.

وأثناء الزيارة وجه تتج الدعوة لفوكودا لزيارة بكين الذى وعد بذلك ووجه بدوره الدعوة لهواكيوفنج رئيس وزراء الصين، ورئيس الحزب الشيوعى لزيارة اليابان وكذلك زار تتج عدداً من الشخصيات اليابانية البارزة التى ساهمت بدور في تطوير العلاقات بين اليابان والصين مثل تاناكا وأوهيرا وشكرهما على مساهمتهما في تطبيع العلاقات عام 1973م، كما التقى تتج بعدد آخر من الشخصيات في حفل إقامة رئيسا مجلسى الديات وحفلات أخرى أقامتها الدوائر الاقتصادية في طوكيو وفي كانسى Kansai وكذلك منظمات الصداقة اليابانية الصينية فضلاً عن زيارته لعدد من المصانع (xxxvi).

وفي يوم 35 أكتوبر عقد تتج هسياو ينج مؤتمراً صحفياً حضره أكثر من 400 صحفى أعلن فيه أنه بالرغم من الفترة السيئة بين الصين واليابان التى عانى فيها الشعب الصينى من كوارث ضخمة وأن الشعب اليابانى عانى أيضاً من ذلك فإن هذه الفترة مقارنة بالتاريخ الطويل للصداقة بين البلدين تعتبر قصيرة وعابرة. وركز في حديثه على التهديد الحقيقى الذى يواجه البلدين وهو خطر الهيمنة، وأن تضمين المعاهدة هذا المبدأ أمراً فى غاية الأهمية فى ظل الوضع الدولى الراهن. وأبرز أن الصين ما تزال دولة متخلفة، وأن مستوى النمو الصناعى والزراعى فيها ما زال منخفضاً للغاية، وأنها على استعداد للتعلم من الشعب اليابانى العظيم. وعن مشاكل الشعوب المنقسمة مثل كوريا ذكر أنها ستحل عاجلاً أم آجلاً، وهناك دولة تحتل 1% من الأراضى اليابانية (مشيراً للاتحاد السوفيتى دون أن يذكره بالإسم). وعن أهداف الصين أكد أنه يجب الاعتراف أولاً بأنها دولة متخلفة وأن هذا الاعتراف الأهم هو أساس الأمل، وعلى الصين أن تتعلم الكثير من اليابان

وإستطرد فى رده على الصحفى الأوروبى الذى وجه له السؤال عن أهداف الصين. أن الأصدقاء الأوروبيين يمكنهم منافسة اليابان فى هذا الشأن وعن جزر سنكاكو ذكر أن الجيل القادم ربما يكون أكثر حكمة من جيله فى إيجاد حل مقبول لها، وأوضح أن الاختلاف فى وجهة نظر البلدين قائم حتى بالنسبة للتسمية فالصين تسميها بتاويو Tiaoyu.

هذا وقد حظيت زيارة تنج بإهتمام كبير من الصحف وأجهزة الإعلام فى كلا البلدين، وأبرزت كونها أول زيارة على هذا المستوى يقوم بها مسئول صينى لليابان. وأصدرت وزارة المواصلات فى الصين طوابع تذكارية بمناسبة هذا الحدث كما نقل التلفزيون الصينى وقائع تبادل وثائق التصديق مباشرة عن طريق الأقمار الصناعية. ومهد تنج هسياو ينج لزيارته بإستقبال العديد من القيادات اليابانية ورجال الأعمال الذين وفدوا إلى بكين فى الفترة التى أعقبت توقيع المعاهدة وأبرزت الصحف الصينية ذلك والاحتفالات التى أقيمت فى بكين بمناسبة المعاهدة. كما أعدت مجلة بكين ريفيو تقرير مطولاً عن مدى توقيع المعاهدة فى مختلف أنحاء العالم مبرزة أهمية المادة الخاصة بمناهضة الهيمنة. وأشارت المجلة إلى أن الهجوم على معاهدة السلام والصداقة بين الصين واليابان هو المهمة الأساسية لأجهزة الدعاية السوفيتية (cxxxvii).

ولا شك أن معاهدة السلام والصداقة بين الصين واليابان تمثل منعطفاً تاريخياً هاماً ليس فقط فى تطور علاقات البلدين بل فى علاقات كل منهما مع الدول المؤثرة كالولايات المتحدة، والإتحاد السوفيتى، ومن ثم على بناء الأمن فى شرق آسيا والباسيفيك بوجه خاص، والقارة الآسيوية بوجه عام.

ومن أولى تلك النتائج أنها مثلت دافعاً للإسراع بتطبيع العلاقات مع الولايات المتحدة، وزيارة تنج هسياو ينج وإقامة التمثيل الدبلوماسى الكامل بين البلدين على مستوى السفراء من أول مارس 1979م وذلك أسوة باليابان

كحليف، وقد رحبت اليابان بذلك عبر رئيس وزرائها أوهيرا عن تقديره للرئيس كارتر لإبلاغ اليابان بذلك مقدماً وأكد أن هذا الحدث لن يؤثر على علاقات اليابان بتايوان. ورحب أيضاً المسئولون في وكالة الدفاع اليابانية بهذا التطور في علاقات الولايات المتحدة باليابان وأعلنوا أنها خطوة تساهم في الإستقرار العسكرى في الشرق الأقصى إذ أن الولايات المتحدة ربما تتخذ بعض الخطوات خاصة البحرية لمواجهة تزايد القوة السوفيتية في المنطقة وإن عبروا عن قلقهم إزاء رد الفعل السوفيتى في المدى البعيد موضحين :

(أ) أن إقامة تنسيق ثلاثى بين أمريكا واليابان والصين ربما يجعل الأخيرة فى وضع أفضل فى حالة نزاعها مع الإتحاد السوفيتى.

(ب) أن تحديث الصين بمساعدة اليابان سيساهم فى تحديث قواتها المسلحة وفى إطار اليابان المرتبطة عسكرياً بالولايات المتحدة فإن الإتحاد السوفيتى قد يرغب فى إتخاذ إجراءات مضادة لليابان.

(جـ) أن هناك خوفاً من رد الفعل التايوانى إزاء أى محاولة سوفيتية للاتصال بها. وهذا سيؤثر على اليابان إذ أن الطريق البحرى الذى يمر بالقرب من تايوان لا غنى عنه لبقاء اليابان ونتيجة لذلك فإن الصراع بين الشرق والغرب حول شبه جزيرة كوريا سيفقد كثيراً من أهميته وربما يتحول إلى مسألة محلية.

وهناك نوع آخر من التخوف اليابانى من تطبيع العلاقات الأمريكية الصينية وهو المنافسة الأمريكية لليابان على الأسواق الصينية. وبالفعل وقعت الصين والولايات المتحدة إتفاقاً تجارياً فى 14 مايو 1979م وكانت صادرات الولايات المتحدة للصين وصلت إلى 824 مليون دولار وواردتها من الصين بلغت 324 مليون دولار عام 1978م ولم تظهر الإحصاءات عن عام 1979م ولكن من المتوقع أن تصل الزيادة إلى 20% عن عام 1978م

نتيجة للاتفاق التجارى المذكور والذي لابد وأن يكون له تأثيره أيضاً فى تدفق رؤوس الأموال والتكنولوجيا الأمريكية على الصين^(cxxxviii).

ومن الجدير بالذكر أن اليابان أصبحت الأولى فى التجارة مع الصين حيث بلغت صادراتها 3049 مليون دولار ووارداتها 2030 مليون دولار بإجمالى 5079 مليون دولار عام 1978م بينما جاءت ألمانيا الاتحادية فى المكان الثالث والولايات المتحدة ثم استراليا واحتل الاتحاد السوفيتى المكان الخامس تليه كندا، وفرنسا، وإيطاليا، وبريطانيا وهولندا^(cxxxix).

أما النتيجة الثانية فهى تتعلق بتطور الصراع فى الهند الصينية. إذ قام الإتحاد السوفيتى بعقد معاهدة صداقة وتعاون مع فيتنام فى نوفمبر 1978م وقدم لها الكثير من المساعدات الاقتصادية والعسكرية الأمر الذى أثر فى اتجاه فيتنام المعادى للصين والمؤيد للإتحاد السوفيتى. ثم جاء الغزو الفيتنامى لكمبوديا - المتعاطفة مع الصين - ليست للدول الآسيوية، بطريق عملي، بأن الصين لا تستطيع الدفاع عن حلفائها وليؤكد أيضاً بروز فيتنام كقوة إقليمية مؤثرة فى منطقة الهند الصينية، وجنوب شرق آسيا. وعندما هاجمت الصين فيتنام فى مارس 1979م لم يحظ العمل الصينى بتأييد العامل حيث عارضته معظم الدول بما فى ذلك الولايات المتحدة^(cxxx) خشية أن يؤدي إلى حدوث إحتكاك كبير بين الصين، والإتحاد السوفيتى الذى يؤيد فيتنام وتربطه بها معاهدة تعاون، ومساعدة متبادلة. ومن ثم فإن الصين كانت أسرع إدراكاً ووعياً بسحب قواتها من فيتنام، ورفض إجراء التورط العسكرى المباشر فى مشاكل الهند الصينية.

والنتيجة الثالثة تتعلق بالخوف من رد الفعل السوفيتى ضد اليابان خاصة فى حالة تطور العلاقات اليابانية الصينية إلى علاقات تعاون عسكرى مما يؤثر على ميزان القوى فى منطقة شرق آسيا والمحيط الهادى. إذ يرى البعض أن معاهدة السلام والصداقة مع الصين جرت اليابان إلى لعبة صراع

القوى بين الولايات المتحدة، والإتحاد السوفيتى والصين وأن اليابان بذلك
إتخذت جانب القوى المضادة للإتحاد السوفيتى ولكن يرد على ذلك بأن :

(أ) المعاهدة بين اليابان والصين هي معاهدة ثنائية وليست جماعية
وأن نصها الخاص بمعارضة الهيمنة (المادة 3) يضعف من تأثيره ما ورد
فى المادة الرابعة من أنها لا تؤثر فى علاقات أى من الدولتين مع غيرهما
من الدول؟، وبعبارة أخرى فإن المعاهدة لا تمنع الصين من إتخاذ موقف ضد
الإتحاد السوفيتى ولا تحول دون سعى اليابان لتطوير وتحسين علاقاتها مع
الإتحاد السوفيتى الوقت نفسه.

(ب) أن اليابان بحكم ثقلها الإقتصادى والسياسى تجد نفسها متورطة
بالفعل بوعى أو بغير وعى فى لعبة صراع القوى دون ما حاجة إلى
المعاهدة مع الصين لتدفعها فى هذا المجال. وأن دراسة البروفسور راي كلين
من جامعة جورج تاون عن تقدير القوى العالمية عام 1977م أظهرت أن
الإتحاد السوفيتى يمتلك أكبر معدلات (523 نقطة) وتليه الولايات المتحدة
(421) ثم ألمانيا الإتحادية (168) فاليابان (144) تحتل الصين المركز
التابع بمعدل (120 نقطة).

ونتيجة لهذا التورط سعت اليابان فى عهد تاكيو فوكودا لإتباع ما أسمته
بالدبلوماسية متعددة الإتجاهات Omnidirection Diplomacy وهو تعبير
جديد يقصد به أن يكون الإهتمام الدبلوماسى لليابان موجهاً بالتساوى نحو
جميع الدول. وإستهدف هذا مواجهة الضغوط التى يمارسها كل من الإتحاد
السوفيتى والصين على اليابان بخصوص ما سمي بشرط الهيمنة وترتب على
ذلك إدخال نص المادة 4 فى المعاهدة وهو عدم قيام الإتحاد السوفيتى بـرد
فعل إنتقامى ضد اليابان بعد التوقيع عليها. (cxxxI)

الفصل السادس

الفلبيين من مطلع العصور الحديثة حتى القرن العشرين

أولاً . الملامم الجغرافية والسكانية

ثانياً . الاستعمار الأسبابى للفلبيين ومقاومته

ثالثاً . أطماع إنجلترا في الفلبيين

رابعاً . أمريكا والفلبيين

خامساً . المشكلات المعاصرة في الفلبيين

الفصل السادس

الفلبين من مطلع العصور الحديثة حتى القرن العشرين

1 - الملامح الجغرافية والسكانية

تقع الفلبين في جنوب شرقى آسيا بين خطى عرض 5° - 18° شمال خط الاستواء وبين خطى طول 127° - 120° شرقى خط جرينتش، وتظهر الفلبين كآرخبيل تمتد من جنوب شرقى آسيا . وأول جزيرة فيها من الشمال هي جزيرة (يامى Yami) التى تبعد 78 ميلاً من فرموزا ، وآخر جزيرة من الجنوب هي جزيرة (سالوج Saluog) التى تبعد 34 ميلاً من برنيو، ومجموع جزر الفلبين 7100 جزيرة ، وهى تشبه تقريباً شكل مثلث متساوى الساقين طوله من الشمال إلى الجنوب 1152 ميلاً، ومن الشرق إلى الغرب 688 ميلاً.

وأكبر الجزر هي جزيرة (لوزون) التى فيها عاصمة الفلبين (مانيلا) ومساحتها 408,14 ميلاً مربعاً ، وتليها جزيرة (منداناو) ومساحتها 36906 ميلاً مربعاً والثالثة جزيرة (سمر) ومساحتها 5124 ميلاً مربعاً.

ومن الجزر الكبيرة جزيرة (نجرو) ومساحتها 4903 ميلاً مربعاً وجزيرة (بلوان) ومساحتها 4500 ميلاً مربعاً ، وجزيرة (باتاى) ومساحتها 4448 ميلاً وجزيرة (مندور) ومساحتها 3794 ميلاً مربعاً وجزيرة (ليات) ومساحتها 2799 ميلاً مربعاً . ومجموع مساحة الفلبين 115600 ميلاً مربعاً .

ومعظم أرض الفلبين جبال مكسوة بالغابات منها سبعة ضخمة أكبرها جبل (سرى مدر Sierra Madra) فى (لوزن) وأعلاها جبل (أبو Apa) فى منداناو وارتفاعه 9690 قدماً، ويبلغ أقصى عمق للبحر فى شمال شرقى منداناو وهى 343178 قدماً تحت الأرض .

وفى الفلبين كثير من الموانى الطبيعية والخلجان ففيها 61 ميناء جيد، وفى خلجان ومنها خليج (مانيلا) الذى يعتبر من أحسن الموانى فى الشرق الأقصى . ولا يوجد صحارى جافة أو خليجية فى الفلبين ،ومعظم الجزر فيها الأنهار التى تمدها بالمياه العذبة، وأطول نهر فيها نهر (كاجيان) إذ يبلغ طوله 352 ميلاً وكثير من الأنهار الأخرى طويلة أيضاً (cxxxii) .

أما السكان فى الفلبين يتكونون من أجناس مختلفة فهم نتيجة اختلاط بين الزنوج والأندونيسيين، والهنود، والصينيين، واليابان، والعرب، والأوربيين، والأمريكان، وقد قدر السلالات نسبة الدم الذى يجرى فى عروق الفلبينيين بما يأتى : (cxxxiii)

- 1 - الزنوج 10 % . 2 - أندونيسيا 30 % : 3 - الملايا 40 % .
- 4 - الصين 10 % 5 - الهنود 5 % 6 - الأوربيين والأمريكان 3 %
- 7 - العرب 2 % .

أما عن الأجناس التى استطوت الفلبين فقد تنوعت إلى :

1 - الإنسان الأول :

علماء الآثار يرون أن أول من استطون الفلبين فيما قبل التاريخ هو الإنسان الأول منذ جوالى 250.000 سنة بطريق البر من آسيا، ومعهم الأفيال والكركدن وكثير من الحيوانات الثديية .

وفى ذلك الوقت كانت جزر الأرخبيل لا تزال متصلة ببعض الكبارى أو القناطر الرطبة مع أرض الملايو التى هى جزء من آسيا .

والإنسان الأول كان ضخيم الجسم قوى العضلات كثير الشعر وكانت لهم ثقافة ساذجة يلبس ملابس غير كافية لستر الجسد، ويعيش فى الكهوف مثل

الحيوانات ويستعمل أسلحة من الحجارة، ويأكل من طعام الغابات والأنهار مثل السمك والحيوانات المتوحشة التي يصطادها بأسلحته الحجرية.

وقد ظهرت آثار هذا الإنسان الأول في الحفريات التي أجريت هناك

2 - الجنس البجى :

منذ حوالى 25.000 إلى 30.000 سنة أتى جنس آخر من آسيا إلى الفلبين من ناحية الجنوب خلال السدود، والقناطر الرملية، وقد صاروا من سكان الفلبين القدامى، وما زالت بقاياهم موجودة وهم الذين يعرفون بالنجرو Negritos وهم من أقصر الناس على الأرض حيث أن أطولهم حوالى 4 أقدام ومعنى كلمة Pygmioe (الناس الصغار) ولونهم أسود وأنفهم قصيرة وشعرهم أسود مجعد وشفاهم ضخم وأقدامهم صغيرة وكذلك أيديهم وجسمهم متناسق. وهذا الجنس ذو حضارة فطرية تتبع العصر الحجري . ليس لهم عادات منظمة ولا حكم منظم، ولا طريقة للكتابة، وليس لهم فن أو علم ولا طريقة .

فهم يتجولون فى جماعات صغيرة خلال الغابات وهم يعيشون على الصيد للأسماك والحيوانات ومنتجات الغابات ، وأسلحتهم كانت الحرايب والسهام المصنوعة من الحجرة، والبامبو، والخشب ، وملابسهم من أوراق الشجر، ولكنهم استطاعوا أن يعرفوا النار بواسطة احتكاك عصاتين إلى أن تتولد الحرارة فى العشب اليابس .

3 - الجنس الإندونيسى : The Indonscias

بعد فترة طويلة من وصول الجنس (البجى) هاجر إلى الفلبين فى السفن الشراعية من جنوب شرق آسيا الجنس الإندونيسى الذى قدم من جزر (المحيط الهندي) وقد هاجر إلى الفلبين على مرتين : المرة الأولى منذ حوالى 5.000 سنة ، والهجرة الثانية منذ حوالى 3.500 سنة . هذا الجنس

ينتمى إلى الجنس المنغولى الممتزج بتجنس القوقزى . ويعتبر الجنس الإندونيسى من أطول الأجناس التى وطدت الفلبين فطوله يتراوح من 6 بوصة و 5 قدم إلى 2 بوصة و 6 قدم وهو ينقسم إلى نوعين الأول ضخمة ولون بشرته أسود غليظ الشفة طويل الأنف عظيم الفكين .

وهو أكثر ثقافة من الجنس البجى لأنه ينتمى إلى العصر الحجرى الحديث Neolithic فهم يعيشون فى بيوت مبنية من الخشب على الأرض أو الأشجار كما يزرعون الأرض، وخاصة الأرز ، وملابسهم مصنوعة من الشجر المندوف المزين . كما يطبخون طعامهم فى أنابيب البامبو ، لأنهم يعرفون النار، وإن كانوا لا يعرفون شيئاً عن الفخار ،ومن أدواتهم الفأس الحجرى المصقول، والقادوم، والأزميل . ومن أسلحتهم الحربة، والسهم ولهم حيوان واحد مستأنس وهو الكلب .

4 - الجنس الملايوى : The Malaya

أن آخر الأجناس التى هاجرت إلى الفلبين فى عصر ما قبل التاريخ بواسطة البحر وهو الجنس الملايوى . وكلمة الملايا مأخوذة من كلمة Malaya وهى تعنى الحرية . وقد عبروا إلى جنوب الفلبين فى عدة حملات بواسطة السفن الشراعية التى تدعى Boragaya ووصلوا إلى الفلبين فى عدة هجرات بدأت حوالى سنة 200 قبل الميلاد واستمرت إلى سنة 1500 بعد الميلاد والجنس الملايوى . قمحى اللون متوسط الطول رفيع ذو جسم قوى، وثمره مستقيم، وعيونه عسليه، وأنفه مفلطح.

والملايويون أكثر حضارة من جميع الأجناس السابقة لأنهم جاءوا فى العصر البرونزى . وقد مارسوا الرى والزراعة، كما عرفوا صناعة الأسلحة، وصناعة النسيج، وصنع الحلى.

كما زرعوا الحاصلات الزراعية، والنباتات الطبية ليستفيدوا منها فى عمل الأدوية وزرعوا أشجار الفاكهة والتوابل كما إستأنسوا بعض الحيوانات، وخاصة الكرياو والكلب . كما أن يتوثنهم منظمة ولهم أنظمة فى الحكم يتبعونها، ويحكمون إليها، ولهم دينهم، وأديهم المكتوب . ويحبون الموسيقى، والفن، والعلم ، والثقافة، والصناعة، وملابسهم مصنوعة فى المصانع ويتحلون بالحلى الذهبية . كما ينظمون الخرز عقوداً وقلائد، وعندهم الكتوس الزجاجية الملونة ويزينون أجسامهم بالوشم . أما أسلحتهم فمنها الحربة، والسهم، والسيف، والسكين، والرمح، والدرع .

وقد بلغ تعداد السكان فى الفلبين سنة 1939 (16.000.303) مليون نسمة وفى سنة 1948 م بلغ (19.234.182) مليون نسمة .

وفى سنة 1960 م بلغ تعداد السكان (27.086.685) ملين نسمة .

وفى سنة 1970 م بلغ تعداد السكان (37.158.000) مليون نسمة .

ويؤرخ السكان حسب معتقداتهم فى الإحصاء الأخير سنة 1970 م كالآتى :

النسبة المئوية	العدد الكلى	الطوائف الدينية
75%	27.868.500	الكاثوليك
11%	4.458.960	المسلمون
7%	2.601.060	الأجليبايان
4.4%	1.634.952	الوثنيون
1%	381.580	البروتستانت
0.3%	111.474	البوهيون
0.2%	74.316	السينتو
0.1%	37.158	طوائف أخرى

ثانياً: الاستعمار الأسباني للفلبين ومقاومته

وصل الإسلام إلى الفلبين عن طريق التجارة البحرية، ورسخ أقدامه بصورة عامة أولاً في جزر المحيط الهندي القريبة إلى مراكز الإسلام القديمة، فقد وجد التجار المسلمون في أكثر جزر المنطقة الماليزية أو أرخبيل الملايو (الذي يشمل جزر الملايو، وجزر إندونيسيا وبرنيو، والفلبين)، وفي أواخر القرن الثالث عشر الميلادي وجدت جالية إسلامية كبيرة في شمال سومطرة، وما أن حل القرن الرابع عشر حتى كان حكام ووجهاء بعض المقاطعات في سومطرها، وربما جاوه أيضاً من المسلمين، وطبقاً للدراسات الأثرية، والمعلومات التاريخية بشأن ذلك يمكن القول: أنه في أواخر القرن الثالث عشر الميلادي تم العثور على مستوطنات للمسلمين في جزيرة هولو جنوبى الفلبين، وأخرى في شمال سومطرة. ولعل القبر الذي لا يزال موجوداً في جبل داتو في جزيرة سولو والذي كتب عليه بالعربية (من مات غريباً مات شهيداً هذا قبر الشهيد تمهار وأنه توفي في شهر رجب المعظم سنة 710هـ) يدل على أن الإسلام قد وصل إلى الفلبين في بداية القرن الرابع عشر الميلادي، وإن كثيراً من المسلمين قد وصلوا إلى الفلبين، وعملوا على تبليغ الدعوة الإسلامية، واعتنق الإسلام بعض أبناء الفلبين (cxxxiv).

ولقد سلك المسلمون الذين قدموا إلى جزر الفلبين أقوم السبل لنشر الإسلام في هذه البلاد فتعلموا لغة السكان وعرفوا كثير من عادات الأهالي وتزوجوا من نسائهم واشتروا العبيد ليرفعوا من قيمتهم الشخصية ونجحوا آخر الأمر في أن يصيروا من زمرة الزعماء الذين يتبعون أرفع مكانة في الدولة وعملوا على توحيد كلمتهم بحذق وتناسق أكثر مما كان يصنعه الأهالي فزاد ذلك من قوتهم شيئاً فشيئاً، وساعدهم امتلاكهم لعدد من العبيد على أن يؤلفوا فيما بينهم نوعاً من الحلف ويؤسسوا ضرباً من الحكومات

الملكية وجعلوها وراثية في أسرة واحدة. وزادوا من قوتهم بأن تراضوا على شروط ودية من الطبقات الغنية القديمة ضمنت لهم حريتهم وأكسبتهم تأييد هذه الطبقات لهم. ومن هنا نرى أن المسلمين الذين استوطنوا أرخبيل الملايو قد وضعوا أساساً سياسياً واجتماعياً ثابتاً لجهودهم في سبيل نشر تعاليم الإسلام أنهم لم يقدموا على هذه البلاد غزاة كما فعل الأسبان بعد ذلك في القرن السادس عشر، ولم يستخدموا السيف أداة لتحويل الناس إلى الإسلام بل لم يدعوا لأنفسهم حقوق جنس أسمى يتمتع بالعلبة والسيادة لكي يخطوا بذلك من شأن السكان الأصليين ويسلبوهم حقوقهم. بل قدموا في زى التجار واستخدموا كل ما لديهم من ذكاء ومدنية مزدهرة في سبيل دينهم ونشره أكثر من أن يستخدموا ذلك وسيلة لتوسيع نفوذهم الشخصى أو لتنمية ثرواتهم (cxxxv).

وقد استطاع التجار جذب قلوب الأهالى بتعلم لغتهم، ومجاراتهم في أخلاقهم وعاداتهم ساعدهم على أن ينشروا معارف دينهم في رفق وتدرج بأن بدءوا يحولون إلى الإسلام نساء البلاد اللاتي تزوجوا منهن والأشخاص الذين ارتبطوا معهم بعلاقات تجارية. وبدلاً من أن يعتزلوا الأهالى في أنفسه وكبرياء امتزجوا شيئاً فشيئاً في مهمة الشعب واستخدموا كل ما يتميزون به من تفوق في العقلية والحضارة في القيام بأعمال التحويل إلى الإسلام وطبقوا مبادئ دينهم وسلوكه تطبيقاً حازقاً واجتهدوا في أمور كانوا يرونها لازمة لتقريب هذا الدين إلى أذهان الشعب الذى كانوا يرغبون في هدايته ومن هذا الواقع "كان دعاة المسلمين على جانب عظيم من الحكمة والروية. وإلى جانب التجار كانت هناك جموع ممن يصح أن نسميهم الدعاة المحترفين وهم الفقهاء والقضاة والحجاج، وكان الحجاج في السنين الأخيرة نشطين في نشر تعاليم الدعوة بنوع خاص وذلك بحث مواطنيهم على لون من الحياة الدينية أكثر نشاطاً وأشد تمسكاً وبتطهيرها من بقايا عادات الوطنية ومعتقداتها، وأن عدد الذين يذهبون إلى مكة لأداء فريضة الحج من كل جهات الأرخبيل آخذة

فى الزيادة على الدوام وتبع ذلك نمو التأثير الإسلامى والفكرة الإسلامية نموًا
مناسبًا (cxxxvi)

وتعزى الزيادة فى عدد الحجاج إلى اليسر فى المواصلات بين مكة
وأرخبيل الملايو وأدى ذلك إلى أن كثيرًا من هؤلاء الحجاج صار أكثر المأماً
وأشمل معرفة بمبادئ الإسلام وأكثر حماسًا لنشر مبادئ الإسلام وحث غير
المسلمين على الدخول فى الإسلام.

وإلى جانب الحجاج الذين كانوا يقتنعون بمجرد زيارة البقاع المقدسة
وتأدية الشعائر اللازمة يوجد الذين يقضون وقتًا أطول فى مكة والمدينة
لاتمام دراساتهم الدينية كما يوجد فى مكة فى الوقت الحاضر جالية كبيرة من
أهالى الملايو الذين اتخذوا مقامهم فى المدينة المقدسة واستقروا فيها وهم
على اتصال دائم بمواطنيهم فى أوطانهم. ولجهودهم أثر فعال فى تطهير
الإسلام فى أرخبيل الملايو من شوائب العادات الوثنية ووسائل التفكير الوثنى
التي بقيت من العهود القديمة. كذلك طبعت فى مكة مجموعة كبيرة من الكتب
الدينية باللغات المختلفة التي يتكلمها مسلمو الملايو وأرسلت إلى كل جهات
الأرخبيل، وفى الواقع أن تأثير مكة فى الحياة الدينية فى هذه الجزر كان
أقوى منه فى تركيا أو الهند أو بخارى. وأصبح الحجاج العائدون من مكة
سواء أكانوا تجارًا أم معلمين دينيين دعاة إلى الإسلام فى البقاع التي كانوا
يتصلون فيها بالأهالى الوطنيين - أضف إلى ذلك أن الجماعات الدينية
بسطت نظامها على أرخبيل الملايو بل لقد وجدت أحد هذه الجماعات عهدًا
وهى السنوسية أتباعا لها فى أقصى الجزر ومما يدل على تأثيرها أن كثيرًا
من سكان الملايو يتسمون باسم سنوسى على حين كانوا فى مكة يبدلون
أسماءهم الوطنية بأخرى عربية. وقد ذكر أحد المؤرخين أن أمريكا بعد
احتلالها للفلبين سنة 1898م طلب والى الفلبين إلى الحكومة العثمانية إرسال
مرشدين يهذبون مسلمى الفلبين وينورون أفكارهم نظرًا لما هم عليه من

الجهل ، وكانت الدولة العثمانية وقتئذٍ تعتنى بأمور المسلمين بقدر إمكانها فأرسلت المشيخة الإسلامية أحد مأموريها وهو الفاضل المرحوم وجيه أفندي زيد الكيلاني النابلسي أشبه يشيخ الإسلام في الفلبين. وقد وصل إلى الفلبين سنة 1912م واستقبله المسلمون بفرح يفوق الوصف واستمر في الفلبين إلى سنة 1916م حيث بذل جهودًا كبيرة لتعليم الناس أمور دينهم. وبعد الكيلاني توالى قدوم المرشدين والعلماء من الأقطار العربية والإسلامية منهم الشيخ محمد منيب كزبري من دمشق وهو مصلح يجيد قراءة القرآن الكريم وتعلم منه عدد كثير من أهل لاناو وكثير في عهده المسلمون. ومنهم الشيخ محمد سمنودي وهو مدرس القرآن بالجزم المكي الشريف وتعلم منه عدد كبير من أهل كوباتو ومنهم العالم الحاج نور من الملايو وتعلم منه بعض طلبة العلم الفقه والتفسير والحديث (cxxxvii).

وبعد الحرب العالمية الثانية بدأ المسلمون في الفلبين يرسلون أولادهم إلى الحجاز من سنة 1948م حتى بلغ عدد المنتسبين منهم في مختلف المدارس والمعاهد بمكة المكرمة إلى ثمانية وعشرين طالبًا معظمهم في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة. كما أرسلوا إلى القاهرة أولادهم ليدرسوا اللغة العربية والعلوم الإسلامية مع الثقافة الحديثة حتى بلغ عدد المنتسبين منهم في مختلف المعاهد والجامعات إلى مائة وتسعة عشر طالبًا معظمهم في الجامعة الأزهرية وذلك منذ سنة 1951م وما زالت البعثات الخارجية من طلاب العلم تتدفق إلى مصر والسعودية حتى الآن كما كانت هناك بعثات لطلاب العلم قدمت لمسلمي الفلبين من البلاد العربية الأخرى مثل ليبيا وتونس والجزائر والمغرب والأردن وسوريا والسودان والبحرين وقطر والكويت وغير ذلك من الدول الإسلامية مثل باكستان واندونيسيا (cxxxviii).

كما قام الأزهر بدور واضح فى نشر الإسلام فى الفلبين حيث قدم منح
للأبناء والمسلمين بالفلبين للدراسة فضلاً عن العلماء الذين أرسلهم أيضاً
للفلبين لتعليم المسلمين، وتثقيفهم فى شئون دينهم^(cxxxix)

وقد صل الأسبان إلى الفلبين فى 17 مارس 1512م عندما وطع
ماجلان قدمه على جزيرة جنوب جزيرة سمر بالفلبين. ثم بدأت رحلة
ماجلان فى 25 مارس نحو الجنوب الغربى فوصل إلى جزيرة ليماساوا فى
28 مارس واستطاع أن يعقد اتفاقاً مع حاكمها كان بمثابة أول اتفاق فلبينى
أسباني فى التاريخ. بذل ماجلان جهداً كبيراً لنشر المسيحية بالجزر المكتشفة
بالفلبين، فاعتنق ملك سيبو وأتباعه المسيحية كما تنص حوالى خمسمائة من
أهل سيبو فى 14 أبريل سنة 1521، وقد أقيم صليب كبير على الشاطئ،
وزاد عدد المتتبعين ثمانمائة من رجال، ونساء، وأطفال، وبعد عدة أيام
طلب ماجلان من أهل سيبو أن يحرقوا صنمهم، لكنهم رفضوا ذلك لأنهم
مازالوا يقدمون الضحايا لأجل أن يشفى الصنم أخا الملك، من مرض خطير،
ولكى يحمى ماجلان عقيدة المسيحيين الجدد ذهب إلى الرجل المريض
وعالجه ثم نصره هو وأسرتة ففقد الناس ثقفتهم فى الصنم، وأشعلوا فيه النار.

وبعد النجاح الذى حققه ماجلان فى سيبو والجزر المجاورة ظهر
لابولابو حاكم جزيرة صغيرة بجوار سيبو وهى جزيرة مكنن الذى رفض
الخضوع لماجلان فقرر مقاومة الأسبان فأرسل ماجلان رجاله، وأحرقوا
القرى هناك لكن لم يستسلم لابولابو فقرر ماجلان إعلان الحرب لكنه حاول
فى بداية الأمر أن يرسل إلى لابولابو ليعطيه فرصة أخيرة للسلام وطلب منه
الاعتراف بسيادة الأسبان، ودفع الجزية فأجاب لابولابو بجرأة أنه لا يخضع
لأى ملك ولا يدفع الجزية لأى قوة، وإذا كان العدو يملك رماحاً فنحن نملك
رماحاً أيضاً، وشعلاً نارية^(cxli).

فأمر ماجلان بعض رجاله بحرق بيوت أهل مكتن ليخيفهم فيذعنوا له، ولكن ذلك أتى بنتيجة عكسية لأنهم عندما رأوا منازلهم تحرق ضاعفوا شجاعتهم، وهاجموا المغيرين بجرأة وبسالة أدت إلى رجحان كفتهم فلما رأى ماجلان أن النجاح ليس في صفة أمر رجاله بالانسحاب، لكنه لقي مبررعه في هذه المعركة فكان انتصار لابولابو في مكتن صدمة وكارثة للأوروبيين فهذا أول نجاح للدفاع عن استقلال الفلبين ضد الاستعمار الغربي وأول نصر سجله الجيش الفلبيني على الغرب بفضل لابولابو أول بطل يستطيع في تاريخ الملايو، ويهزم ماجلان هازم البحار. وبعد موت ماجلان سنة 1521 أثر الأسبان العودة إلى بلادهم مكللين بذل الهزيمة، والخزي، ولكنهم حاولوا العودة ثانيًا لاحتلال الفلبين عدة مرات، ولكنهم لم يتمكنوا من ذلك إلى أن وصل القائد الأسباني (ليجزبي كانونا) في مارس سنة 1565 على رأس حملة حربية مجهزة بالمدافع المحمولة على عجلات واستطاع أن يخضع ملكي جزيرة بسهولة، وجالاً ويوضح لهما أنه ليس كالبرتغاليين وأنه إنما جاء قاصداً السلام، ولا يبغي سلباً، أو نهباً، أو إفساداً في الأرض، وبذلك استطاع خداعهم، وتمكن من أن يعلن معاهدة صداقة معهم. اختار ليجزبي سيبو مقراً لحملته لما تتمتع به من موقع استراتيجي كميناء طبيعي، لكنه دخل في نزاع مع أهل هذه الجزيرة تمكن من التغلب عليهم فانسحب أهل سيبو إلى الجبل تاركين ممتلكاتهم وبيوتهم تأكلهما النيران، وفي 4 يونية سنة 1565م استطاع القائد الأسباني أن يعقد معاهدة صداقة مع أهل سيبو اعترفوا له فيها بسيادة أسبانيا عليهم، وبدفع ضريبة لهم مقابل حمايتهم من أعدائهم، وبإقامة علاقة تجارية بينهم وبين أسبانيا. وبذلك تفرغ القائد الأسباني لبناء مستعمرة أسبانية في سيبو لتكون حصناً منيعاً للأسبان كما حفر بئراً تزودهم بالماء النقي، وأقام كنيسة للقدس، وبيوتاً للجنود الأسبان، وسمى هذه المدينة (المدينة المقدسة).

لكن قامت حروب طاحنة بين الأسبان وبين المسلمين في الفلبين استمرت فترة طويلة.

من الحروب الطاحنة في الفلبين تلك الحروب المنكرة التي وقعت بين الأسبان وبين مسلمي الفلبين، ومما أدى إلى بشاعتها أنها كانت حرباً دينية بين الهلال والصليب كما يقولون حتى إن الأسبان حملوا مسيحيي الفلبين على قتال إخوانهم مسلمي الفلبين كما كانت كل قوى الأسبان هناك معدة لقتال المسلمين الذين صمدوا وجاربوا في منداناو وسولو أكثر من ثلاثة قرون والمسلمون يحاولون خلال هذه الحرب أن يحرموا حرية دينهم وثقافتهم من أن يجتدي عليها الأسبان أو أن يتمكنوا من استعمار بلادهم.

وقد أطلق الأسبان على المسلمين في الفلبين كلمة مورو بمعنى المسلمين وبطلقها الأسبان قديماً على المسلمين في أسبانيا وشمال أفريقيا وأخيراً أطلقوها على المسلمين في الفلبين والمورو أو المسلمون الذين يقطنون في جنوب الفلبين يقسمون إلى (cxii):

ماجنداناو: الذين يسكنون كوتابانو.

مرناو: الذين يسكنون حول بحيرة لاناو.

شمال: الذين يسكنون على شاطئ سيمونجا والجزر القريبة شمال سيمونجا وتاوى تاوى.

سانجل: الذين يسكنون خليج داباو.

يكن: الذين يسكنون باسيلان.

هلوانو: الذين يسكنون سولو.

ويمكن أن نرجع أسباب الحروب بين الأسبان وبين المسلمين إلى ما يأتي (cxiii):

الخصومة التي يراها المسيحيون بين المسيحية والإسلام ومن هنا اتصلت الحرب واستمرت عندما حضر الأسبان بصليبيهم إلى سكان لا يدينون بالصليب.

دفاع المسلمين عن أرضهم عندما جاءت حملات الأسبان إليها ليحموا أرضهم ويحافظوا على حريتهم ولذلك دافعوا بدون خوف عنها.

حب مسلمي الفلبين للمغامرات الجريئة وممارسة الحرب منذ فجر التاريخ.

وقد وجه الملك فيليب الثاني ملك أسبانيا إلى الحاكم الأسباني للفلبين خطاباً واضح مقصد الأسبان من هذه الحرب ويوضح هدف الأسبان منها فيقول فيه: "لقد سمحنا لك بأن تستعبد المسلمين وأن تستولى على ممتلكاتهم وتصادرهما ويمكنك أن تجعلهم عبيداً لكم خاصة إذا أرادوا أن يبشروا بدينهم المحمدي (الإسلامي) أو يحاربوك أو يحاربوا الهنود رعائنا". وقد أجابه الحاكم بخطاب يطلب فيه المدد لأجل القضاء على الدين المحمدي (الإسلامي). ومن هنا يتضح لنا أن الحرب التي شنها الأسبان على المسلمين في الفلبين كانت حرباً صليبية يبغيون منها القضاء على الإسلام هناك ثم استعمار البلاد واستغلال ثرواتها ونهب خيراتها. وقد شجع الأسبان على مواصلة الحرب ما خدعوا به أنفسهم من اتصافهم بالشجاعة، كما غرهم انتصارهم السريع على سكان البسايا ولوزون في الشمال الذين لم يكونوا على درجة كبيرة من النظام بخلاف المسلمين الذين كانوا يقطنون الجنوب في سولو ومنداناو. حيث هب المسلمون في سولو ومنداناو ليدافعوا عن دينهم وعن حريتهم الوطنية التي لا يجدون أغلى منها ولكن يبذلوا في سبيلها دماءهم ويستترخصوا أرواحهم حفاظاً عليها ودفاعاً عنها وأن يقدموا في سبيل ذلك كل ما يملكون (cxliii).

وبعد أن استقر الأسبان في سيبو بدأوا يوسعون نفوذهم الاستعماري المسيحي فيها فقامت معركة في سنة 1569 قريبا من سيبو بين الأسبان وبين المسلمين من هولوبرنيون. كما قامت معركة أخرى في سنة 1570م بين الأسبان وحلفائهم من البسايا وبين المسلمين في جزيرة مندور وقد تمكن الأسبان في هذه المعركة من التغلب على المسلمين وحرق قراهم والاستيلاء على كثير من متاعهم. ولقد شجع هذا الانتصار القائد الأسباني ليجازبي على أن يستمر في توسيع نفوذه نحو الشمال في جزيرة لوزون حيث تقع مملكة مانिला الإسلامية ومملكة تندر الإسلامية وهما يعدان من أقوى الممالك الإسلامية في الشمال وكان يحكم الأولى الملك راجا سليمان كما يحكم الثانية عم راجا سليمان الملك "راجالكان دولا". وقد وجه القائد الأسباني إلى هاتين المملكتين حملة مكونة من ستمائة جندي من البسايا الفلبينيين ومائة وعشرون جنديا من جنود الأسبان حيث توجهت من جزيرة بناي إلى مانिला في مايو سنة 1570م. وكما هي عادة الاستعمار في خداعة ومكره نزل قائد الحملة جابتي إلى الشاطئ لكي يتفاوض مع الملك راجا سليمان وعمه زاعما لهما أنه جاء لمصادقتهما وبدوا في عقد اتفاقية بينهم غير أن راجا سليمان رفض أن تتم الاتفاقية عندما تبين له أن الصداقة مع الأسبان تعنى دفع الضريبة والعبودية لأسبانيا. ولذلك ثار الملك راجا سليمان معلنا أنه سيقا تل بدلا من أن يدفع الضريبة ويقبل الحماية الأسبانية.

وقد اشتعلت نار الحرب عندما أطلق القائد الأسباني نيران مدافعه على سفينة لكي يدعوها إليه فظن الملك راجا سليمان أن المملكة قد احترقت فبدأت الحرب بشراسة ووحشية. ولكن لسوء الحظ تغلب الأسبان المجهزون بأسلحتهم مع جنود البسايا على جنود راجا سليمان. واضطر الأخير إلى الانسحاب تاركا منازلهم تشتعل فيها النار بعد أن استشهد من رجاله مائة شهيد وأسر ثمانون منهم بعض الصينيين واليابانيين كما غنم الأسبان بعض المدافع والسفن الحربية. ولكن رئيس الحملة لم يستقر في مانिला طويلا خوفا من

هبوب العواصف مع احتمال رجوع راجا سليمان لى يسترد مملكته. فرجع إلى جزيرة بناى فخوراً بهذه الانتصار العظيم والغنيمة الثمينة (cxlii).

سر القائد للحملة الأسبانية بالانتصار على راجا سليمان ولذلك قرر نقل مقر القيادة من سييو إلى مانيلا. وفى إبريل سنة 1571م تحركت الحملة الثانية بقيادة القائد العام ليجازبى مبحرة من جزيرة بناى بأسطول مكون من سبع عشرة سفينة عليها مائتان وثمانون جندياً أسبانياً وعدة مئات من جنود البسايا بالإضافة إلى قوات الحملة السابقة واتجهت كل هذه القوى إلى خليج مانيلا حيث قابل لكان دولا - حاكم مملكة تندو وعم راجا سليمان - الحاكم العام الأسباني فى سفينة شراعية ورحب به فقابله الحاكم الأسباني بلطف ووعد أنه سوف يعفو عن راجا سليمان لمقاومته للقائد الأسباني فى العام السابق. ولكن شخصاً خائناً يدعى ديمندول ذهب إلى القائد الأسباني وأخبره أن راجا سليمان يستعد للحرب. فاتجه ليجازبى إلى مانيلا فتمكن من السيطرة عليها ونصب نفسه حاكماً عليها. لم يتنازل راجا سليمان عن مملكته سلمياً وبدون قتال بل قاتل إلى آخر قطرة من دمه بكل شجاعة وبسالة وقدم روحه فى سبيل وطنه وأثر الموت الشريف على الحياة الذليلة حياة العبودية والتبعية. فبينما كان القائد العام الأسباني مشغولاً بإعادة بناء مانيلا والعمل على استقرار حكمه. جمع راجا سليمان المحاربين من رجال فى القوارب عند خليج بجوار قرية من مانيلا واستعان بحكام الأقاليم قلبى نداءه للحرب دفاعاً عن حرية الوطن داقو مكابيب حاكم هانجانوى وداتوبرانجايس حاكم بمنجا. وفى يونية سنة 1571م زحف راجا سليمان بقواته البحرية إلى الشاطئ الشمالى لخليج مانيلا وتقابل مع القائد الأسباني فى قنال بنكوساى. حيث دارت رحى الحرب الضروس فى هذا النهر وقاتل الأسبان بأسلحتهم الحديثة يعاونهم حلفاؤهم من البسايا حتى كسبوا المعركة. وسقط راجا سليمان شهيداً فى ميدان الحرب دفاعاً عن حرية وطنه كما استشهد معه ثلاثمائة جندي وأسر الباقي من رجاله بعد المعركة وكان من الأسرى ابنه وابنى أخت

الملك لاكان دولا. وباستشهاد راجا سليمان بطل مانيللا وهزيمته فى الموقعة فى يونية 1571م أعلن سقوط المملكة الإسلامية فى مانيللا، وفقدت مانيللا حريتها وصارت المقر الرئيسى للاستعمار الأسبانى حيث بنى فيها كنيسة للقس وقصراً للحاكم الأسبانى ومائة وخمسين منزلاً للمستعمرين الأسبان، كما أقيم حصن راجا سليمان ثانياً وهكذا أقيمت مدينة أسبانية على حطام المملكة الإسلامية فى مانيللا. وبنهاية هذه الحرب لم يبق للمسلمين قائمة بعد ذلك فى أكبر جزيرة فى شمال الفلبين وهى جزيرة لوزون^(cxlv).

استطاع الأسبان أن يقضوا على المسلمين فى شمال الفلبين ويزيلوا منها المملكة الإسلامية وبعد سبع سنوات من قضائهم على المسلمين فى لوزون واستقرارهم فى مانيللا راودهم الأمل فى أن يقضوا على سلطان المسلمين فى جنوب الفلبين كما قضوا عليه فى شمال البلاد وبذلك يتحقق لهم امتداد استعمارهم إلى جميع جزر الفلبين وتختفى الراية الإسلامية منها لا يرتفع فيها إلا الراية المسيحية ولذلك تتابعت حملات الأسبان بضراوة وعنف على المسلمين فى الجنوب. ولكن المسلمين قابلوا هذه الحملات بإيمان ثابت وقلب غيور على حماية بلادهم ودينهم وجميع مقدساتهم واستمرت الحرب الضروس أكثر من ثلاثة قرون مملوءة بالدماء والأشلاء لإرضاء نزعات دينية مسيحية حاقدة على الإسلام والمسلمين وموغلة فى التعصب للقضاء على المسلمين وطمس التعاليم الإسلامية. وقد تتابعت الحملات الأسبانية المجهزة بالأسلحة الحديثة التى وجهوها نحو المسلمين فى الجنوب حيث اعتصم المسلمون بدينهم وتمسكوا بعقيدتهم وكتبوا بدمائهم الطاهرة الزكية أعظم وأجل صفحات مضيئة فى التاريخ الفلبينى والتى تشهد بحبهم للحرية واستمساكهم بها وإيثارهم الموت على أن تستعمر بلادهم أو يعتدى على عقيدتهم الصحيحة فى صدق الدين الإسلامى الحنيف الذى يدينون به.

هذا ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل تتابعت المعارك بين الطرفين، ففي سنة 1578م أرسل القائد الأسباني العام حملة أسبانية تحت قيادة الضابط أستيبان دى فيجورا لتهاجم مدينة هولو فوصلت إليها فى يونية سنة 1578م، وتولى السلطان محمد حليم بنجيرن سلطان سولو قيادة المسلمين للدفاع عن المدينة ومع أن الأسبان استطاعوا أن يستولوا على جزء من المدينة إلا أنهم فشلوا فى الاستيلاء عليها نظراً لما قام به المسلمون من مقاومة عنيدة، وأقسم السلطان بالانتقام من الغزاة فأعلن حرباً شاملة ضد الأسبان الذين أثروا الانسحاب من هولو. وفى سنة 1596 حصل الضابط "دى فيجيور" من الحاكم العام الأسباني على حق مطلق لاستعمار جزيرة منداناو وأن يكون الحاكم الأسباني عليها ومن ثم توجه من جزيرة أيلو أيلو فى فبراير سنة 1596. حملة حربية كبيرة مكونة من ألف وخمسمائة جندي فلبيني ومائتي وأربعة عشر جندياً أسبانياً واثنين من القساوسة - قاصداً جزيرة منداناو، واستطاع أن ينزل الحملة فى ريجراندافى كوتاباتو ومن هناك سار إلى بوهاين حيث قامت معارك جارية ومناوشات متتالية قاد المسلمين فيها داتو سيلانج واستطاع أويل أخو القائد المسلم أن يقتل قائد الحملة الأسبانية ولكن الحملة عززت بقوة أخرى من مانيلا لتتابع مشروعها الاستعماري فى منداناو.

غير أن المسلمين استطاعوا مع حلفائهم أن يقذفوا بالأسبان فى البحر فاضطر القائد الأسباني "رنجيلو" أن يحرق الاستحكامات والحصون التى أقامها الأسبان قريباً من كوتابلتو وانسحب إلى كلدرا قريباً من سمونجا حيث بنى حصناً فيها وكان بناء هذا الحصن هو نتيجة الحملة الأولى لاستعمار منداناو بعد خيبتهم فى أن يحتلوا كوتاباتو (cxlvi).

وقد أثار غزو الأسبان للأرض الإسلامية فى كوتابوتو هياج المسلمين فى منداناو سولو وحرك عداوتهم وحقدهم وأشعل نار غيظهم فأعلنوا الحرب

والجهاد الدينى ضد الأسبان وبدأوا مشروعًا لتخريب كل المدن والقرى
الأسبانية المسيحية فى لوزون وبسايا.

وفى يولية سنة 1599م. جهز اثنان من أمراء المسلمين حملة مكونة من
ثلاثة آلاف مسلم أقلعت بهم خمسون سفينة للانتقام من الأسبان فى الشمال
حيث تمكنوا من سلب ونهب قرى الشواطئ فى جزر بنائى، ونجروس.
وسيبو. وأثاروا الرعب فى تلك الأماكن وأحرقوا المنازل والكنائس وأسروا
الرجال والأطفال وقتلوا كثيراً من أهلها بقسوة وعنف وانتهكوا حرمتها جزاء
لاعتداء الأسبان على بلادهم. ثم قاموا بحملة أخرى سنة 1600م عدتها
تسعون سفينة وأربعة آلاف مقاتل للانتقام من الأسبان ولكن لم يحالفهم النجاح
كما حالفهم النجاح فى الحملة الأولى. وقد أثارت أخبار تحريك المسلمين
بغاراتهم على الجزر السابقة للثأر من الأسبان حفيظة الأسبان وخاصة الحاكم
الأسباني العام فى مانيلا فأخذ يرسل حملة بعد الأخرى للهجوم على أرض
المسلمين فى الجنوب وكانت أولى هذه الحملات بقيادة قائد محنك هو الضابط
كاليناتو وبقوة تعدادها مائتا جندي أسباني وأعداد كثيرة من جنود الفلبين
المسيحيين. وقد توجهت تلك الحملة إلى هولوفى فى فبراير سنة 1602م
وحاولت أن تحتل المدينة وضربت حولها الحصار ثلاثة ولكن المسلمين
صمدوا لتلك الحملة ما اضطر القائد إلى فك الحصار والعودة من حيث أتى.
وقد تتابعت الحملات الأسبانية بعد ذلك على هولوفى بغية الانتصار على
المسلمين فيها وحملهم على اعتناق المسيحية. وقد بلغ عدد تلك الحملات من
سنة 1578م إلى سنة 1876م أكثر من ستة عشرة حملة كلها كانت تبوء
بالفشل سوى الحملة الأخيرة التى تمكنت من احتلال سولو. وكما وجه
الأسبان حملات أخرى إلى ملداناو. وقد مكن الأسبان من ذلك استيلائهم على
سمونجا وجعلها مركزاً استراتيجياً لهم تسهل الإغارة منه على المسلمين فى
هولو وملداناو. ومن الحملات التى استطاع الأسبان أن ينتصروا فيها على

المسلمين ويحققوا بعض النصر الحملة التي توجهت مرة إلى لاناو ومرة إلى هولوا بقيادة القائد الأسباني كركورا^(cxlvii).

وعندما عجز الأسبان عن كبت قوى المسلمين وهزيمتهم بدأت القوات الأسبانية تتفاوض مع المسلمين وقد عقدت عدة معاهدات بينها وبين المسلمين منها اتفاقية سنة 1725م وبمقتضاها أصبحت التجارة حرة بين المسلمين والأسبان ويتعهد المسلمون بإطلاق سراح الأسرى المسيحيين.

وفى سنة 1737 وقع السلطان علم الدين الأول سلطان سولو والحاكم الأسباني العام اتفاقا مكونا من خمس مواد ويقتضى^(cxlviii):

بإقامة سلام دائم بين الدولتين وكل مخالفة أو ظلم أو تعد من القوتين يسوى سلميا.

أن يقدم كل منهما للأخر العون ضد أى عدو أجنبي والدول الأوروبية مسببناه من هذا الشرط.

حرية التجارة بين الدولتين للتجار الذين يحملون جواز سفر، من الدولة. أن تكون كل دولة مسئولة عن هناك السلام بين الدولتين بأحد رعاياها. تبادل الأسرى بين الدولتين وإعادة تماثيل الكنائس وزخارفها التي يملكها أهل سولو.

وهناك معاهدات أخرى أبرمت فى سنة 1746، 1805، 1836، 1851، 1878.

وقد قام السلطان علم الدين سلطان سولو بإصلاحات كثيرة منها تهذيب قانون أهل سولو ونظم القضاء فيها وترجم بعض نصوص القرآن الكريم وكتب اللغة العربية إلى لغة أهل سولو. كما حث الناس على إتباع دينهم وإقامة الصلوات الخمس. وأمر العلماء بأن يتعلموا العربية وأن يعدوا قاموسا

عربيا سوليا كخطوة أولى لجعل اللغة العربية لغة الدولة الرسمية كما سك النقود ونظم جيشاً صغيراً وحاول أن يقيم أسطولاً بحرياً ولذلك يتذكره أهل سولو دائماً ويذكرون عظيم أعماله.

وفي اتفاق سنة 1746 حضر رسول خاص من مانىلا إلى السلطان علم الدين يحمل رسالة من الملك فيليب الخامس ملك أسبانيا يرجو فيها أن يسمح للقسس بأن يأتوا إلى هولو ويعظوا بالمسيحية لأهل هولو وقد عمل السلطان لرسول الملك حفله تكريم، ووافق على أن يعظ القسس فى هولو بل ذهب إلى أبعد من ذلك إذ سمح لهم بأن يقيموا كنيسة فى هولو. وفى مقابل ذلك على أسبانيا أن تساعد السلطان فى إقامة أسطول بحرى بمبلغ ستة آلاف بيزو وتمده باثنى عشر مدفعاً عيار 123 رطلاً وكمية من المسامير والحديد وقد حضر القسس الجزويت إلى هولو تنفيذاً لهذه الاتفاقية. ومع رضا السلطان عن ذلك إلا أن الناس قابلوا ذلك باستياء عظيم وتكون حزب معارض بقيادة الداتو بانتيلان الذى قاد حملات منظمة ضد الأسبان حيث تركت خراباً فى كل مكان واستطاع أن يدخل الرعب والفرع فى كل القرى المسيحية فى منداناو وبسايا ولوزون حتى شوارع مانىلا نفسها حيث نزل المسلمون إلى شاطئ مانىلا تحت سمع وبصر السفن الحربية الأسبانية واستطاعوا أن يردوا على الحملات المسعوزة التى قادها الأسبان على المسلمين فى الجنوب (cxlix).

وفى سنة 1848 بنى حاكم الفلبين الأسباني ثلاث سفن بخارية وسفينتين استكشافيتين وثلاث سفن نقل للجنود وقد بنت إنجلترا هذه السفن لحاكم الفلبين وهى سفن تسير أسرع من السفن الشراعية التى يستعملها المسلمون وكان ظهور هذه السفن فى المحيط الهادى بداية لنهاية سيادة المسلمين على البحار إذ بهذه السفن وبقوة كبيرة من الجنود تهاجم الأسبان المسلمين فى هرل ودمروا استحكاماتهم واستولوا عليها فاضطر سلطان هولو والأمراء أن يعقدوا معاهدة مع الأسبان فى 1851م اتفق فيها على سيادة الأسبان على

هولو وأن يرفع السلطان العلم الأسباني وألا يعقد اتفاقاً مع أية دولة أخرى
وفى مقابل ذلك يقدم الأسبان للسلطان وللأمراء معاشاً لأجل الحياة وأن
يسمحوا للمسلمين بمزاولة شعائرهم الدينية ويضمنوا للسلطان أن يرث أبناؤه
عرش هولو. ومع ذلك فإن هذه المعاهدة لم تنه الحرب بين الأسبان
والمسلمين إذ بمجرد جفاف حبر هذه المعاهدة عاود المسلمون حربهم ضد
الأسبان وهزموا الأسبان فعاود الأسبان الكرة على المسلمين فى سنة 1876م
حيث هاجموا هولو بقوة كبيرة مكونة من تسعة آلاف جندى أسباني وفلبينى
بسفن بخارية حربية مجهزة بمدافعها. وقد دافع المسلمون عن المدينة دفاع
الأبطال ولكنهم منوا بمذبحة فظيعة من الأسبان. وفى هذه المرة سقطت هولو
سقوطاً تاماً واستولى عليها الجنود الأسبان ونقل المسلمون السلطة إلى
ماينبون فى جانب سولو الآخر ووقع السلطان معاهدة سلام مع الأسبان سنة
1878م ولكن ذلك لم يمنع المسلمون الأحرار من أن ينغصوا على الأسبان
حياتهم وجعلوا إقامتهم فى هولو جحيماً فى سنة 1882م ذبح المسلمون كثيراً
من جنود الأسبان فى شوارع هولو قدر الذين قتلوا من الجنود المسيحيين
بأيدي المسلمين من سنة 1891 إلى سنة 1899 بثلاثمائة جندى مسيحي. أما
فى منداناو فقد جرد الأسبان حملة عليها فى سنة 1886م تمكنت من تخريب
بعض استحكامات المسلمين وبيوتهم ولكنهم فشلوا فى اختلال أرض المسلمين
فعادوا لأسباب الكره سنة 1891، حيث استطاعوا أن يستولوا على كوتاباتو
ولكن بعد وقت قصير تمكن المسلمون من طردهم منها وأرغموهم على
الرجوع إلى سمونجا. فجرد الأسبان حملة أخرى سنة 1895 ضد المسلمين
فى لاناو ولكنها باءت بالفشل. وأخيراً قامت الحرب بين أمريكا والأسبان سنة
1898م حيث كان الأسبان والمسلمون يموتون فى الغابات لما اتصف به
الأسبان من اعتداء وتعصب ولما آمن به المسلمون من دفاع عن أرضهم
وطنهم وحفاظاً على دينهم وعقيدتهم وبعد أكثر من ثلاثمائة سنة من
الغارات المحمومة والحمالات المتكررة فشل الأسبان فى أن يحتلوا أرض

المسلمين أو يتمكنوا من تصير المسلمين الشجعان. وفي مايو سنة 1899 احتل الجيش الأمريكى هولو ثم سمونجا وعاد الجنود الأسبان من ميدان القتال إلى أسبانيا بخفى حنين يحملون الخيبة والفشل (cl).

ثالثاً: أطماع إنجلترا فى الفلبين

استطاعت إنجلترا أن تحتل مانىلا سنة 1792م بدعوى حمايتها من غارات المسلمين والصينيين ولكنهم عادوا وسلموها للأسبان بموجب معاهدة باريس سنة 1763 وفى سنة 1772م ظهر طمع الإنجليز فى سولو وطلبوا من السلطان السماح لهم أن يقيموا مصنعاً فى هولو ولكن السلطان رفض طلبهم. فعمدوا إلى جزيرة صغيرة فى أرخبيل سولو واستولوا عليها وأقاموا فيها الاستحكامات وجعلوها قاعدة حربية وقد استطاع الإنجليز البقاء فى هذه الجزيرة. ولكن فى سنة 1775م هاجم داتو تنتج - ابن أخت السلطان - المستعمرة الإنجليزية فى تلك الجزيرة وقتل المستوطنين الإنجليز وكل من فى المعسكر ولم ينج من الإنجليز سوى ستة أفراد هربوا فى سفينة صغيرة وغنم المسلمون غنائم كثيرة منها خمسة وأربعون مدفعاً وعدة سفن إنجليزية. وقد عاو الإنجليز مهاجمة سمونجا سنة 1802م ولكنهم فشلوا فاحتلوا بقوة كبيرة الجزيرة السابقة التى طردوا منها فى أرخبيل سولو وأقاموا مركزاً تجارياً ومعسكراً حربياً. ولكن عداوة المسلمين والأسبان لهم وعدم نجاح المركز التجارى جعلهم يتنازلون عن مشروعهم الاستعمارى ويجلون عن أرض المسلمين فى ديسمبر سنة 1806م (cll).

رابعاً: أمريكا والفلبين

بعد أن انتصرت أمريكا على الأسبان فى الفلبين دفعت أمريكا إلى أسبانيا مائتى مليون دولار لتحل محلها فى الفلبين وتحرر بذلك عقد أبرم فى باريس فى 10 ديسمبر سنة 1898م وقد قاوم المسلمون الغزاة الجدد من

أمريكا بدون هودة وقدموا الشهداء من أبنائهم وأمرائهم فى السنين المتتالية فقد تقابل المسلمون مع قوى الاحتلال الأمريكى فى موقعة قريبة من هولوى سنة 1906 حيث استشهد من المسلمين أكثر من ستمائة شهيد من الرجال والنساء والأطفال وكانت الموقعة الثانية من هولوى أيضاً فى سنة 1913 وقدم فيها المسلمون كثيراً من الشهداء وثبت خلال هذه المعركة تفوق الأسلحة الأمريكية على أسلحة المسلمين وغيرت أمريكا بعد هذه الموقعة من سياستها فاختارت حكماً من المدنيين لتهدئة شعور المسلمين واستطاع (فرانك كرينتر) أول محافظة أمريكى لجزيرة سولو ومندانو أن يظهر الصداقة ويكون سنة 1914 وزارة خاصة بشئون مندانو وسولو للإشراف فى المناطق الإسلامية ، واستطاع (فرانك كرينتر) أن يعقد معاهدة مع السلطان جمال الكرم سلطان سولو فى سنة 1915 تنازل فيها السلطان عن سلطاته الدنيوية واعترف فيها بالنفوذ الأمريكى فى بلاده مقابل إعطائه معاشاً والاعتراف به سلطان روحى لمسلمى الفلبين. وبذلك أقل نجم السلاطين المسلمين. ثم بذلك الوزارة الخاصة بشئون مندانو وسولو وضمت إلى مكتب شئون القبائل سنة 1930م. لقد استطاع (فرانك كرينتر) بحسن إدارته وحكمته وتقديره لشخصية المسلمين أن يحقق فى سنين قليلة ما لم تستطع سيوف الأسبان أو مدافع الأمريكين تحقيقه من نشر السلام والطاعة فى أرض المسلمين.

وفى سنة 1926 وافقت أمريكا على استقلال الفلبين تدريجياً مع الإبقاء على المصالح الأمريكية. وبعد استقلال الفلبين 1946م جعلت إدارة شئون المسلمين فى يد رئيس الدولة الكاثولىكى اعتباراً من سنة 1950م فأخذ يعمل على تفتيت القوى الإسلامية وحرمانها من الحقوق التى تتناسب مع تعدادها بالنسبة لمجموع سكان الفلبين. وكان ذلك من الأسباب التى أدت إلى تأخر المسلمين لعدم قيام الدولة بأية مشروعات إصلاحية تؤدى إلى تقدمهم كما أدى ذلك إلى ضياع كثير من أراضيهم، وفى عام 1908م كان المسلمون

يسيطرون على 92% من مجموع مساحة مينداناو ولكنهم فى سنة 1970 نتيجة لسياسة القهر والاضطهاد وإخراج المسلمين من أراضيهم ومنحها للمهاجرين المسيحيين فإن مساحة الأرض التى يعترف لهم بها لا تزيد على 35% وإن كانوا يضعون أيديهم فعلاً على 65% من مجموع مساحة الأرض كلها. والمسلمون لا يتركون أرضهم إلا بعد أن يقدموا كثيراً من أبطالهم شهداء فى مقاومة جماعة (إيلاجاس) وهى تنظيم سرى هدفه الاستيلاء على الأرض التى يملكها المسلمون وقد درب أفراد هذه الجماعة على حرب العصابات فى إسرائيل ووجد كثير من المدافع الرشاشة الإسرائيلية فى حوزتها وهذه الجماعة تعد من أخطر الجماعات الكاثوليكية تعصبا ضد المسلمين حيث يصلون على إيادة المسلمين والاستيلاء على أرضهم. وتحت ضغط قواهم المتفوقة على المسلمين فى العدد والسلاح يترك المسلمون أرضهم لينضموا إلى معسكرات اللاجئين المسلمين التى تضم اليوم ما يزيد على خمسين ألف لاجئ^(ciii).

5 - المشكلات المعاصرة فى الفلبين

تعانى الفلبين من مشكلات سياسية، وعسكرية، واقتصادية، واجتماعية فضلاً عن المشكلات الطائفية، والمناطقية. وتعانى الأقلية الإسلامية من هذه المشكلات مجتمعة، فضلاً عن مشكلاتها المتعلقة بالتخلف الثقافى، والتنموى، وتعدد اللغات المحلية، والخلاف بين الزعامات الإسلامية، والجهل بتعاليم الإسلام^(ciii).

فبالإضافة إلى مشكلة التخلف العام فى الفلبين، فهناك تخلف من نوع خاص فى المناطق الإسلامية نتيجة الحروب العديدة التى شنتها قوى الاستعمار على المسلمين. ومن بين هذه الحروب المدمرة للمجتمع الإسلامى "تنظيم إيلاجاس الكاثوليكي السرى"^(civ) (civ) الهادف إلى طرد المسلمين من الفلبين، وسيطرة على مناطقهم، وأراضيهم. وقد استطاعت هذه

الجماعات المتطرفة من إجلاء عشرات الألوف من المسلمين عن مناطقهم وانضمامهم إلى معسكرات، ومخيمات اللاجئين المسلمين . ومنذ عام 1971 تبين أن هناك تأمراً مشتركاً بين الرئيس الفلبيني ماركوس، وبين جماعة إيلجاس التي تزايد وجود عناصرها في جزيرة مينداناو الإسلامية ، بحيث ارتفع العدد إلى أكثر من أربعين ألف مقاتل ، استطاعوا قتل الآلاف من المسلمين ، وحرق ممتلكاتهم ، وإحراق مساجدهم ، وتهجيرهم من قراهم .

هذا وقد أشارت الإحصاءات أن عدد المذابح والحوادث الدامية بحق المسلمين في جنوب الفلبين قد بلغت بين أعوام 1969 - 1975 أكثر من (500) حادثة ، بخلاف الحوادث غير المسجلة ، فضلاً عن أكثر من خمسين ألف نسمة من الشهداء ، وأكثر من خمسين ألف مهجر ، لهذا فإن المسلمين كانوا باستمرار يجددون مطالبتهم بالاستقلال في جزرهم الإسلامية منذ عام 1968 بقيادة " أوتوج ماتالم " وجبهة تحرير بنجسامورو أي " جبهة تحرير أمة المسلمين " . ونظراً لخطورة أوضاع المسلمين في الفلبين ، فقد تحركت ليبيا بالتعاون مع الأزهر الشريف للإطلاع على واقع المسلمين ، و من أجل ذلك عرضت مشكلة المسلمين في جنوب الفلبين على مؤتمرات وزراء خارجية الدول الإسلامية ، ابتداء من مؤتمر كوالا لمبور عام 1974 إلى مؤتمر فاس عام 1979 ، ومؤتمرات القمة الإسلامية في الثمانينات والتسعينات . وأوصت هذه المؤتمرات بإعطاء المسلمين حقوقهم الدينية، والمدنية المشروعة ، وضرورة تطبيق العدل والمساواة ، وإعطائهم حكماً ذاتياً في إطار احترام السيادة الوطنية لجمهورية الفلبين ووحدة أراضيها على أن يشمل ذلك ثلاثة عشرة إقليماً^(clvi) .

ولكن جميع الوفود، والوساطات الإقليمية، والدولية الإسلامية منها والعربية، والدولية لم تسفر عن وضع حد نهائى لأعمال العنف ، خاصة وأن الجبهة الإسلامية في الفلبين قد انشقت إلى عدة جبهات منها :

1- جبهة مورو الإسلامية ،

2 - جبهة هاشم سلامات .

3 - جبهة نور مسواري .

4 - جبهة أبو سياف بقيادة زعيمها عبد الرسول سياف .

5 - جماعة بنداتون وديماس ورشيد لقمان .

غير أن أهم هذه الحركات هي حركة مورو الإسلامية وحركة ور مسواري التي انشقت عنها^(clvii).

لهذا فإن الاجتماعات التي عقدت بين مختلف الأطراف في مكة المكرمة عام 1979 لم تسفر عن أية نتيجة ، كما أن اتفاق طرابلس الغرب عام 1976 لم يحقق الحكم الذاتي للمسلمين . وقد استطاع ماركوس استغلال الخلافات بين القيادات الإسلامية للتخلص من كل اتفاق أو توصيات .

والأمر الملاحظ أن العلاقة بين الحكومة الفلبينية والحركات الإسلامية مرت بمراحل وتطورات عديدة ، شهدت فيها فترات من العنف والسلم ، ومن الحرب والهدنة لاسيما في الفترة الممتدة بين أعوام 1946 - 1964 ، ومن ثم في الفترة الممتدة بين أعوام (1965 - 2000) . وقد شهدت الفترة الثانية حكم رؤساء أربعة هم على التوالي :

1 - فرديناند ماركوس (1965 - 1986) .

2 - السيدة كورازون أكينو (1986 - 1992) .

3- فيدل راموس (1992 - 1998) .

4 - جوزف اتسردادا (1998 -) .

ومما يلاحظ أن استراتيجيات احتواء المسلمين عتمدت بالدرجة الأولى على الأوضاع الاقتصادية المتردية للمسلمين في الفلبين ، ومحاولة الحكومة

تحسين هذه الأوضاع وتحسين الأوضاع الاجتماعية والتربوية والثقافية . كما اعتمدت سياسة الاحتواء على التناقضات بين الحركات الإسلامية ذاتها ، فضلاً عن التوازنات الإقليمية والدولية بما فيها التوازنات مع العالم الإسلامي ، غير أن كل المفاوضات، ومحادثات السلام ، بما فيه التقديمات الاقتصادية، والاجتماعية الشكلية لم تحل مشكل المسلمين بالرغم من عقد عدة اجتماعات بين حكومة الفلبين، وممثلي المسلمين منها :

1 - محادثات السلام الرسمية في جاكرتا عاصمة إندونيسيا عام 1993.

2 - محادثات السلام الرسمية في جاكرتا عامي 1994 ، 1995.

3- محادثات السلام الرسمية في مدينة دافاو الفلبينية ذات الغالبية المسيحية عام 1996 ، واتفاق السلام عام 1996 في مانيلا .

كانت طموحات المسلمين في جنوب الفلبين من خلال جميع هذه المباحثات التوصل إلى حكم شبه مستقل عن الحكومة المركزية ، أو حكم ذاتي يمارس فيه المسلمون تنظيم شؤونهم السياسية، والمالية، والتعليمية، والاقتصادية، وتطبيق الشريعة الإسلامية ، والمشاركة في البرلمان الوطني ، وقد تم الاتفاق في مباحثات عام 1996 على الأمور التالية^(civiii).

1 - إنشاء كيان إداري للحكم في جنوب الفلبين ويضم (13) منطقة إسلامية .

2 - يعهد لجبهة مورو الوطنية إدارة هذا الكيان لفترة انتقالية مدتها ثلاث سنوات .

3 - يعقب المرحلة الانتقالية إجراء استفتاء حول الحكم الذاتي .

4 - إنشاء قوة شرطة محلية من المسلمين في جنوب الفلبين .

5 - انضمام المسلمين إلى الجيش الفلبيني .

ومما يلاحظ أنه بالرغم من التوصل إلى هذا الاتفاق ، غير أن الحكومة الفلبينية وضعت بعض الشروط بهدف عدم العمل به ، وإجهاضه قبل أن يبصر النور . وفي هذا الإطار فإننا لا يمكن أن نغفل دور إسرائيل في إفشال الاتفاقات بين المسلمين، وحكومة الفلبين، ذلك أن إسرائيل ترتبط بعلاقات وطيدة مع حكومة مانيلا ، إذ يوجد خبراء عسكريون إسرائيليون فقي الفلبين منذ بداية الحرب ضد المسلمين ، كما أرسلت إسرائيل عدداً كبيراً من خبرائها العسكريين إلى مانيلا بهدف تدريب قوات خاصة لحكومة كورازون أكينو يطلق عليها " الجيش الأصفر " حيث أرسلت وحدات من هذا الجيش في عهد أكينو لمحاربة المسلمين في الجنوب . ولهذا فإن إسرائيل قامت - وما تزال - بدور فاعل في الفلبين ضد المسلمين لا سيما في المجال العسكري .

ومن الأهمية بمكان القول ، إن المسلمين في الفلبين ما يزالون يعانون من اضطهاد ومحاربة الحكومة الفلبينية بشتى الوسائل العسكرية، والسياسية، والاقتصادية، والتنمية ، ومن الملاحظ أنه بالرغم من تباين وجهات نظر الحركات الإسلامية في كيفية التعامل مع حكومة مانيلا ، غير أن الجميع متفق على تحقيق الحكم الذاتي للمسلمين ، والحركة الوحيدة التي تدخل في مفاوضات مع الحكومة الفلبينية هي " الجبهة مورو " للتحرير الوطني " في حين أن هذه الحركات تؤمن إيماناً مطلقاً بأن المفاوضات ولت إلى غير رجعة ، وأن الكفاح هو الحل الوحيد للحصول على الحكم الذاتي بالرغم من أن هذه الحركات تعاني من عدم جدوى تأييد العالم الإسلامي لمطالبهم التاريخية ، ومن نقص حاد في التمويل لهذا فقد أقدمت جماعة أبو سياف التابعة لحركة مورو الإسلامية منذ 21 نيسان (إبريل) عام 2000 ولشهور عديدة على اختطاف عدد من السياح الأجانب مطالبين بفدية مالية كبيرة عن

كل رهينة ، فضلاً عن هدف تحريك قضيتهم ومشكلتهم أمام العالم ، ومطالبتهم بإنشاء دولة إسلامية في مناطقهم . وقد نقلت الرهائن بما فيه اللبنانية ماري معربس من منتجع ماليزي إلى منطقة جولو الإسلامية في جنوب الفلبين . وذكرت المعلومات أن ليبي - الوسيطة في هذه القضية - دفعت مبلغ (25) مليون دولار لقاء إطلاق سراح الرهائن .

وبالرغم من أن ليبيا نفت هذه المعلومات وأن عملها هو عمل إنساني بحت ، غير أن الدبلوماسيين الغربيين في طرابلس الغرب أكدوا أن ليبيا ستدفع تلك المبالغ لتصحيح صورتها أمام العالم . مع العلم أن ليبيا أكدت أن مبلغ ال (25) مليون دولار ستستخدم في بناء مشروعات إنمائية في المناطق ذات الأغلبية المسلمة جنوبى البلاد .

والحقيقة فإنه بالرغم من تأييد العالم، والعالم الإسلامى لقضية المسلمين في الفلبين ، غير أن خطف الأبرياء من مختلف الجنسيات لم تفعل القضية الإسلامية في الفلبين ، ولم تؤد إلى تطور فاعل أو حاسم لها ، بل إن بعض الأوساط الدولية، والإسلامية استتكرت مثل هذا العمل (clix).

الحواشي

حواشي الفصل الأول

-
- (i) عفاف مسعد العبد: دراسات في تاريخ الشرق الأقصى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ص 9.
- (ii) فاروق عثمان أباطة : محاضرات في تاريخ الشرق الأقصى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1997، ص 10 - 12.
- (iii) بين تشستر: الشرق الأقصى، ترجمة حسين الحوت، مراجعة فريد عبد الرحمن، مجموعة الألف كتاب (59) بإشراف إدارة الثقافة بوزارة التربية والتعليم، القاهرة، 1958، ص 1، 2.
- (iv) فوزي درويش : الشرق الأقصى الصين واليابان (1853 - 1972)، 1994، ص 13 - 14.
- (v) حسن محمد جوهر، وعبد الحميد بيومي، الصين، مجموعة شعوب العالم، دار المعارف بمصر، د.ت، ص 45.
- (vi) فوزي درويش : الشرق الأقصى، ص 17.
- (vii) نفسه، ص 19.
- (viii) نفسه، ص 22.
- (ix) محمد على القوزي، حسان حلاق : تاريخ الشرق الأقصى الحديث والمعاصر، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 2001، ص 80.
- (x) فاروق عثمان أباطة : المرجع السابق، ص 31، 32.
- (xi) نفسه، ص 32، 33.
- (xii) نفسه، ص 33، 34.
- (xiii) نفسه، ص 34 - 36.
- (xiv) نفسه، ص 36، 37.
- (xv) نفسه، ص 37-39.

- (xvi) عبد الحميد البطريق، عبد العزيز نوار : التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فينينا، دار النهضة العربية، 1971 ، صـ 247، 248.
- (xvii) بين - تشستر : المرجع السابق، صـ 50.
- (xviii) فوزى درويش : الشرق الأقصى، صـ 46.
- (xix) محمد علي القوزي وآخر : المرجع السابق، صـ 82، 83.
- (xx) نفسه، صـ 83، 84.
- (xxi) فاروق عثمان أباطة : المرجع السابق، صـ 27.
- (xxii) محمد علي القوزي وآخر : المرجع السابق، صـ 84، 85.
- (xxiii) نفسه : المرجع السابق، صـ 85، 86، خليل عبد الحميد عبد العال: تاريخ الشرق الأقصى الحديث والمعاصر دراسات وقراءات، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1995، صـ 110-114.
- (xxiv) محمد علي القوزي وآخر : المرجع السابق، صـ 86-88.
- (xxv) جلال يحيى : الشرق الأقصى الحديث والمعاصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1981، ص 51 .
- (xxvi) محمد علي القوزي وآخر : المرجع السابق، صـ 88، 89، خليل عبد العال، المرجع السابق، صـ 119، 120، ول ديورانت : قصة الحضارة، الجزء السابع، الشرق الأقصى، الصين، ترجمة محمد بدران، لجنة التأليف والترجمة والنشر، جامعة الدول العربية، د.ت، صـ 291.
- (xxvii) محمد القوزي وآخر : المرجع السابق، صـ 90، 91.
- (xxviii) بين تشستر : المرجع السابق، صـ 73، 74.
- (xxix) نفسه، صـ 79.
- (xxx) محمد علي القوزي وآخر : المرجع السابق، صـ 92-94.
- (xxxi) نفسه، صـ 94، 95.
- (xxxii) فوزي درويش : الشرق الأقصى، صـ 120.
- (xxxiii) خليل عبد العال : المرجع السابق، صـ 155-162، محمد علي القوزي وآخر : المرجع السابق، صـ 95-97.
- (xxxiv) فوزي درويش : الشرق الأقصى، صـ 123.
- (xxxv) ول ديورانت : المرجع السابق، صـ 296.

- (xxxvi) محمد على القوزى وآخر : المرجع السابق، ص 98-100.
- (xxxvii) ول ديورانت : المرجع السابق، ص 298، 299.
- (xxxviii) محمد على القوزى وآخر : المرجع السابق، ص 100، 101.
- (xxxix) ول ديورانت : المرجع السابق، ص 103.

(xl) نفسه، ج 4، ص 103.

(xli) محمد على القوزى وآخر : المرجع السابق، ص 102، 103.

حواشى الفصل الثانى

- (xlii) فوزى درويش : الشرق الأقصى ، ص 132 ، 133 .
- (xliii) ك . م . بانيكار : آسيا والسيطرة الغربية ، ترجمة عبد العزيز توفيق جاونيد ، أحمد خاكي ، وزارة الثقافة ، د . ت ، ص 291 ، 292 .
- (xliv) فوزى درويش : المرجع السابق ، ص 132 - 134 .
- (xlv) نفسه ، ص 135 - 140 ، محمد على القوزى وآخر : المرجع السابق ، ص 103 - 107 .
- (xlvi) محمد نعمان جلال : الصراع بين اليابان والصين ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 1989 ، ص 507 .
- (xlvii) محمد على القوزى وآخر : المرجع السابق ، ص 108 - 111 .
- (xlviii) نفسه : المرجع السابق ، ص 111 - 112 .
- (xlix) فوزى درويش : الشرق الأقصى ، ص 222 ، 223 .
- (l) نفسه ، ص 223 .
- (li) نفسه ، ص 223 - 225 .
- (lii) نفسه ، ص 225 - 227 .
- (liii) نفسه ، ص 227 - 229 .
- (liv) نفسه ، ص 229 - 231 .
- (lv) نفسه ، ص 231 - 233 .
- (lvi) نفسه ، ص 233 - 235 .
- (lvii) نفسه ، ص 236 .
- (lviii) نفسه ، ص 187 - 198 ، محمد على القوزى وآخر : المرجع السابق ، ص 117 - 121 .

- (lix) فوزى درويش : الشرق الأقصى ، ص 199 — 200 ، محمد على القوزى وآخر :
المرجع السابق ، ص 121 — 123 .
(lx) نفسه ، ص 200 ، 201 .
(lxi) نفسه ، ص 201 — 205 .
(lxii) نفسه ، ص 205 — 213 .
(lxiii) نفسه ، ص 213 — 215 .
(lxiv) محمد على القوزى وآخر : المرجع السابق ، ص 130 ، 131 .

حواشى الفصل الثالث

- (lxv) خليل عبد العال : المرجع السابق، ص 168، 171، 172..
(lxvi) تيدمان، آرثر، اليابان الحديثة. ترجمة وديع سعيد ومراجعة على رفاعه
الأصنارى، سلسلة الألف كتاب، القاهرة، دت، ص 1؛ فوزى درويش : الشرق الأقصى،
ص 30.
(lxvii) فوزى درويش : الشرق الأقصى ، ص 31، 33.
(lxviii) خليل عبد العال : المرجع السابق، ص 172، 173.
(lxix) فوزى درويش : الشرق الأقصى، ص 67 — 69.
(lxx) تيدمان، آرثر : المرجع السابق، ص 16، 17؛ فوزى درويش : الشرق الأقصى،
ص 69، 70.
(lxxi) فوزى درويش : الشرق الأقصى، ص 70، 71.
(lxxii) عفاف مسعد العبد : المرجع السابق، ص 132-134.
(lxxiii) نفسه، ص 134-136.
(lxxiv) نفسه، ص 136-138.
(lxxv) فوزى درويش : الشرق الأقصى، ص 90، 91.
(lxxvi) محمد على القوزى وآخر المرجع السابق، ص 39 ، 40.
(lxxvii) نفسه . ص 41 — 44 .
(lxxviii) أدوين أولد فاذر ريشاور : تاريخ اليابان من الجذور حتى هيروشيما ، ترجمة
يوسف شلب الشام، دار علاء الدين، الطبعة الأولى، دمشق، 2000، ص 137-139.
(lxxix) أدوين أولدفاذر ريشاور : المرجع السابق، ص 139-141.
(lxxx) نفسه : المرجع السابق، ص 142، 141.

- (lxxxix) نفسه : المرجع السابق، صـ152، 153.
- (lxxxix) نفسه، صـ153، 154.
- (lxxxix) عفاف مسعد العبد : المرجع السابق، صـ139، 141.
- (lxxxix) نفسه : المرجع السابق، صـ141-143.
- (lxxxix) محمد علي القوزي وآخر : المرجع السابق، صـ45-47.
- (lxxxix) نفسه : ، صـ47-49.
- (lxxxix) نفسه، صـ49-51.
- (lxxxix) نفسه، صـ51-53.
- (lxxxix) محمد علي القوزي وآخر : المرجع السابق، صـ53، 54.
- (xc) عفاف مسعد العبد : المرجع السابق، صـ128.
- (xci) فوزي درويش : الشرق الأقصى، صـ254-255.
- (xcii) نفسه، صـ255-257.
- (xciii) نفسه صـ257-259.
- (xciv) تيدمان، آرثر : المرجع السابق، صـ20، 21.
- (xcv) عفاف مسعد العبد : المرجع السابق، صـ146-148.
- (xcvi) فاروق عثمان أباطة : المرجع السابق، صـ158-161.
- (xcvii) نفسه، صـ161-164.
- (xcviii) فوزي درويش : الشرق الأقصى ، ص 94 .
- (xcix) نفسه، صـ97-99.
- (c) محمود السروجي : سياسة الولايات المتحدة الخارجية، الاسكندرية، 1945 صـ79، 80.
- (ci) فوزي درويش : الشرق الأقصى، صـ99-101.
- (cii) نفسه، صـ101، 102.
- حواشي الفصل الرابع
- (ciii) فوزي درويش : اليابان - الدولة الحديثة والدور الأمريكي، الطبعة الثالثة، 1994، صـ193.
- (civ) محمد علي القوزي وآخر : المرجع السابق، صـ56، 57.
- (cv) محمد نعمان جلال : المرجع السابق، صـ95.

- (cvi) محمد نعمان جلال، صـ 116-126.
- (cvii) محمد على القوزى وآخر : المرجع السابق، صـ 59، 60.
- (cviii) جلال يحيى : العالم المعاصر منذ الحرب العالمية الثانية، الدول الغنية الرأسمالية الغربية والإشتراكية واليابان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1978م، صـ 517.
- (cix) محمد على القوزى وآخر : المرجع السابق، صـ 61.
- (cx) محمد نعمان جلال : المرجع السابق، صـ 185-191؛ محمد على القوزى : المرجع السابق، صـ 61-63.
- (cxi) محمد على القوزى وآخر : المرجع السابق، صـ 63، 64.
- (cxii) نفسه، صـ 66.
- (cxiii) نفسه، صـ 66، 67.
- (cxiv) محمد على القوزى وآخر : المرجع السابق، صـ 67-69.
- (cxv) محمد على القوزى وآخر : المرجع السابق، صـ 69، 70.

حواشى الفصل الخامس

- (cxvi) فوزى درويش : الشرق الأقصى، صـ 149، 151.
- (cxvii) نفسه صـ 151-153.
- (cxviii) نفسه، ص 154 ، 158 - 160 .
- (cxix) نفسه، ص 161 ، 162 .
- (cxx) نفسه ، صـ 162-164.
- (cxxi) نفسه ، صـ 164-167.
- (cxxii) نفسه، صـ 167، 168.
- (cxxiii) محمد نعمان جلال : المرجع السابق، صـ 326 - 328.
- (cxxiv) نفسه، صـ 329 - 331.
- (cxxv) نفسه، صـ 331-334.
- (cxxvi) نفسه، صـ 334-337.
- (cxxvii) نفسه، صـ 337-338.
- (cxxviii) نفسه ، صـ 339-342.
- (cxxix) خيرى عزيز، الإنفتاح والتحديث فى الصين الجديدة صـ 56-82 السياسة الدولية العدد 59 فى يناير 1980م صـ 78.

(cxxx) رغم أن الدول الغربية وكثيراً من دول العالم الثالث لم تؤيد الغزو الفيتنامي لكمبوديا إلا أنها عارضت رد الفعل الصيني المضاد لفيتنام وبما كان ذلك تحت التأثير النفسي لمشكلة فيتنام عبر أكثر من ثلاثة عقود متتالية من الحروب. وأيضاً كان هذا التأثير النفسي لمشكلة فيتنام عبر أكثر من ثلاثة عقود متتالية من الحروب، وأيضاً كان هذا التأثير السيكولوجي للمشكلة الفيتنامية أحد الدوافع الرئيسية - في اعتقاد الباحث - لسحب الصين لقواتها من فيتنام، فضلاً عن الإعتبارات الدولية الأخرى بلا شك. (انظر : محمد نعمان جلال ، المرجع السابق ، ص 342) .

(cxxxix) محمد نعمان جلال : المرجع السابق ، ص 343 .

حواشي الفصل السادس

(cxxxii) خليل عبد العال : المرجع السابق ، ص 357 ، 358 .

(cxxxiii) نفسه ، ص 361 - 365 .

(cxxxiv) نفسه ، ص 367 ، 368 .

(cxxxv) نفسه : ص 370 .

(cxxxvi) نفسه : ص 371 .

(cxxxvii) نفسه : ص 371 - 372 .

(cxxxviii) أحمد بشير: تاريخ الإسلام في الفلبين، الدار العربية للطباعة والنشر،

والتوزيع، بيروت، د.ت؛ خليل عبد الحميد عبد العال: المرجع السابق، ص 372، 373 .

(cxxxix) خليل عبد الحميد عبد العال: المرجع السابق، ص 374، 375 .

(cxl) نفسه : ص 378 ، 379 .

(cxli) نفسه ، ص 383 .

(cxlii) نفسه : ص 383 - 384 .

(cxliii) نفسه : ص 385 - 386 .

(cxliv) نفسه : ص 386 ، 387 .

(cxlv) نفسه : ص 387 - 398 .

(cxlvi) نفسه : ص 390 .

(cxlvii) نفسه : ص 391 .

(cxlviii) نفسه : ص 393 - 394 .

(cxlix) نفسه : 394 - 395 .

- (cl) نفسه: ص 395-396.
- (cli) نفسه: ص 397.
- (clii) نفسه: ص 398-399.
- (cliii) محمد عبد القادر أحمد : المسلمون في الفلبين ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1983 ، ص 37 ، 38 .
- (cliv) قامت جماعات هذا التنظيم بالتدريب على حرب العصابات في إسرائيل ، وتمكنت أسلحة إسرائيلية ، كما أنها تلقت دعماً من حكومة الفلبين (انظر : محمد على القوزى وآخر ، المرجع السابق ، ص 268) .
- (clv) قامت جماعات هذا التنظيم بالتدريب على حرب العصابات في إسرائيل ، وتمكنت أسلحة إسرائيلية ، كما أنها تلقت دعماً من حكومة الفلبين (انظر : محمد على القوزى وآخر ، المرجع السابق ، ص 268) .
- (clvi) محمد محمود زيتون : المسلمون في الشرق الأقصى ، دار الوفاء للطباعة ، القاهرة ، 1985 ، ص 56 .
- (clvii) محمد على القوزى وآخر : المرجع السابق ، ص 269 .
- (clvii) نفسه ، ص 269 - 271 .
- (clviii) نفسه ، ص 269 - 271 .
- (clix) نفسه ، ص 271 - 283 .

قائمة المراجع

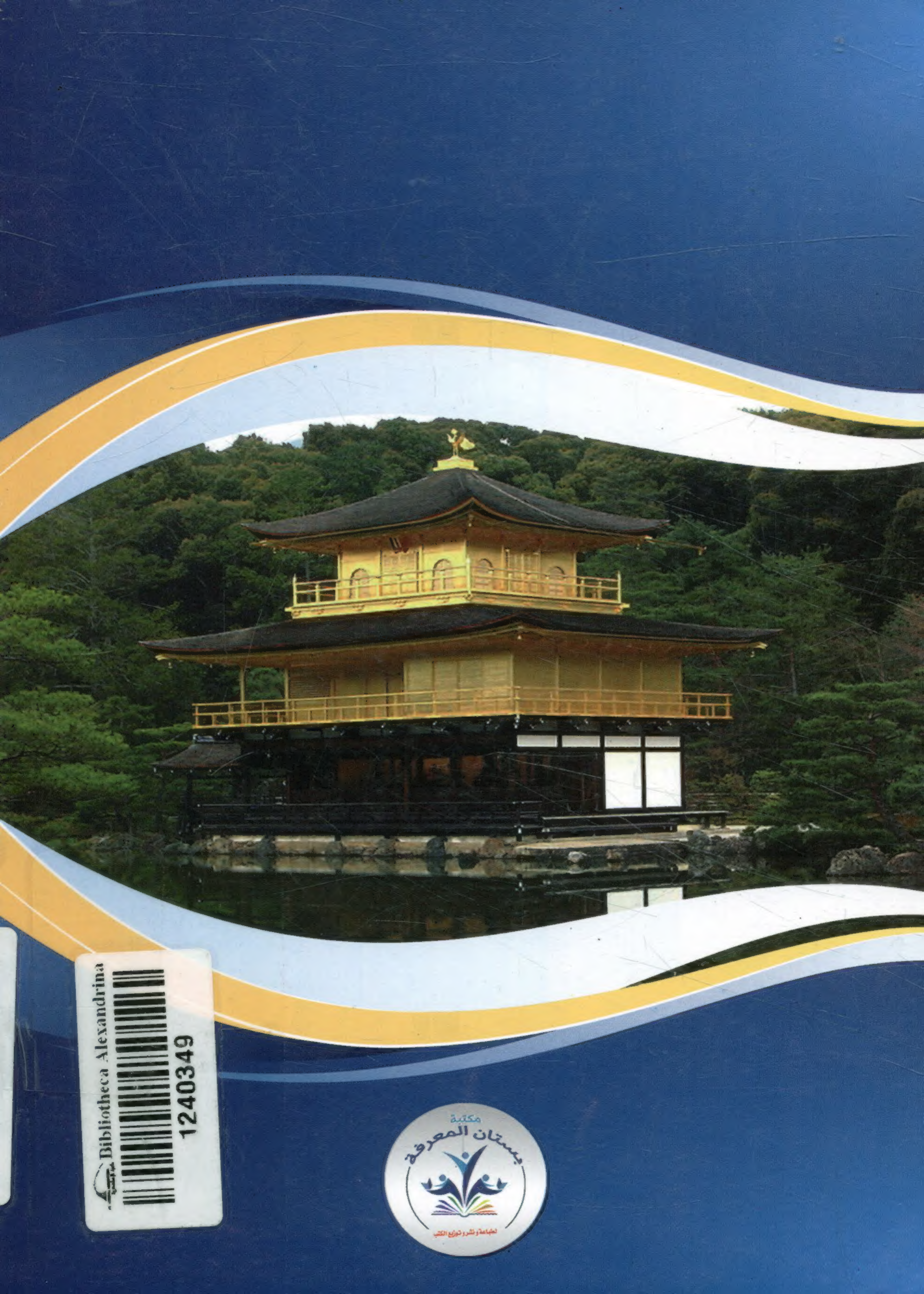
- أحمد بشير: تاريخ الإسلام فى القلبيين، الدار العربية للطباعة والنشر، والتوزيع، بيروت، د.ت.
- أدوين أولد فاندر ريشاور : تاريخ اليابان من الجنور حتى هيروشيما ، ترجمة يوسف شلب الشام، دار علاء الدين، الطبعة الأولى، دمشق، 2000.
- بين تشستر: الشرق الأقصى، ترجمة حسين الحوت، مراجعة فريد عبد الرحمن، مجموعة الألف كتاب (59) بإشراف إدارة الثقافة بوزارة التربية والتعليم، القاهرة، 1958 .
- تيدمان، آرثر، اليابان الحديثة. ترجمة وديع سعيد ومراجعة على رفاعة الأنصارى، سلسلة الألف كتاب، القاهرة، د.ت.
- جلال يحيى : الشرق الأقصى الحديث والمعاصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1981.
- جلال يحيى : العالم المعاصر منذ الحرب العالمية الثانية، الدول الغنية الرأسمالية الغربية والإشتراكية واليابان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1978.
- حسن محمد جوهر، وعبد الحميد بيومى، الصين، مجموعة شعوب العالم، دار. المعارف بمصر، د.ت.
- خليل عبد الحميد عبد العال: تاريخ الشرق الأقصى الحديث والمعاصر دراسات وقراءات، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1995.

- خيرى عزيز، الإنفتاح والتحديث فى الصين الجديدة ص56-82
السياسة الدولية العدد 59 فى يناير 1980م.
- عبد الحميد البطريق، عبد العزيز نوار : التاريخ الأوروبى الحديث
من عصر النهضة إلى مؤتمر فينيا، دار النهضة العربية، 1971.
- عفاف مسعد العبد: دراسات فى تاريخ الشرق الأقصى، دار المعرفة
الجامعية، الإسكندرية.
- فاروق عثمان أباطة : محاضرات فى تاريخ الشرق الأقصى، دار
المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1997.
- فوزى درويش : اليابان - الدولة الحديثة والدور الأمريكى، الطبعة
الثالثة، 1994.
- فوزى درويش : الشرق الأقصى الصين واليابان (1853 -
1972) ، 1994.
- ك . م . بانىكار : آسيا والسيطرة الغربية ، ترجمة عبد العزيز
توفيق جلويد ، أحمد خاكى ، وزارة الثقافة ، د.ت.
- محمد عبد القادر أحمد : المسلمون فى الفلبين ، مكتبة النهضة
المصرية ، القاهرة ، 1983.
- ول ديورانت : قصة الحضارة، الجزء السابع، الشرق الأقصى،
الصين، ترجمة محمد بدران، لجنة التأليف والترجمة والنشر، جامعة
الدول العربية، د.ت.
- محمد على القوزى، حسان حلاق : تاريخ الشرق الأقصى الحديث
والمعاصر، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة
الأولى، 2001.

-
- محمد محمود زيتون : المسلمون في الشرق الأقصى ، دار الوفاء للطباعة ، القاهرة ، 1985.
 - محمد نعمان جلال : الصراع بين اليابان والصين ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 1989.

الفهرس

الصفحة	الموضوع
3	المقدمة
5	الفصل الأول
	الصين من مطلع العصور الحديثة حتى قيام الحرب العالمية الأولى
49	الفصل الثاني
	الصين ما بين الحربين العالميتين وتطور علاقتها الدولية
99	الفصل الثالث
	اليابان من مطلع العصور الحديثة حتى نهاية الحرب العالمية الثانية
171	الفصل الرابع
	سياسة اليابان الخارجية (1945 - 1970م)
189	الفصل الخامس
	الصين واليابان (1931 - 1978)
227	الفصل السادس
	الفلبيين من مطلع العصور الحديثة حتى القرن العشرين
267	قائمة المراجع



Bibliotheca Alexandrina



1240349

